



عَبْقَرِيَّاتُ عِمْرَانِ

عباس مدهود العفاد

« طبعة جديدة منقحة ومراجعة »



اسم الكتاب: عبيد قمرية مصر
المؤلف: عباس محمود العقاد
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة العاشرة - أغسطس 2006م
رقم الإيداع: 2003 / 5632
التقديم الدولي: ISBN 977-14-2106-9

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد جرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 023346276 - فاكس: 023346276 ص.ب 21 إسماعيلية
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

الطبعة: 81 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 023336287 - 023336289 - فاكس: 023336279
البريد الإلكتروني للطبعة: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 11 بني كامل حدائق - القجالة -
القاهرة - ص.ب 94 القجالة - القاهرة
ت: 023398227 - 023398225 - فاكس: 023398225

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226223
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 480 طريق الحرية (ورشدي)
ت: 0335462090
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام - عارف
ت: 05812259675

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



الطبعة والنشر والتوزيع
المسجلة بجمهورية مصر العربية سنة 1998

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب/CD)
وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع www.enahda.com

جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر

تقديم

تم تأليف هذا الكتاب في أحوال عجيبة هي أحوال بأس وخطر، فلا غرابة بينهما وبين موضوع الكتاب الذي أدركته عليه، لأننا لا نتكلم عن عمر بن الخطاب إلا وجدنا أننا على مقربة من البأس ومن الخطر في أن.

فما شرعت في تحضيره وبدأت في الصفحات الأولى منه؛ حتى رأيتني على سفر بغير أهبة إلى السودان، فوصلت إليه وليس من مراجع الكتاب إلا قليل، وكانت الصفحات الأولى التي كتبتها في القاهرة مما تركته مع المراجع الكثيرة فيها، فأعدت كتابتها في الخرطوم، ومضيت فيه هنالك حتى انتهيت من أكبر شطريه، واستغثيت بمراجع الخرطوم عن المراجع التي أعجلني السفر عن نقلها؛ لأن أدباء السودان وقضلاءه يدخرون جملة صالحة من هذه المراجع، ويجودون بها أسخياء مبادرين إلى الجود، فلا أذكر أنني طلبت كتاباً في المساء إلا كان عندي في بكرة الصباح.

وإنني لأتوفر على كتابته، وأحسبني منتهياً منه في السودان، إذ رأيتني مرة أخرى على سفر بغير أهبة إلى القاهرة، فعدت إليها بالطائرة ألتمس العلاج السريع، لأن يدي أوشكت أن تعجزا عن تناول القلم بما عراهما من ثأليل «الخريف».

فعدت وما يشغلني عن إتمامه شاغل في السفر والمقام، ولم أحسب هذا البأس في الحاليتين من مواعده وعراقيله؛ لأنني ألقت بعض كتبي الكبار في أحوال تشبه هذه الأحوال، فالقت كتابي عن «ابن الرومي» بين السجن ونذره ومقدماته، وألقت كتابي عن «سعد زغلول» وأنا غير مستريح من كفاحه، وكلاهما من أثر الكتب عندي، وأكبرها في الموضوع وفي عدد الصفحات.

إنما حسبت هذا البأس من مطابقاته وموافقاته، ومن وضع الشيء في موضعه على نحو من الأنحاء، ولم أعدده من حرج التأليف، كما عدته من مهيئات جوه، ولا سيما حين ألقيت أدرس آثار الحركة المهدية، وأتقلب بين

مشاهدها وميادينها، وأستخرج العبرة من القتال بين الراجلين والغيلة في مواقع فارس، ومن القتال بين الراجلين والسفن المسلحة في مواقع الخرطوم وأم درمان، فهذه عقيدة وتلك عقيدة، ولكن العقيدة التي ظفرت كان معها حليف من الغد المأمول، ولم تكن العقيدة التي فشلت على وفاق مع الغد ولا مع الأصل. ولكن الحرج كل الحرج في التأليف، إنما كان في محاسبة عمر بن الخطاب، أوليس الحرج في الحساب أيضاً من العمرية المأثورات؟

فالناس قد تعوبوا ممن يسمونهم بالكتاب المنصفين أن يحبذوا وينقدوا، وأن يقرنوا بين الثناء والملام، وأن يسترسلوا في الحسنات بقدر ليتقلبوا من كل حسنة إلى عيب يكافئها، ويشقوا كل فضيلة بتقيصة تعادلها، فإن لم يفعلوا ذلك فهم إذن مظنة المغالاة والإعجاب المتحيز، وهم أقل إذن من الكتاب المنصفين الذين يمدحون ويقدحون، ولا يعجبون إلا وهم متحفزون للملام.

عرض لي هذا الخاطر، فذكرت قصة العاهل الذي تحاكم إلى قاضيه مع بعض السوق في عقار، يختلفان على ملكه، فحكم القاضي للسوق بغير العدل؛ ليغنم سمعة العدل في محاسبة الملوك، وعزله العاهل لأنه ظلم وهو يبتغي الرياء بظلمه، فكان أعدل عادل حين بدا كائنه يحرص على مال مقصوب ويجور على تابع جسور؛ لأنه أنصف وهو مستهدف لتهمة الظلم، وقاضيه قد ظلم وهو يترأى بالإنصاف.

قلت لنفسى: إن كنت قد أقدت شيئاً من مصاحبة عمر بن الخطاب في سيرته وأخباره، فلا يحرجنك أن تركزى عملاً له كلما رأيته أهلاً للتركية، وإن زعم زاعم أنها المغالاة، وأنه فرط الإعجاب.

وهذه هي الأسوة العمرية في الحساب.

فالحق أننى ما عرضت لمسألة من مسائله التي لغط بها الناقدون إلا وجدت على حجة ناهضة فيها، ولو أخطأه الصواب.

وإن أعسر شيء أن تحاسب رجلاً كان أشد أعدائه لا يبلغون من عسر محاسبته بعض ما كان يبلغه هو في محاسبة نفسه، وأحب الناس إليه.

ذلك رجل قل أن يجور عن القصد وهو عالم بجوره، وقل أن يتبع لأحد أن

يكسب دعوى الإتصاف على حسابه، إلا أن يكسبها أيضاً على حساب الحق والنقد الأمين.

فإذا عرفت منحاه من الخلق والرأى، وسلمت له مزاجه ووجهة تفكيره، فكن على يقين أنه لن يتجافى عن النهج السوى، ولن يتعلق بأمر يعدوه الصلاح ويشوبه السوء.

وذاك أخرج الحرج الذى عانيته فى نقد هذا الرجل العظيم، وتلك حيلة معه إن لم يستفدها الكاتب وهو مشغول بعمر ونهج عمرا فشغله عبث ذاهب فى الهواء.

وعلم الله لو وجدت شططاً فى أعماله الكبار، لكان أحب شئ إلى أن أحصيه وأطنب فيه، وأنا ضامن بذلك أن أرضى الأثر وأرضى الحقيقة، ولكنى أقولها بعد تحميص لا مزيد عليه فى مقدرى: إن هذا الرجل العظيم أصعب من عرفت من عظماء الرجال نقداً ومناقضة، ومن فريد مزاياه أن فرط التحميص وفرط الإعجاب فى الحكم له أو عليه يلتقيان.

وكتابى هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التى تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له، ودراسة لأطواره، ودلالة على خصائص عظمته، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة، فلا قيمة للحدث التاريخى جلّ أو دقّ إلا من حيث أفاد فى هذه الدراسة، ولا يمنعنى صغر الحادث أن أقدمه بالاهتمام والتتويه على أضخم الحوادث، إن كان أوفى تعريفاً بعمر، وأصدق دلالة عليه.

وعمر يعد رجل المناسبة الحاضرة فى العصر الذى نحن فيه^(١)؛ لأنه العصر الذى شاعت فيه عبادة القوة الطاغية، وزعم الهاتقون بدينها أن البأس والحق نقيضان؛ فإذا فهمنا عظيماً واحداً كعمر بن الخطاب، فقد هدمنا دين القوة الطاغية من أساسه؛ لأننا سنفهم رجلاً كان غاية فى البأس، وغاية فى العدل، وغاية فى الرحمة.. وفى هذا الفهم تزيّاق من داء العصر يشفى به من ليس بعينوس الشفاء.

وإنه لجهاد جديد لعمر بن الخطاب، يطيب لنا أن نوجزه فى كتاب.

عباس محمود العقاد

(١) يعنى سنة ١٩٤٢، والحرب العالمية مشتعلة بين النازية والشيوعية وبين الديمقراطية.

عِقرى



«... لم أر عِقرىاً بِقِرَى فَرِيه»^(١)...

كلمة قالها النبي عليه السلام في عمر رضى الله عنه، وهى كلمة لا يقولها إلا عظيم عظماء، خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال.

فمن علامات العظمة التى تحيى موات الأمم: أن تختص بقدرتين لا تعهدان قى غيرها، أولاهما: أن تبتعث كوامن الحياة، ودوافع العمل فى الأمة بأسرها، وفى رجالها الصالحين لخدمتها، والأخرى: أن تتفد ببصيرتها إلى أعماق النفوس، فتعرف باليديهة الصائبة والوحى الصادق فيم تكون عظمة العظيم، ولأى المواقف يصلح، وبأى الأعمال بضطلع، ومتى يحين أوانه، وتجب نديته^(٢)، ومتى ينبغى التريث فى أمره إلى حين.

كلتا القدرتين كان لهما الحظ الوافر فى سيرة عمر بن الخطاب.

فأين - لولا الدعوة المحمدية التى بعثت كوامن العظمة فى أمة العرب - كنا نسمع بآين الخطاب؟ وأى موضع له كان من مواضع هذا التاريخ العالمى الذى يزخر بكبار الأسماء؟

إنه الآن اسم يقترون بدولة الإسلام ودولة الفرس ودولة الروم، وكل دولة لها نصيب فى التاريخ، فأين كنا نسمع باسم عمر لولا البعثة المحمدية؟

لقد كان ولا ريب خليقاً أن يستوى على مكان الرعامة بين بنى عدى آلهم الأقربين أو بين قريش قبيلته الكبرى، ثم ينتهى شأنه هناك كما انتهى شأن زعماء آخرين، لم نسمع لهم بخبر؛ لأنهم عظموا أو لم يعظموا، يعطون البيئة كفاء ما تطلب من جهد ودراية، وهى تطلب منهم ما يذكرون به فى بيئتهم، ولكنها لا تطلب منهم ما يذكرون به فى أقطار العالم البعيد.

(١) قرى الخلد: قطعه ليصلحه. وقرى القرى أتى بالعجب، والمعنى أن عمر عِقرى منفرد فى عظمه، فلا يقدر أحد على أن يصنع مثله صنيعة.

(٢) اسم من تديبه للأمر، أى: دعاء.

وقد كان عمر قوى النفس، بالغاً في القوة النفسية، ولكنه على قوته البالغة لم يكن من أصحاب الطمع والافتحام، ولم يكن ممن يندفعون إلى الغلبة والتوسع في الجاه والسلطان بغير دافع يحفزهم إليه وهو كاره؛ لأنه كان مفطوراً على العدل، وإعطاء الحقوق، والتزام الحرمات ما التزمها الناس من حوله، وكان من الجائز أن يهيجه خطر على قبيلته أو على الحجاز ومحارمه المقدسة في الجاهلية؛ فينبى لدفعه، ويبلى في ذلك بلاء يتسامع به العرب في جيله ويعد جيله، ولكنه لا يعدو ذلك النطاق، ولا هو يبالي أن يمعن في بلائه حتى يعده.

بل كان من الجائز غير هذا وعلى نقيضه.

كان من الجائز أن تقسد تلك القوة بمعاقرة الخمر والانصراف إليها؛ فإنه كان في الجاهلية كما قال «صاحب خمر يشربها ويحبها» وهي موبقة^(١) لا تؤمن حتى على الأقرباء إذا أدمنوها، ولم يجدوا من زواجر الدين أو الحوادث ما يصرفهم عنها، ويكفهم عن الإفراط في معاصياتها.

فعمر بن الخطاب الذي عرفه تاريخ العالم وليد الدعوة المحمدية دون سواها، بها عرف وبغيرها لم يكن ليعرف في غير الحجاز أو الجزيرة العربية.

أما القدرة الأخرى التي يمتاز بها العظيم الذي خلق لتوجيه العظماء، فقد أبان عنها النبي عليه السلام في كل علاقة بينه وبين عمر من اللحظة الأولى، أي من اللحظة التي سأل الله فيها أن يعز به الإسلام، إلى اللحظة التي ندب فيها أبا بكر للصلاة بالناس وهو - عليه السلام - في مرض الوفاة.

سير غوره، واستنكته عظمته، وعرفه في أصلح مواقفه؛ فعرف الموقف الذي يتقدم فيه على غيره، والموقف الذي هو أولى بتقديم غيره عليه.

وليست هي مفاضلة بين رجلين ولا موازنة بين قدرتين.. ولكنها مسألة التوفيق بين الرجل والموضع الذي ينبغي أن يوضع فيه، والمهمة التي ينبغي أن يندب لها، والوقت الذي يحين فيه أوانه.

وربما رأينا في زماننا هذا رئيساً يوصى لنصير من أنصاره بالوزارة، ويوصى لغيره بقيادة الجيش، فلا نقول إنه يفاضل بين النصيرين، أو إنه يرجح

(١) موبقة، مهلكة.

أحدهما على الآخر في ميزان الكفاية، وإنما يختار كلا منهما لموضعه في الوقت الذي يحتاج إليه، ولا غضاضة على أحد منهما في هذا الاختيار.

فالنبي عليه السلام كان يعلم من هو أبو بكر ومن هو عمر، وقد عادل بينهما أجل معادلة حين قال: «إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾، ومثلك كمثله موسى قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾».

كان النبي عليه السلام يعلم - كما قال - أن عمر أشد المسلمين في الله، ويعلم أن في أبي بكر ليناً وهواة؛ فجمع للإسلام المزيتين حين اختار أبا بكر للصلاة، وضمن هذا الاختيار معني من معاني الاستخلاف.. أو كما جاء في بعض الروايات أنه نص على استخلاف أبي بكر بالقول الصريح.

فتعزى الإسلام بعد نبوته كان في حاجة إلى كثير من الهواة والمجاورة. وكان كذلك في حاجة إلى كثير من الشدة والصرامة. وإن تذهب شدة عمر إذا احتاج إليها أبو بكر في محنة يشد فيها اللين الوديع، إنما الخوف أن يذهب لين أبي بكر إذا اشتد عمر، ولاخوف من أن يلين عمر وأبو بكر شديداً فإن الموقف إذا استنفذ حجج الرحمة حتى يلجأ فيه أبو بكر إلى البأس ويصر عليه، فأقرب شيء أن يعدل عمر عن لينه، وأن يتوب إلى المعهود من صرامته ولده^(١).

وكان النبي عليه السلام يعلم أن احتمال التبعة أو «المستولية» خفيق أن يبدل أطوار النفوس في بعض المواقف والأزمات، فيجئ اللين إلى الشدة ويجئ الشدائد إلى اللين؛ لأننا إذا قلنا إن رئيساً أصبح يشعر بالمستولية، فمعنى ذلك أنه أصبح يراجع رأيه فلا يستسلم لأول عارض يمليه عليه طبعه، ولايقنع باللين أول

(١) اللين: شدة الخصومة.

وهلة إذا كان من دأبه اللين، ولا بالشدة أول وهلة إذا كان من دأبه الشدة. ومن هنا ينشأ الاختلاف بين موقف الرجل وهو مسئول، وموقفه وهو غير مسئول.

وهذا الذي ظهر أعجب ظهر في موقفى الصاحبين من حرب الردة؛ فإن عمر الشديداً قد أثر الهوادة، وأبى بكر الرقيق قد أثر القتال وأصر عليه. وكان عمر يقول: «إن رسول الله كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة» يمدّه الله بهم، وقد انقطع ذلك اليوم» ثم يقول للخليفة: «الزم بيتك ومسجدك، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب».

وكان أبو بكر يقول متسائلاً: «إن أكثر أعدائكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب؟ والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون» قوله الحق، ووعد الصدوق: ﴿يَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.. والله أيها الناس، لو منعونى عقلاً لجاهدتهم عليه، واستعنت عليهم بالله وهو خير معين!

هناك بلغت التبصرة بوجوه الرأى المختلفات غاية مداها، وجاء عمر بقصارى ما عنده من حجج الرأى الآخر حتى وضعت المناهج، واستقر العزم، والتقى الصاحبان عليه، فكانت شدتهما فى الحق شدتين.

وهب الأمر مع هذا قد اختلف فى موقف الصاحبين، فمال أبو بكر إلى السلم والمسامحة، فأين كانت شدة عمر ذاهبة عنه فى هذه الحال؟ أغلب الظن أنه هو الذى كان يتولى يومئذ أن ييسط وجه الشدة فى معاملة المرتدين؛ لأنه يعلم أنه المسئول عن بسط هذا الوجه دون غيره، فلا تقوت الإسلام مزية من مزايا الصاحبين.

إن محمداً عليه السلام قد عرف من هم رجاله، وما هو الموقف الذى هم مقبلون عليه بعد وفاته، فعرف الموضع الذى يضع فيه كلاً منهم، والعمل الذى يتولاه خير ولاية فى ذلك الموضع، ولم يفته أن يحسب حساب التبعة، وما فى احتسابها من ضمان للأخلاق الصالحة والعقول الراجحة، وأبو بكر وعمر من خيرة أصحاب هذه الأخلاق وهذه العقول.

ولا يحسبن حاسب أننا نفسر الأمور بما كشفته لنا الحوادث بعد وقوعها،

ولم يكن مقصوداً في النيات قبل ذلك، فإن الذي يحسب هذا الحسبان يخطئ تلك الخطأة الشائعة، التي لا تثبت على أقل نصيب من الروية والمراجعة، يخطئ في وهمه خطأة الذين يتخيلون أن هذه السياسات العالية من بدع الزمن الأخير، وليست هي من البدع في زمن كان؛ لأن العظمة لم تكن قط وفقاً على العصر الحديث، ولاسيما العظمة التي ترجع إلى الفطرة القويمة، والبيديهة النافذة، والنظر السديد.

فكل هذا التقدير الذي أجملنا شرحه، كان تقدير قصد وتدير، وكان مفهوماً على البدهة بين ولاة الأمر في تلك الآونة، ملحوظاً بينهم في مناجاة النيات، قبل أن نلاحظه نحن في عصرنا هذا من تفسير حوادث التاريخ.

والى ذلك أشار عمر في قول صريح، حين قال لمن هابوه وتحذثوا بخوف الناس منه: «بلغني أن الناس هابوا شدتي، وخافوا غلظتي، وقالوا: قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا بونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه؟ ومن قال ذلك فقد صدق، فقد كنت مع رسول الله ﷺ فكنت عبده وخادمه، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، فكنت بين يديه سيقاً مسلولاً حتى يغمسني أو يدعني فأمضي، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك، حتى توفاه الله وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد، ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر، فكان من لا ينكر دعته وكرمه وليته، فكنت خادمه وعونه أخلط شدتي بليته، فأكون سيقاً مسلولاً حتى يغمسني أو يدعني فأمضي، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد، ثم إنني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت^(١)، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعض لبعض...».

بل ظهرت آثار الشعور بالتبعة بعد موت النبي، والحال على أشده في يوم السقيفة، والمسلمون مختلفون على من يلي الأمر بعد محمد، حتى قيل فيما قيل: من الانتصار أمير ومن المهاجرين أميراً

(١) أضعفت: زادت أضعافاً.

هذه الحجة التي تشخص فيها لأنصار، وبطون النصارى، وبطون رلة
 أسامعه فيها بالكثير لدى لا يسدركه لأعوام كان عمر اتحاد الشديدي حتى
 يوازي الحجة من أبي بكر، ويهيئ لكلام البير ليفاج الأمر بالرهق والبؤدة،
 ويقول فيما روه عن محتته بك اليوم «وكنيت أدري منه بعض الحد - ي
 الحجة - فلما ردت أن أتكم، قال أبو بكر عني رسلك فكرهت أن أغضبه،
 فتكلم أبو بكر فكان هو أحم مني وأوقر».

عمر اتحاد الشديدي بحار من بوازي أبي بكر، وأبو بكر لطيم الوديع بك
 عمر عن الكلام، فيصيح

هؤلاء رجال يعرفهم صاحبهم، وهذه مواقف يعرفها صاحبها، وهذه مسألة
 فصل فيها لزمن، ولم يبق لك من الذين نعود إليها ونستخلص عبرتها، إلا أن
 نراقب ما فيها من آيات الإعجاز، وسوابق اسطر البعيد

ما وضع أبو بكر خيراً من موضعه، وهو يلى الإسلام والخطر من دخر
 أهله، ولطب الذي يطبهم به هو طب النألف والإحجام عن السطوة ما كان يلى
 الإحجام عنها، سبيل.

وم وضع عمر خيراً من موضعه وهو يلى الإسلام ولخطر عليه من أعدائه
 المحدثين به، والطب الذي يطبهم به هو طب الصلابة والحزم لدى لا ينكل^(١)
 عن صراع

وكثما نوقع الننى عليه السلام أن أيام أبي بكر معدودت، ولكنها أيام
 الننى تحتج إليه، وبكى لإنجار عمه، وتوقع أن يأتى عمل عمر فى حبه
 المقدور، فلا يفوت الإسلام أن ينتفع بعقدته فى عهد أبي بكر ولا فى عهده،
 بقول هذا على الترحيح، ومن حقاً أن نقوله على التوكيد لأن حديث النبى فيه
 غنى عن التأميل والتأويل قال عليه السلام «رأيت فى المنام نبي أبرع بدلو
 بكره على قلب^(٢)، فحاء أبو بكر فبرع ذوباً^(٣) أو ذوبيين برعاً صعباً والله
 يغفر له، ثم حاء عمر بن لخطاب فاستنحالت عرباً^(٤)، فلم أر عبقرياً يعرى عريه،
 حتى روى الناس وضربوا بعطن^(٥)».

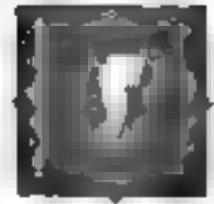
(١) ينكل بجين. ٢ قلب سر (٢) ذوباً ذوباً (٤) لقرب لذبو المنظمة (٥) عمل مريد ليجر حوى نام.

وفهم فقهاء الإسلام أن ضعف الترع هو قصر المدة وبصرفا لعزم إلى حرب الردة، وأن فيص يرى على يد عمر هو فيص العبقرية التي ينقش لها لأجل، وينقش أمامها مئذاح يعمل، ويؤتى لها من السبق ما لا يؤتى بغير العقبين.

ولنا أن نفسر العبقرية بمعناها الذي يفهمه الأقدمون، أو بمعناها الذي يفهمه نحن المحدثين، فكلا المعنيين مستقيم في وصف عمر بن الخطاب . أترام على كلا المعنيين شيئاً غير يتفرد و سبق والابتكار؟ كلا، ما للعبقرية مدلول يخرج عن صفة من هذه الصفات، ومن يكتب تاريخ عمر فقد صدق في النهاية أنه يكتب تاريخاً «الأول من صنع كذا، وأول من أوصى بكذا»، حتى ينتهي بسرد هذه «الأوليات» إلى عدد العشرات.

وتلك هي العبقرية التي لا يفرق قريبا حد، كما قال صاحبه وأعرف الناس به، صوات الله عليه.

رجل ممتاز



يوصف عمر بالعيقريه إذ يضرب إلى أعماله، ويوصف بها إذ بصرنا في
تكويده الذي جعله مستعداً لتلك الأعمال، مصطلحاً تلك القدرة، وإن لم يكن من
اللازم اللازم أن تقترب القدرة بالعمر الذي ينسب إليه، لما يتفق أحياناً من
وعوق معوانق بيده وبين الإبحار أو الاتجاه إلى ذلك العمل

إلا أن عمر كان رجلاً ممتازاً بعمله، ممتازاً بتكريهه، وكان وعاء شرط
لامتياز ولنفرده في عرف الأقدمين والمحدثين، من المؤمنين بدينه وغير
المؤمنين

د وصفته للأقدمين الذين يقيسون العيقرية بالقدرة والخبرة، عرفوا من
صفته أن الذي يوصف لهم رجل ممتاز، أو رجل سيج وحده^(١).

وإذا وصفته للمحدثين الذين يقيسون العيقرية بالعلم، أو مشاهدات العلماء،
عرفوا من تلك الصفة أنه رجل ممتاز، أو رجل موهوب

كانت نظرة إليه - قل، السماع بعمل من أعماله - نوقع في البروع^(٢) أنه من
معدن في الرجال غير معدن السواد^(٣) وأنه جدير بالهيبة والإعظام، خفيق أن
يحسب له كل حساب

كان مهيباً رائع المحصر حتى في حضرة النبي لدى تتطامن عنده الحبه،
وأولها حبه عمر.

أدرك النبي يوماً لجارية سوداء، ن تقي بندرها، «لنضرب يدها فركاً أن رده
لله سأل»، فثبث لها عليه سلام أن تضرب بالدف بين يديه.

وبدح أبو بكر وهي تضرب، ثم نحل عثمان وهي تضرب، ولصحابة مجتمعون،
فما هو إلا أن نحل عمر حتى وحمى الحاربة وأسبغت إلى دفاها بحقيه،
والنبي عليه السلام يقول: «إن لشخصاً ليخاف من ياعمر»

(١) تسجيح وحده لا نظير له

(٢) البروع العقل أو القلب

(٣) سواد الناس عوامهم

وروت السيدة عائشة رضي الله عنها أنها طمحت له عبه لسلام حريرة^(١) ودعب سودة أن تاكل منها فأتيت، فعزمت عليها لتأكلن أو لتطحن وجهها، فلم تأكل فوضعت يدها في حريرة ولصحتها بها. وصحك النبي عليه السلام وهو يضع حريرة بيده لسودة، ويقول لها «لطحي أبت وجهها» فقعت
 ومر عمر فتاداه النبي «يا عبد الله» وقد ظن أنه سيدخل، فقال لهما «هوها فاعسلا وجهيكما».

قالت لسيدة عائشة فما زلت أهاب عمر لهية رسول الله ﷺ إياه. ومن تلك لهية أنها كانت رضي الله عنها تتحفظ في زيارة قبره بعد موته، وحكت ذلك فقالت «عزلب أضع خماري وأتفضل^(٢) في شأبي، وقول نص زوجي وأبي، حتي دهن عمر من لحصب فلم أرل متحفظة في شأبي حتى بنت بيني وبين القبور حداراً فتفضلت بعد».

وإن من أدب الرسول عبه سلام نه كن يرعى تلك الهبة رصاً عنها. واعسباً بأثره في بصرة بحق وهزيمة الباطل، وتأمين الخير ولصدق. وإخافة أهل البغي والبهتان

وقد كان لذين يعرفون عمر أهيب له من الذين يجهلونه وتلك علامة على أن هيبة كانت قوة نفس تملأ الأفئدة قبل أن تملأ الأضرار. فربما اجتراً عليه من لم يعرفه ومن لم يخبره. لتخافه عن الضلأ، وقلة كثرته للمظهر ولثيب، أما لذين عرفوه وختبروه فقد كان يروعهم على لفحاة روعه لا تذهبها الألفة وطول المعاشرة، ومن ذاك أنه كان بمنى ذات يوم وحفه عدة من أصحاب رسول الله، د بد له فالتفت فم ينق منهم احد، لا وحيل ركنيه ساقط.

وتدحج عمر والحمام بفص له شعره هدهر الحمام عن نفسه، وكذا من يغشى عليه، فأمر له ياربعتين درهماً.

فهى هبة من قوة النفس قبل أن تكون من قوة لجسد، إلا أنه مع هذا كان فى مبطل الجسد رثعاً يهول من يراه، ولا يذهب الخوف منه إلا الثقة بعدله وتقواه

(١) الحريرة هاء - تدقيق يمدح بنى فتكون حساء

(٢) التفضيل ليس الفضال وهى الثوب يطبخ فى البيت للحمة أو النوم

كان طويلاً بائن اصول تُرى ما شيا كأنه ركب حسيماً صلب يصرع لأقوياء، ويروص الفرس بعير ركاب، وينكلم فيسمع السمع منه وفاق ما رأى من نفاذ قول وفصل خطاب.

تشهد العيون كما تشهد القلوب أنه لمن معدن العظمة، أو معدن العبقريّة والامتيار بين بني الإنسان، ولمحدثين علامات في العبقريّة تتصل بالكوين، وتركيب الخلقة كما تتصل بعدلول الأخلاق والأعمال

هالعالم الإيطالي «بومبرونو» ومدرسته التي تلم برأيه يقرون بعد تكرار النجربة والمقارنة، أن للعبقريّة علامات لا تحطتها على صورة من الصور في أحد من أهلها.. وهي علامات تتفق وتتفاض، ولكنها في جميع حالاتها وصورها سمط من ختلاف التركيب ومبديه للوتيرة العامة بين أصحاب التشابه والمساواة

فيكون لعبقري طويلاً بائن أطول أو قصيراً من لقصره ويعمل بيده ليسرى أو يعمل بكتف اليدين، ويسفت لنظر يفراره شعره، أو يبراة لشعر عى غير المفهوف في سائر الناس، ويكثر بين العبقريين من كل صرار جيسان لشعور، وفرط الحس، وعربة الاستحباب للطواري، فيكون فيهم عن فرط سورتته^(١)، كما يكون فيهم من يفرط هدوءه، ولهم على الجملة ولع يعلم العيب وحفياً لأسرر عى يحو يلحظ تارة في الركائز^(٢)، وإفراسة، وتارة في النظر على البعد، وتارة في الحماسة لديبية، وفي الحشوع لله

ومهما يكن من الشك في استقصاء هذه لعلامات، والمطابقة بين تفصيلاتها وبين لواقع، فهي بلا ريب صادقة في حالات، مفارقة في حالات، غير أهل في كل حال للتصديق النام، ولا انبعد النام ولا سمع عدم تتفق فيها الظواهر والبواطن، وتلاقى فيها ملاحظات العامة وسواها يعرف المتيور.

وهي عمر بين الخطيب من هذه العلامات كثير

كان كما تقدم طويلاً يمشى كأنه راكب وكان أعسر يسراً^(٣)، يعمل بكتف بديه، وكان أصلع جعيف بعارصين، وكان كما وصفه علامة وقد سأله لبال

(١) سورة سلسل منطوته وعتاؤه

(٢) لركانه والإفراسة ان يظن لشخص فخصيص

(٣) الأعسر اليسر الذي يعسر مكلف بديه.

كيف نجدون عمر؟ فقال خير ليس، لا به إذ غصب فهو أمر عظيم
وكن سريع الكاء إن حاشت نفسه بالخشوع بين يدي الله، وأثر الكاء في
صفحتي وجهه، حتى كان شأهد فيهما حصن أسودان.

ومن فرط حسه وتوهم شعوره أنه كان يصير بين بعض المذوقات والمشمومات
التي لا تسهل التمييز بينها، سقده علامة ذات يوم بد، فأكرهه، فسأله وبحك من
يُن هذا اللبن؟ قال اعلما من الذقة انقلت عليها وادها، فشرب لها فحبت
لك ناقة من مال الله.

وقد عرفت أهل البادية، وعرفهم أنهم جميعاً أصحاب إبل وألبن، ولكننا لم
نجد منهم إلا قليلاً يدعون أنهم يفرقون بين ابن الناقة، ولبن غيرها هذه التفرقة
السريعة، ولا سيما في المنع الواحد والمرعى المتقارب.

وكانت به دراسة عجيبة بادره يعتمد عليها، ويرى أن «من لم يدفعه ضيه لم
سعه عيبه». وروى به في أمر هذه الدراسة رويدات قد يصدق منها القليل،
ويستريب المياعة إلى كثير، ولكنها على كلتا الحالتين تنبئنا بحقيقة لاشك فيها،
وهي أنه اشتهر بالفرسة وحب الفرس، والاستسباط ناسطرة العرصة، فمن
دلت أنه كان جالساً فمر به رجل جميل، فقال ما معناه. أحسبه كان كاهنهم في
لجاهلية، فكان كذلك.

ومنه أنه أنصر أعرباً نزلًا من جبل، فقال هذا رجل مصاب يولده، قد نظم
فيه شعراً لو شاء لأسمعكم، ثم سأل الأعرابي من أين أتيت؟ فقال من أعلي
لجبل فسأله وما صنعت فيه؟ قال أودعته وبيعة لي. قال وما وديعتك؟ قال بُني
بي، فلك مدقنته. قال فأسمعنا مرثيتك منه، فقال وما يدريك يا أمير المؤمنين؟
بوالله ما نفوحت بذلك، وإنما حبست به نفسي ثم أشد آتيت خيمها بقوله

فالحمد لله لا شريك له في حكمه كان ذا وفي قدره
قدر موثقاً على العباد فحسب بقدر خلق يرد هي عمره
سكنى عمر حتى بن لحية، ثم قال صدقت يا عرابي

وكان حمير بن وهب الجعفي وصفوان بن أمية يذكر ن مصاب أمر بدر
فقال صفوان والله ما إن في لعش بعدهم حسر، فوافقهم حمير وهو يقول

كاعتمر من خلفه عن الثَّارِ أَم و لله بولا بين على يس له غدى هصب،
وعيدل أحشى عليهم الصبغة غدئ، لركت إلى محمد حتى آفته.

فقال صفون بحر ضه عى دينك، أث أقصب عنك، وعياك مع عيالى
أوسيهم ما بقو، ولا تسعنى شئ ويعجز عنهم
هو قم كلامه من نفس عمير فأسر إليه بعمره على لعدو بالنبى، وشخذ سيفه
وسمه، ثم أطلق حتى قدم المدينة.

فم بصر إليه فتوشحاً بالسيف حتى أوحس منه وهمس لم معه هـ الكلب
عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا بشر، وهو بدي حوش بيننا وحزرت^(١) للفوم
يوم بدر. ثم دخل على النسي فأخبره خبره، وعاد إلى عمير فأخذ بحمالة سيفه
فى عنقه فلبيه^(٢) بها، وقال لرجال من الأنصار ادخروا على رسول الله ﷺ
فجلسوا عنده واحدروا عليه من هذا الحبشة فيه غير مأمور، ثم دخر به على
رسول الله، فلم رآه وعمر اخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال «أرسكه يا عمر، أدن
يا عمير».

وجلس رسول الله يسأل عميراً وهو يراو، حتى ضاقت به مفايد الإنكار
هب ح بسمه، وأعلن الإسلام والتوبة

هذه الفراسة وشبهاتها هي صوب من استبحاء الغيب، واستبطا لأسرار
بالنظر الثاقب، وم من عجب أن تكون هذه لحصلة فرسة من فرائن العبقرية
فى حاشية من حواشيه.. إذ ما هي العبقرية فى سبيلها ك ث ما كان عمل
المخصف بها؟ ما هي الحكمة لعبقرية؟ ما هو الفن العبقرى؟ ما هو دهاء
السياسة فى الدهاة العفرين؟ من هو

الألعى الذى مظن بك لطن كآن قد روى وقد سمعا

كل أولئك بلقى فى هة واحدة هي كشف الحفاب، واستيضاح لبوطن
واستخراج لمعى لنى تدق عن الألأاب، فبصاها بالفراسة وشبهاتها أمر
لا عجب فيه، ولا استراف به عن اسحو الذى تتحيه

والذى يعيب من الفراسة وشبهاتها فى صدر الكلام عن عمر رضوان به

(٢) بيه جمع قتيبه عن بجره ثم جره

(١) حرر اشقى - قدره بالحمين

عليه، أن يحصى لحصال الأخرى التي هي ككافرسه في هذا الاعتبار، وهي
التعاقُل والاعتداد بالرؤيا، وانصر أو الشعور على البعد أو «استثنائي» كما
يسميه النفسانيون المعاصرون، ولكل أولئك شواهد شتى مما روى عن عمر في
جفافيته وبعد إسلامه، إلى أن أدركته الوفاة.

جاءه رسول من مبدان بهاوت فسأله ما اسمك؟ قال قريب وسأله مرة أخرى
ابن من؟ فقال ابن ظفرا فتعطل وقال: ظفر قريب من شيء لك، ولا قوة إلا بالله.

ودوي يحيى بن سعيد بن عمر سأل رجلاً ما اسمك؟ قال حمرة. فسأله بن
من؟ قال: ابن شهيد. فسأله ممن؟ قال من الحرقعة وعدد سألته تم ممن؟
قال من بنى ضرام وهكذا هي أسئلة ثلاثة أو أربعة عن مسكنه ومرفعه
والرجل يحب بما فيه معنى لمار ومراذفتها، حتى استوفاه، فقال عمر أدرك
أهلك فقد احترقوا.

وقد يكون التأليف طهرًا في هذه القصة، ولكنها مع تليقها، لا تحو من
الدلالة على شهرة عمر واستكناه الألفاظ في معرض التعاقُل أو لإسار.

ما الرؤيا فاحر ما روى عنه من أحبارها، أنه رأى هيل مقلته كان ديك
يقره بقرين، فقال: يسوق الله إلى الشهادة ويقبلي أعجمي فإن الديك هي
الرؤيا يفسر برجل من العجم.

على أن انكشافة رؤى Vision كما يسميها النفسانيون المحدثون، إنما
تظهر بأحلى وأعجب من هذا كثيرًا في قصة سارية شهيرة، وهي مما يحده
ولئك النفسانيون بهية التلثائي Telepathy، أو الشعور البعيد.

كان رضى الله عنه يخطب بالمدينة حصاة الحمرة، فالتفت من الحصاة،
وبدئ بأسارية بن حصن، الحصن الحبل. ومن استرعى الذئب ظلم.

سم بهم اسماعون مرده، وقضى صلاته، فسأله على رضى الله عنه
ما هذا الذي نارت به؟ قال أوسمعتة؟ قال نعم، فأكل من في لسجد.

مقل وقع في حدى أن شركين هزموا إحيوت، وركوا كتبهم، ونهم
يمرون حبل، فبن عدلوا إليه قاتلوا من وحدوه وطفروا، وإن جاوروه ملكوا
فخرج مني هذا الكلام

وحاء البشير بعد شهر قدكر بهم سمعوا في دنت سوم، وثب الساعة حين
حاوروا الحبل صوتاً يشبه صوت عمرء يقول ياسارية بن حصن، الحسن..
لجلنا فعدنا إليه ففتح الله علينا

ولا داعي للحزم سوى هذه القصة استنداً إلى العقل أو إلى لعم أو إلى
التجربة الشائعة، فإن العقل لا يمدعها والعلماء انفسائهم في عصرت لا يتفقون
على نقيض، وفي أمثالها، بل منهم من مارسوا «استثنائي» وسحبوا مشاهدته،
وهم محدثون لا يؤمنون بدين إلا أن لهم من نقر هذه لقصة في هذا، اصدده،
أن عمر كان مشهوراً بين معاصريه بمكاشفة الأسرار الخفية، بما بالمراسة،
أو الظن الصادق، أو الرؤية، أو لنظر البعيد، وهي الهبات التي سحقها
بالعقريه علماء العصر الذين درسوا هذه حربة لإنسانية النادرة ورقصوه،
وأكثرنا من المقارنات فيها، وانتعقيات عليها.

فهو رجل نادر بما تراه منه بعين، نادر بما تشهد به الأعمار والأخلاق.
نادر في مقاييس الأقدمين ومقاييس المحدثين.

أو هو رجل ممتاز وعقري موهوب في جميع الأراء

صفاته



بحر على هذا أمم رحل لا كالحال رجل عبرى، أو رجل ممتر من حصة
لحليقة بدین لا يعدون فی الزمن الواحد بأكثر من الأحاد

نقول رحل قوى؟ نعم هو رحل قوى لا مرأء، وكل عظیم فهو قوى بمعنى من
معنى لقوة. نعلم هذا، فنعلم الشيء المهم عنه، ولكن بعد هذا لا نعلم شيئاً
مهماً عن صفته وأخلاقه، لأنّ لناس من حيث «لقوة أقوياء وضعفاء»، أو
متوسطون ومحرهون، إلى هذا تارة، وإلى هناك تارة أخرى. أما من حيث
الصفات والأخلاق، فهم «لوف وألوف»، وهم في قوتهم أو ضعفهم أنماط
لا تحصى من المناقب والعيوب، وأخرى بنا أن نقول، إن «لقوة صفة نسبية من
حملة مناقب الإنسان وعبويه فهي حالة تدل عليها المناقب والعيوب، أو تدل
عليها الصفات والأخلاق، وليست هي بالحالة التي تدل على مناقب الإنسان
وعبويه، وتهديت بغير هاد إلى صفته وأخلاقه

فقد قت إن عمر بن لخطب رجل قوى فما زلت على أن تقول إنه رحل
عبرى، أو إنه رحل عظیم.

وكل رحل من هذا القبيل، فمعرفته ليست بالأمر سسير لأنه يعط لا يتكرر،
فيسهل فهمه بالقياس إلى مثابه الكثيرين. وقد يكون الرجل اعظیم بمطأ
وحيداً في التاريخ كله لا يطير به في تفصيل أخلاقه وضعافه وإن ساوه في
القدر آتداد وقرباء،

وعمر بن لخطب مثل هذا من أمثلة هذا الطراز لفريد، نفهم سره فإما هو
على وقاف مع جهره، وتتقد إلى بطنه فريد هو مصدق لظاهر من سيماه^(١).

فهل حسب العقدة بهذا لتقريب بين الظاهر وباطن، وبين الجهر والسريرة؟
كلا، ولا تقدما بعداً في طريق حبس. لأنك لا تعرف هذا لتقارب لا بعد معرفة

(١) سيماه، علامته، والبراء ما اشتهر به

السريرة التي بحث عنها، فلا بد إذن من البحث، ولابد من المعرفة، فإذا وصلنا إلى الغور البعيد عرفنا سبب اعتدائه لا يدق قص الطاهر المكشوف، ولكن لابد من الوصول إلى الغور البعيد قبل ذلك.

لا تناقض في خلائق عمر بن الخطاب، ولكن ليس معنى ذلك أنه يسرّ قهما من الحساقضين، بل لعله أعصّل ههما منهم في كثير من الأحوال فالعظمة على كل حال ليست بالمطلب اليسير لمن يستعيه، وليست بالمطلب اليسير لمن يبعث إلى صحيحه ويحنّويه.

إنما الأمر الميسور في التعرف بهذا الرجل العظيم أن خلائقه الكبرى كانت بارزة جداً لا يسترها حجاب، فمن قارئ لم بفذلكة صالحة من ترجمته إلا استطاع أن يعلم أن عمر بن الخطاب كان عادلاً، وكان رحيماً، وكان عسوراً، وكان قصداً، وكان وثيق الإيمان، عظيم الاستعداد للخوة الدينية.

فالعدل والرحمة والخيرة والعظمة والإيمان لو شئت صفات مكية فيه لانحفي على ناطره، ويبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف تتجه هذه الصفات إلى وجهة واحدة، ولا تشعب في تجاهها طرائق قدماً^(١)، كما ينفق في صفات بعض العظماء، بل يبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف يتمم بعض هذه الصفات بعضاً، حتى كأنها صفة واحدة مصلة الأجر، ملاحقة لألوان.

وأعجب من هذا في التوافق بين صفاته، أن الصفة الواحدة تستمد عناصر من روافد شتى ولا تستمدّها من ينوع و حد، ثم هي مع ذلك متفقه لا تناقض، مسندة لا تتخادل، كأنها لا تعرف العدد و لتكثر في شيء.

هذا أدنك مثلاً عدله، المشهور لدى تسم به كما لم يتسم قط بفضيلة من فصائله الكبرى، فكم رافدة^(٢) لهذا الحق الحميل في نفس ذلك الرجل العظيم؟ روافد شتى بعضها من وراثة أهله، وبعضها من تكوين شخصه، وبعضها من عبر أيامه، وبعضها من تعميم دينه، وكلها بعد ذلك تمضي في اتجاه قوي إلى غاية واحدة لا تنم على فتوق.

لم يكن عمر عادلاً لسبب واحد، بل لجملة أسباب

(١) طرائق عدد فروق مختلفة (٢) رافدة، أي قدما بعدد بعدد جوقبة أو نهير

(٣) طرائق عدد فروق مختلفة

كان عادلاً، لأنه ورث القصة من قبله وأدبه، فهو من أبيه بيوت من عادى
الدين يوبى السفارة والحكيم في لجاهلية وراضى أنفسهم من أجل ذلك حلاً
بعد حسن على الإنصاف وقصر الحساب، وحده بفيل بن عبد العزى هو الذى
هضى لعبد المطلب على حرب بن أمية حين سافرا إليه، ونافسا على لرعاية،
فهو عادل من عادلين، وباشى هي مهد لحكم والموار، بين لأقوياء

وكان عادلاً لأنه قوى مستقيم سكين طبعه، وإن شئت فقل بضاً بتكوينه
الموروث إن كان أبوه الحساب وحده بفيل من هل لسدة واناس وكانت أمه
حبيمة بنت هشام من المعيرة قائد قريش فى كل بضل، فهو على حلقة شى لا
بحسب، لأنه لا يخاف، والذي يحلل من ليس إلى القوى، لأن جبه، ومن الحور
على الضعيف، لأنه عوج يزرى جنونه وشعبه.

وكان عادلاً لأن به من بنى عادى قد دقو طعم الصم من أقربائهم من عادى
شمس، وكانوا أشداء فى الحرب يسعوبهم لعقه الدم^(١)، ولكنهم عذبوا على أمرهم
لقلة عددهم بالقياس إلى عدد أقربائهم فاستقر بهم بعض القوى المضوم للظلم،
وحبه للعدل الذى مارسوه ودرّبوا عليه، وساعدت عبر الأيام على نمكين خيفة
العدل فى خلاصة هذه الأسره، وخلاصة هذه القبيلة، وتعنى به عمر بن الخطاب

وكان عادلاً بتعليم الدين الذى استمسك به، وهو من أهله بمقدار ما حذره
وهو عدوه، فكأن أقوى عادلين، كما كان أقوى المنقيين ومؤسسين.

وكذلك جتمعت عناصر الوراثة الشعبية، ولقوة لفردية، وعبر الحوادث،
وعقيدة الدين فى صفة العدل التى أوشكت أن تستولى فيه على جميع الصفات
كان عادلاً لأسباب، كانه عادل سبب واحد لقلة تناقض فيه وربما كان
تعدد الأسباب هو العاصم الذى حمى هذه الصفة أن تتناقض فى أثره؛ لأنه
منحه القوة التى تشده كف يشد الحبل لميرم فلا تتفكك ولا تتوزع، فكان عمر
فى جميع أحكامه عادلاً على وبيرة واحدة لا تهوت بينها، فهو تفرق بين يديه
مئة فصية فى أعوام متعاقدة، لكن على ثقة أن تتفق الأحكام كلما تفقت
نقصاها، كانه يطبعها بطابع واحد لا يتغير.

(١) لعنه آدم سموه كذلك لأنهم تصادوا مع عبرهم صحرى جرور، فلعنه دمه أو سموه اسمهم به

إلا أن الصفات يد طعت هذا مبلغ من اقوة الرابعة، لم تكد تسلم من طروء
التناقض عليها، وإن سمعت منه بصيغتها لأنها تدخل في صفات النطولة التي
تشير الإعجاب والمبالغة، وكل بطولة فهي عريضة لمبالغات والإصافات، ومن ثم
لا تسلم من تناقض الأقدوس،

وصفت عمر كلها صفات لها طبع النطولة، وهيها دوى الإعجاب والإعجاب
والمبالغة ومصر؟ من الأصدقاء المصدقين لأنهم لا يتهمون بقصد السوء وهم
في مواقع أولى بالاحتراس من الخصوم المسهين - فمن هنا يجيء انتدافض لا
من طبيعة الصفات التي ثابها،

والعدل مثلاً هو لمساواة بين أعد الدس وأقربهم في قضاء الحقوق، وإقامة
الحدود،

وليس أقرب إلى احكام من أنه

فقد سوى الحكم بين ابنه وسائر الرعية، فذلك عدل متأثر بقتدي به
لحاكمون

ولقد سوى عمر بين أسائه وسائر المسلمين، فمخ ذلك مبلغ لنطولة في هذه
لصفة النادرة بين الحكام

وذلك كف في معظم قدره، لا حاجة بعده إلى مزيد

إلا أنه صفة من صفات النطولة التي تروع وتعجب، وتعلل النفس برغبة
في تحدث بها والإطبات هي أحاديثها، فهي لا تكفي لمبالغين حتى يجعلو عمر
مقيماً للحد على ابنه، مثبته في عقوبته شتداداً لاسوى منه بينه وبين غيره
ثم لا تكفي لمبالغين بهذا حتى يموب لولد قد استنفاء العقوبة، فمضى عمر
في حله وهو ميت لا تقم عليه الحدود، ومن اعتدى من المبالغين لم يذكر الموت
رأبهم العقوبة، وذكر ما أن الولد مات بعد ذلك بشهر من موضح لضرب الذي
نقل عنه، وحجز عن احتماله

نعني بما تقدم قصة عبد الرحمن بن عمر في مصر، وهي كف رواها عمرو
بن العاص وإلى مصر يومئذ حيث يقول «دخلنا - عبدالرحمن بن عمر وأبو
سروعة - وهما منكسران، فقالا اقم عبيد عبد الله، فبأ قد أصابنا البارحة

شرباً فسكروا، فبربرتهما^(١) وطردهما، فقال عبد الرحمن إن لم تفعل أحسب
 أني إذا قدمت عليه فحصرني رأي وعلمت أني إن لم أقم عليهما لحد عصب
 على عمر في ذلك وعزلي، وحالعه ما صنعت، فحن على ما نحن عليه، إذ دخل
 عبدالله بن عمر، فقامت إليه فرحبت به، وأردت أن أجسه في صدر مجلسي
 فأبى على وقال: أبى نهني أن أجد عليك إلا إلا أحد من ذلك بدأ إن أحي لا
 يخلق على رءوس الناس، فاجأ بصرب فاصع ما بدا لك.

قال عمرو بن العاص «وكانوا يحقون مع جد، فأخرجتهما إلى صحن
 لدار فصرتهما لحد ودخل ابن عمر صاحبه لي بيت من لدار فحبق رأسه
 ورأس أبي سروعة، فوالله ما كتبت إني عمر شيء مما كان حتى إني تحينت
 كتابه إذا هو تضم فيه «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله أمير المؤمنين
 عمر إلى لعاصي ابن العاص.

عشت لب بين لعاص وأجراؤك على وخلاف عهدي.. فما أرى إلا عذرك
 فمسيء عرب، تضرب عبدالرحمن في بيتك، ونطق رأسه في بيتك، وقد عرفت
 أن هذا يخالفني إنما عبدالرحمن رجل من رعيك تصنع به ما تصنع بغيره من
 المسلمين، ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت ألا هو دة لأحد من
 الناس عدي في حق يحب له عليه فدا حاد كندي قد فبعث به في عيافة
 على قنن^(٢) حتى يعرف سوء ما صنع.

قال: «فبعث به كما قل نبوه، وأقرأت من عمر كتاب أبيه، وكتبت إلى عمر
 كتاباً أعتد فيه وأخبره أني مسومه في صحن دارى على الدمى والمسلم،
 وبعثت بالكتاب مع عبدالله بن عمر.

قال أسلم «فقدم عبدالرحمن على أبيه فدخل عليه، وعنه عناة ولا يستطيع
 المشي من مركبه، فقال لعبدالرحمن فعت كذا، فكلمه عبد الرحمن بن عوف
 وقال: يا أمير المؤمنين قد أقم عليه الحد مرة فلم يلتفت إلى هذا عمر وربره.
 ففعل عبدالرحمن بصيح أنا مريض وأنت قانلى فضره وحسه، ثم مرض
 فمات رحمه الله.

(٢) النسبة الرعي الصمير على قدر سدرم البعير.

() ربربرتهما رجربرهما وسبرتهما

فهذه قصصه تنوافق أحبارك ومن رويت عنهم فلا تستعربها في جميع تفصيلاتها إلا حين نظراً عليها المدلعة التي تتسرب إلى كل حجر من أخبار الطولات المشهورة، وذلك أن يقسو عمر على يده تلك لقسوة التي لا يوجبها الدين، ولا تقسها الفطرة الإنسانية، فيقيم عليه الحد وهو ميت، أو يعرضه للموت من أجل حد أقدم.

هذا هو العرب الذي استوقفنا فأنكرناه، ومضينا في تمحيصه فطابق النمح من مآذريه، أما سائر القصص فلا عراة فيه من كل بوحه من هو من القصص التي تستعد فيها لتلقيق والاخر ع. إلا أن يكون لموفق من حقائق الرواة ومهرة الوضاح.

ولو كان المصدر واحدٌ معروفاً بالحدق في القصص لحسنها من وضعه، وتلقيقه، ولكنها سمعت من غير مصدر موثوق به، فهي أقرب إلى الوقع فيم يشبهه، ويجري مجراه، فعند رحمن بن عمر يذهب إلى الولي لأنه شرب شئت فيه غير مسكر، هذا هو قد سكر منه، ولا مدص من إقامة الحد عليه، وإلا رفع الأمر إلى يده. وهي شيشنة^(١) عمرية لا ليس بها، وهو ابن عمر لا مره.

ولوالي، ومن ابوالى؟ عمرو بن العاص الذي لا حفاء بدفائه، ولا يبعد حسابه، فهو تريث يائي لأمر ويحارب أن يصرف الفتى إذا صاب به لا يصرف دور أن يقيم الحد عليه. وهي أيضاً شيشنة لا عراة فيها فمن يدري؟ ألا يحذر أن يصبح هذا الفتى أخاً للحليفة ومديراً لمسلطن معه في يوم غير بعيد؟

والخبيعة سري بالأمر فهو له ويسكب أن يحفيه عنه و يبه فلا يصح إليه بؤه من قبله، وهو ما هو في نحرجه من نعة بحمها عاقلاً عنها، لحرص الولاة على تحري هواه، وبغاء رصاه، فيشفق أن يقع ابنه في معصية ثم ينحو من الحد الذي شرعه الدين، وهو مسئول عن لولة والحدود ومسئول عن دويه لأقرين قبل سائر المسلمين.

كل أولئك كما قلنا سانع لا عراة فيه.

(١) الشيشنة، الحق والطبيعة

أما العريب من عمر حقا في معدته وعلقه بالدين وكبره رياء الناس، فهو أن يتم على ابنه الحد وهو ميت، أو يشتد في إقامة الحد على ابنه حتى يتلف، أو يصاب بما يتلفه بعد أيام.

فلا موجب لذلك من حكم دين ولا انقاء شعبة.

وهو مع هذا مخالف لما عرف عن عمر في إقامة الحدود خاصة وفي مثل هذه العقوبة بعينها.

عقد جيء له يوم مشرب سكران، وأراد أن يشتد عليه فقل له لا تعثت في رجل لا تأخذه فيك هواة، فبعث به إلى مطيع الأسود لعبدى لنقيم عنه الحد في غده، ثم حضره وهو بصربه ضرب شديدا فصاح به قتلت الرجل، كم ضربته من ستين، قل أقص^(١) عنه عشرين أي ارفع عنه عشرين ضربة من أجل شدتك عليه فيما تقدم من الضربات.

وقد كان من دأبه أن يترتب في إقامة الحدود، حتى ليؤثر - كما قل - تعصيلها في الشبهات على أن يقيمها في الشبه.

ومر يقوم يتعمون رجلا قد أخذ في رية مقب، «لا مرحبا بهذه الوحوش التي لا ترى إلا في الشر».

وربما غصب على بوالى من كبار ابولاة يملونه في نقاصى حدود على المعاصى، كما فعل في إنداره الشديد لأبي موسى الأشعري حين جند شربا، وحق شعره، وسوى وجهه، وبأدى في الناس ألا يحاسروه ولا يؤاكلوه فأعطى الشاكى مائتى درهم وكتب إلى أبي موسى «لن عدت لأسود وجه، ولأطوفن من في الناس» وأمره أن يدعو المسلمين إلى محاسنهم ومؤاكلتهم وأن يمهله يثوب، ويقل شهادته إن تاب.

وتفقد رجلا يعرفه فقل له إنه سابع الشراب فكتب إليه «إني لأحمد إليك الله أبدي لا إله إلا هو عاقر الدثب وقابل الثوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير»^(٢).

(١) قص حد له بقمصه أي أقم القمص عنه بحدب عشرين وبعد لأصل قصص عنه عشرين أي أقمص عنه عشرين، ورواية الداء من بحريف، براء.

(٢) آية ٢ من سورة عاقر الدثب وهي الحول، صاحب الفضل والإحسان.

فم يزل الرجل يرددّها وينكى حتى صحت توبته وأحسن الترفع^(١)، وبلغت توبته عمر فقال لمن حصرهوا مجلسه «هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخذ لكم زل زلة فسددوه ووقفوه، وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكوموا أعوان الشيطان عليه»

وقد يكرر منه إعفاء الزنيت من الحد لشبهة القهر و لعجز عن مقاومة، وتكرر منه الإعفاء لمثل هذا لعذر في غير ذلك من الحدود.

فلم يكن عمر بالسريع استعصش إلى إدامة الحد ولم يعرف عنه قط أنه أقام حداً وله ممدوحة عنه

وفي قصة ولده مباح شئى نرصيه على شدة بخرجه وبحريه، ثم لاجاجة بعثه إلى رياء العدل، فيحور على أنه، ويسرف في لنفسه عليه ليقل، إنه سوى بينه وبين غيره

وأصبح من ذلك أن ناخذ برواية عبدالله بن عمر، وهو أحق الناس بالمبالغة في عدل أبيه لو كانت المبالغة مما يحسن بعثه، فقد روى هذه القصة فقد مخلصه «إن أبا عبد الرحمن وأنا سرورة عنة بن حارث سكران، فلم أصبحا نطيق إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر، فقالا طهرنا غبانا قد سكرنا من شراب شربناه ولم أشعر أنهم أتيا عمرو بن العاص، فقلت والله لا يحق ليوم عى رعى الأشهاد دخل أحق، وكنوا إذ ذاك يخلقون مع الحد فدحل معى لدار فحقت أخى بيدي، ثم حلهف عمرو بن العاص، فسمع عمرو بن حصيب، فكتب إلى عمرو أن ابعث إلى بعد لرحمى بن عمر عى قتب، ففعل ذلك عمرو، فما قدم عبد الرحمن عى عمر حله وعاقبه من أجل مكانه منه، ثم أرسنه فلبث شهراً صحيفاً ثم صحيفاً، ثم أصابه قدره، فحسب^(٢) عامة الناس أنه مات من الحد ولم يمض منه».

هذه رواية عبدالله عن أبيه وأخيه ولو كان الأمر مبالغة في عدل عمر لكان لابن أحق الناس بهذه المبالغة، أو كان الأمر رحمه بعد الرحمن يكن الأح أحق لباس بهذه الرحمة، ولكنه أمر صدق لا بعض منه ولا زياده

(٢) بحسب من.

(١) الحسن الترفع، كلف عما كان فيه ونهى.

فلا بد من مجور ب أن يقبله من هذه القصة هو لحاب الذي يستقيم مع حلائق
عمر ولا تناقضها، وهو العدل الصحيح في محاسبة ولده على ذنبه ولا زيادة،
ولا سيما لزيادة التي لا تستقيم مع عدله ورحمته على السوء وكلا العدل
والرحمة من صفاته الأصيلة فيه.

نعم كنت، برحمة من صفاته التي وارت فيه لعدل أحسن عوارنة.. فما عهد
فيه أنه أحب العدل لعضه من الأقوياء المعتدين، كما كان يحبه لعدته للضعيف
المعتدي عليه.

ولا يمنع ذلك أنه كان حشن للمس، صعب الشكمة، جافاً في القول، ذا
ستغضب واستنثير، فليست الحشونة بفضلاً برحمه، وليست النعومة بفيضاً
للقسوة، وليس لذين لا يستأرون ولا يستعصرون مؤرجم بنفس فقد يكون
لرحم باعماً وهو منطوي على لعف والبعضاء، ويكون لرجل حشناً وهو أعطف
خلق الله على الضعفاء، من كثيراً ما تكون الحشونة الظاهرة نقباً يستقر به
الرحم القوي فراراً من مصبة الضعف الذي يساوره من قدر برحمة، فلا تكون
مدارة الرقة لا علامة على وجوده، وحذراً من ظهورها

ومن المألوف في الطبائع أن لرجل الذي يقسو وهو معتصم بالواجب قلماً
بیطمع على القسوة ولا سبب إذا كان لواجب عنده شئ عظيم يربى كل عقبة،
ويبطئ كل حجة ويقطع كل بريعة، فهو إنما يعتصم بالواجب في هذه الحالة،
كما يعتصم الإنسان بالحصن المنيع كلما حشى أن تقتحم عليه طريقه، ولولا
خوف الرحمة أن تعبته لكانت به حاجة إلى ذلك الحصن المنيع ولا سيما حين
يكون حصناً دافعاً في المنعة، كما كان الواجب عند عمر بن الخطاب

أرأيت هذا الرجل لصارم احارم قسيب قط إلا باسم وحب أو في سبيل
واحد كلاً، وبذلك أنب سمعنا رواية واحدة من روايات شعبة إلا لخصاً
الوحد قائماً إلى جانبها بركب ويسوعها، ومن كانت بفسوة طبعاً فيه، فما
هو حاجة إلى واحد يعزبه بالقسوة، بل هو في حاجة إلى واجبات عدة تنبهه
عنها وتغريه باجتنابها.

وليس مصاراه في هذا لخلق أنه غير قس، أو أن الرحمة كانت تنفد إلى
قلبه كلف صرقته، وأحدث سميها إليه، فبذلك نصيبه من الرحمة قد كان أوفى

جداً من ذان، وكانت هذه الفضيلة من فصائله الأصلية فيه لا تكاد تفرقه هي عامه حينه حتى ليصبح أن تضرب الأمثال بروحمته كما كانت تضرب الأمثال بعدله، وإن يقرن معه لقب العادل بلقب الرحيم.

وهي صند الكلام عن الحليمة لإسلامي الكبير، قد يهمل خلق الرحمة فيه خاصة، لأن شأنها هي التعريف بينه وبين الإسلام غير قليل

فمن المحقق أن رفته للمسلمين ولدين الذي يدينون به كانت مقرونة في أول الأمر بروحمته لأمرأتين ضعيفتين رهما هي حالة من لشكوى تليين القلب وتكف العرب^(١) وتمسح جفوة العناد والغضاء

فقال أم عبدالله بنت حنتمة لما كنا نرحل مهاجرين إلى الحبشة أقبل عمر حتى وقف على، وكنا نسقى منه السلاء والأذى والغلبة علينا، فقال لي إبه الانطلاق يا أم عبدالله، قلت نعم والله لنرحلن في أرض الله. أذيتهمون وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجاً فقال سبحانه الله، ورأيت منه رفة لم أرها قط

وحدثته مع أخته فاصم في سبب إسلامه مشهور منواتر في أوثق الروايات فإنه صربها حين نغم بإسلامها فأدعى وجهها، فأدركتها بشورة لحطاييه التي فيها منها بعض ما فيه، وعانت وهي عصبي بأعدوا له أتضربني على أن أوحده؟ قال غير مقربيت نعم فعالت ماكنت فعلاً ففعل. أشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله، لقد أسلمنا على رعم ألفت

ويذكر لنا رواه القصة التي اتفقت عليها روايات كثيرة، أنه ندم وحلى عن زوجها - بعد أن صرعه وقعد على صدره - ثم انحنى بحبة من المنزل، وطب لصحيفة التي كتب فيها آيات قرآن، وخرج من ثمة إلى حيث لقي النبي، فآعنه شهادة الإسلام على يديه،

وعبر عسير علينا أن نرهب طوية عمر وبرى كيف كانت تتمشى فيها الحوائج والخطرات، وهو يتحدث إلى المرأتين بنت حسمة، وبنت الخطاب فهد، بصر مناضل يشجده بصل إذا بقى أند ده من الأنصل، وأقر به من

(١) تكف تقرب، محفف واحدة، أي تليين الشدج القاسي

لرجال الإساءة سببها الإساءة، والتحدى يعفه التحدي وكلمة قوليل البخش
بمثله تضرمت سورة لعصب، وثمرت تحيرة لقتال^(١)، ومضى اعداء شطط لا
عتدال فيه، ولا نكوص عنه، حتى يكسر عرو من العدوس، فلا موضع هب
لرحمه، ولا سبيل لها، إلى ظهور وتتمادى الشره^(٢) على ذلك شهوراً وسدين،
وكئن ارحمه لم تخلق هي لنفس، ولم يسمع لها في حذا انصبور صوب.

ثما المرأة الشاكية أو المرأة الدامية إذا واحته دت صدر، لقوى، بما حاحه
إلى قوته وبضالته وما حري تلك لقوة أن نهذا في مكانها كأنها هي الخليفة
الحفيه التي لم تخلق، وليس لها صوب مسموع وما أقرب إذن إلى أن نحج من
إيدائها وتدم على قسونها، وتثوب إلى لونه وبحشوع، وهما من لباب الدين.

إن العرب يشتقون الرحمة من ارحم أو القرابة، وهو شقيق عميق المعرى
يهدى إلى مثابة هذه لفصيلة الإسمسية العالية، وموده عمر بين الحصب لرحمه،
وبرى فربه لا تنحصر دلائلها في رحمته لأخته الشاكية الثرة، فإن المرأة قد
نرحم لصعها هي موفف شكوها ويأسها ولو كبت بعيدة لاصرة، منقصعة
السبب. إنما يدس على موته لوى هربه دلب الحب الذي كان يصمره لأبيه بعد
موته، مع شدته عليه وغلظته في زجره وتأديبه فكان يطيل الحديث عنه وينقر
أحباره ويقسم باسمه وضر يقسم باسمه وهم كهل إلى أن يهي المسلمون عن
القسم بأسماء من ماتوا على الجاهلية.

وندر بين الناس من أحب حوته كما كان عمر يحب أحده زباً في حياته وبعد
مماه، فم ساء أحد أن يكره له ففصت شتوبه^(٣)، وجس بعد قتله
يتأسى من أصيب مثل مصابه ولا يرى أحد فقد أحاً له إلا لنمس لاسوة عنده
حكى أحمد بن عمران العبدى عن أبيه عن حده قال «صليت مع عمر بن
الخطاب لصبح فلما هفت من صلاته إذا هو برجل قصير أعور متكئ قوسه،
وبره هراوة، فسأله من هذا؟ فقيل «متعم بن بويرة فاستشده رثاءه لأخيه
فأشده حتى بلغ إلى قوه

وكك كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لا يتصدعا
فلم تفرق كأتى ومالك لطول هراق لم ست ليلة معاً

(٢) الشره الموع

(٣) الشره الشره

(١) الحيرة، الطبيعة والعزيرة.

فقال عمر: هذا والله النابئ، يرحم الله زيد بن الحصاب، إني لأحسب أني لو كنت أقدر على أن أقول أشعر لبكيتته كما بكيت أباك. ثم سأله ما أشد ما لقيت على أحيث من الحر؟ فقال: كنت عبي هذه قد ذهبت فبكت بالصيحة، فأكثر البكاء حتى أسعدتها، لعين الذهبه وجرت بالدمع فقال عمر

يا هذا لحزن شديد ما يحزن هكذا أحد على هالك. قال سمع لو قتل أحي يوم اليمامة كما قتل 'حوك' ما بكيت أبداً. فصبر عمر وتعري عن أخيه وقال ما عزاني أحد عنه بأحسن مما عزيتني «

هذا هو عمر من وراء القباب.

فما كان أخوجه رضى الله عنه إلى ذلك القاب وما قرى الغرابة في ذلك القاب من الشدة ولهية حين ينفذ الناطر إلى ما وراءه فيرى مكان لصاحبه به

وقد يرحم لرجل أهل الرحم والقربة، ويحفو غيرهم من الناس، ولكن الرحمة الأصوية في الصباغ تسوى في الحودة ولا يفرق، وبخى هي سبب الرحمة ولا ينتظر حتى تفرضها عليها القراءة بأسديها فكر عمر كما روى «الحسن» يذكر الصديق من أصدقائه بالليل فيقول ياطولها من لية فإذا صلى الغداة عدا إليه، فإذا بقيه الترمه أو عسقه.

وكان يك، طفر بزعه ويقصع عنه صلاته وينعص عنه ليله

قدمت رفقة من الحار فسرلوا المصلي، فاقترح على عبدالرحمن بن عوف أن يذهبوا لحرساهم من أسرق، ثم سارا يحرسان ويصلان، فسمع بكاء صبي، فتوجه نحوه وقال لأمه اتقي الله وأحسني إلى صبيك ثم عد إلى مكانه فسمع بكاء، فرجع إلى أمه كرة أخرى، ثم سمع بكاء آخر الليل فقال لأمه ويحك إني لأرب أم سوء ما لي أرى ابنك لا يقر مندي ليلة قالت يا عداله قد أرميت منذ الليلة إني أريعه عن لفظام^(١) فسألها ولم، فقالت لأن عمر لا يفرص إلا للفظيم فسألها وكما له فلما علم أنها عصمت دون سر لفظام، أمر مدياً فنادى ألا تعجبوا صبياتكم عن الرضاع فإن يفرض لكل مولود في الإسلام

وقصه مع الصبية الجدع مشهدة، ولكنك تعد لأنها أحق قصه بأمر عباد.

(١) أريعه عن اللفظام. المقصود إني أحسبه على لفظام (وعوده).

قال أسلم خرجنا مع عمر رضى الله عنه إلى حرة واهم، حتى إذا كان
بصرار^(١) إذا نار تؤثرت^(٢) فقال يا أسلم إنى أرى ههنا ركبان فصر بهم
السل والبرد، أطلق بنا^(٣)

فخرجنا بهرول حتى دنوب منهم، فبدأ امرأة معها صبيان وقدر منصوبة على
نار، وصيب بها يعضاغور^(٤) فقال عمر السلام عليكم يا أهل لصوء، وكره أن
يقول بأصحاب النار فنجاته امرأة، وعيكم لسلام فقل أديوه فقامت ابن
بخير ودع هذا منها فقال ما بالكم؟ قالت قصر بنا الليل والبرد، قل وما
بال هؤلاء اصببة يتصدعون؟ قالت الجوع قال، وأى شيء فى هذه البقرة؟ قال
ماء أسكتهم به حتى يناموا، والله بين وبين عمر فقل أى رحمك الله وما ندرى
عمر بكم؟ فقالت يتولى امرأ ثم يعمل عتاً فاقبل على فقل أطلق بنا.

فخرجت بهرول حتى أنسا دار الدقيق فخرج عدلاً^(٥) من دفيق وكنة^(٦) من
شحم، وقال أحمله عني أقلت أما أحمله عب قال أنت تحمل وزرى يوم
القيامة، لا آم لك!

فحملته عليه، وأطلقت معه إليها بهرول فالتقى ذلك عندها، وأخرج من
الدقيق شتاً فحمل بقور لها، نرى على وثأر^(٧) لها.

وجعل يدفع نحو القدر وكنت لحيدة عظيمه، فرأيت النجار يخرج من
حلاله حتى طبع بهم، ثم أرسلها وأفرع الحريرة فى صحفه وهو يقول بها
أصعميهم وأن أسطح لهم - أى تبرده - ولم يزل حتى شبعوا وهى تقول له
حراك لله حيراً كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين.

وأمثال هذه القصة فى مسيرة عمر كثير، لا يقال إنها هى ومثيلاتها من
الشعور بالتبعة وليس من الرحمة لأن العهد بالشعور بالتبعة نأتى من
الرحمة، وليس العهد بالرحمة أن نأتى من الشعور بالتبعة.

كذلك لا يقال إنه قد كان بطبع امرأ سماوياً تحركت له نفسه، أو لم تتحرك،
فبين العنس لنى تتحرك للأمر السمووى هى نفس النى هيها بخير، ولها رعة

(١) بصرار مكان على مقربة من المدنة (٢) تؤثرت مود (٣) تصدعون بصباحون

(٤) العدلى الجوالق (٥) كنة حتى شحم مقدار منه.

(٦) أخرج لك، أى أخرج لك حريرة، وهو الصاء من الدقيق وانسم.

فيه، وقلمنا تشفق من عقب السماء، لا أن نشعر بأمل يصم ومسخ استحقاقه للعقاب.

على أن عمر كان يرحم في أمور يحول فيها النفور أدبي، دون الرحمة عند كثيرين. فمن ذلك أنه رأى شبحاً ضريباً يسأل على باب فلما علم أنه يهودي قال له مألحاك بي ماأرى؟ قال أسأل الحرية ولحاة ولسن فأجده عمر يده وذهب به إلى منزله فأعطاه ما يكفيه من عتقه، وأرسل إلى حارس بيت المال يقول بنظر هذا وضرباً^(١) فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شيبته، ثم أدخله عند الهرم بم الصدقات لفقره واستكين والفقراء هم مسلمون، وهذا من المسكين من أهل الكتب.. ووضع عنه الجزية وعن ضربائه

قهما علمه الرحمة كيف يصنع الدين، وإن يصنع الدين هكذا إلا رحيم. وقد قرص عمر لكل مولود لفيط مائة درهم من بيت المال، كما قرص لكل مولود من روجين، وهي رحمة قد أحجبتها لفقور من برت وثمرته في نفوس الناس ينفرون فلا يرجمون.

بل كان يرحم كل محبوق حتى السهم الذي لانسب شكاية، فروي لمسيب ابن دارم أنه راه يضرب رجلاً وبلا حقه بالرجل لأنه بحم حمله ما لا يطيق وكان يدحر يده في عقرة سعير لأدبر^(٢) ليدويه وهو يقول إني أخائف أن أسأل عما بك ومن كلامه في هذا المعنى لو مات جدي بطف^(٣) الفرات لحشبت أن يحاسب به الله عمر وبه لشعور بالبيعة عظيم لكنه كما سبقنا أن يسب في قلب كل أمير عليه نيعة، إلا أن يكون به مسبب للرحمة عظيم

فحين إذا برء صفة كبيرة إلى جانب صفته لكبره لرحمه إلى جانب العدل وكتبهما من البرور وأوثاقه وعمق لفرار بمثة العيون الذي يدل على صاحبه أو بمثة العصر لأصيل الذي يلازمه ويلاسه ولا يفارقه في حملة أعماله.

(١) صوابه بطراؤه ومثله (٢) سعير لأدبر المصنوع بالدير وهو برص مصب الثوب كالمزجعة.

(٣) بطف الفرات، به شاطئه

ومن خصائص عمر أنه كان على هذا الشن في جميع صفاته المشهورة،
حلاقاً للمعهود في الصفات بعلة بين الناس من المحامد كانت أو العيوب، إذ
قلما يؤسم إنسان بأكثر من صفة عالبة بهذه بثبة من التأص والبرور، فهو
عادل أو رحيم أو غيور أو فطن أو وثيق لإيمان، ثم تصعي إحدى هذه الصفات
على سائرهما فلا تعطيها إلى حاصيها مكانة رسوخ و استقرار.

وعلى غير هذا العهد كان عمر في جميع صفاته الكبيرة اسي بكونها،
فكانت كل صفة منها في قوبها ورسوخها تكفي للغلبة على شخصية تتسم بها،
ولا تذكر بغيرها، وبه ليصف بها فتحد من سماته ومعاله ما يخصها به،
ولو كانت من الصفات القومية الشائعة في أبناء حلدته جميعاً، فيحيل إلك أنها
سمة مميزة له لم يوجد في غيره.

هأصرار العرب كلهم غيور ولكنك إذا قلت «العربي لعيور» فكأنما سميت
عمر من لخصب لأنه طبع هذه الصفة القومية بطابعه الذي لا يشبهه فيه غيره،
فكان الغيور بين العيورين

هل أكبر أصدقائه وأكثر لعرفين به محمد عليه السلام «إن الله غيور يحب
الغيور» وإن عمر غيور».

وتحدث إلى صحبه يوم وعمر فيهم فقال: «بيد أن يائم رئيسي في لجنة
فإن امرأة تتوضأ بي جاب قصر، فقت من هذا انقصر؟ فقلوا لعمر، فذكرت
غيره فوليت مديراً فبكي عمر وقر كالمعندب أعبك أغار يارسول الله؟».

وكانت هذه لعيرة معروفة مخشبة بين جميع من يعرفونه ويسمعون بطباعه،
والنساء من باب أولى يعرفنها ومعهدن، وينقبن، كما لم ينقبنها قص من غيره
ستأدى على سبي يوم وعنده نساء من فوبش بكمته ويستكثره عدالة
أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن بكون الحجاب،

فدخل والنسي يضحك

قال عمر أصبحك الله سيك يارسول الله، كأنه يسأله عن سبب ضحكه،
فقل عنه اسلام عحت من هؤلاء الذي كن عدي لم سمعن صوتك ابديون
الحجاب.

قال عمر فأنتم يا رسول الله كنتم أحق أن يهين، ثم، سمعت إليهن يقول: أي عدوت أنفسهن! أتتهنني ولا تهين رسول الله ﷺ؟

قل - ولا يخذل امرأه لسانها في هذا المقام - نعم يا أعز وأفظ من رسول الله! وحسبك من غيرته أنه هو الذي أشار على النبي ﷺ بحجب أمهات المسلمين، وكان يرى أحد من هي الظلام دامنة لبعض شأنها يقول لهد عرفك بأفلاحة:

ليريها أنها في حاجة إلى مرشد من التحجب وقد ضلحت إحداها منه لهد فقلت له: والله علنا يا ابن الخطاب ولوحي ينزل في بيوتنا؟

عسى أن العيرة هي ابن الخطاب لم تكن غيرة مفصولة على المرأة وكفى، من غيرته على المرأة لم تكن إلا شطراً من غيرته على كل حرم وحوزة فمن هذه العيرة العامة سيدسته العربية، شئ كنت تصد العرب - عن جزيره - لعرب كآب الحرم المرصد ومنها غيرته على الرى العربى والشمائل العربيه، ومنها غيرته على لعقيدته وحدود الشريعة، وغيرته على كل حق يحميه عبور

في الأحاديث عنه هي هذه الخصصه تتعدد في معارض شتى، كما تعددت حديث عدله ورحمته، وكل صفة باررة فيه. فشأن هذه الصفات أن تطهر بدأ حيث ظهر له قول أو عمل، لأنهر أصيالات مطبوعات يحتلصن بكل ما عمل وقال إلا أنك تقرؤها جميعاً فتخرج منها دأر واحد لا اختلاف فيه

ذلك أن عمر كان يغار عسى حق، ولا يغار من أحد ولا يفس عسى دى نعمة فيذ ميل لك إن عمر قد عار فلن يخطر لك أن تسأل: ممر كانت عبرته؟ وإيم يخطر لك أن تسأل قى كل مرة: علام عار؟ ولأى شىء كان يغار؟

فهو يغار عسى حق، أو يغار على عرص أو يغار عسى دين، أو يغار على صديق أو صاحب حرمة، ولا يغار من هذا أو ذاك لنعمة أصابها هذا أو ذاك.

انما كان يغار على شىء يحميه، ويعمم من نفسه التقدير على جميعته فهي عبرة من يريد الحماية لعبه، ولا يريد استرع الحير لنفسه أو غنة إسمه على خطه

رجل قوى حياش الطبع، شديد المشيكة يؤمن بالحق وحرماته، قادر على تقويم من يحيد عنها ويجتري عليها. فإن لم يكن هذا غيوراً فمن يكون لغيور؟

وقل هي دكانه وفصلته والمغبة ذهنه ما تقول فما اشتهر به من صفات العدل والرحمة وغيره وإن كانت هذه الصفة أحوج منهن إلى الشرح والشرح.

فبعض المستشرقين الذين أثبتوا عليه قد عرضوا لأمر تفكيره، فوصفوه بأنه محدود التفكير، أو أنه يأخذ الأمور بمقياس واحد،

ونحن لا نقول إن عمر رضي الله عنه خلق بذهن عالم بحتة مقصع للكشف والتنقيب، ولا أنه خلق بذهن فيلسوف مطبوع على التجريد واللاهت بالفكر في مذاهب لصنن والفروض ولا أنه خلق بذهن منطيق بدور بين الأقيسة واحتمالات مدار الترجيع والتخمير، فإله قع أنه لم يكن كذلك ولا بعده إلا يكويه، وأنه كان معيلاً بالعمل قبل عناية بالنظر أو لفرض والتقدير، ولكن لفرق بعيد بين هذين الفكر المحدود، والنظر الذي يقيس الأمور بمقياس واحد

فعمرو كانت له فطنة برحس العليم سقنض الأخلاق، وخبايا النفوس، ولم يحكم عليها قط كانه ينظر إليها من جانب واحد، أو يطلعها في تفكيره بطابع واحد من علم الدنيا وعم كية تنقب لإستبصار روح هي علمه هذا يرافع بأس مرقبة الحدود، ويقيم عليهم الأرصاد إقامة لرجح الذي لا يهونه أن ينتظر منهم ما ينتظر من حبر وبشر وقوه وضعف وصلاح وفساد.

وكفى من كلامه الدالة عليه أن يذكر أنه كان يحب أن يعرف الشر كما يعرف الخير، لأن «لدى لايعرف لشر أخرى أنه يقع فيه»، وأنه كان يحب أن يعرف الأعداء كما يعرف الأصدقاء، حيث يقول «أعش الناس عدوهم لناس»، وأنه هو يقائل «احترسوا من ساس يسوء نظر»، وهو القائل مع ذلك «طهروا آب أحسن أخلاقكم، والله أعلم بالسرائر». يوفق في هذين القولين بين سهر لحاكم الذي لا يسغى أن نخفي عليه حافية، وبين عدل القاضي الذي لا يسغى أن يحكم بغير بيينة ظاهرة

بين لو كان عمر بن الخطاب محدود التفكير ينظر إلى الأعداء من جانب واحد لما كثرت مشورته للكبر والصغار ولرجال والنساء، متجاوزة من يعلم أن حوسب لأراء متعددة، وأن للأمور وجوهاً لا يحصر هي أوجه إحدى يره، وكثيراً ما قال «أحرف ما أحاف عليكم إعجاب المرء برأيه» وليس استصلاخ لأراء ولا أحوف من الإعجاب بالرأى شيمة رجل محصور التفكير، صيغ المسند إلى الحقيقة.

وقد عاشره باسم من لذهة فخره وحدره^١ وقال لعبرة بن شعبه
 لعمر بن عبد الصم « أنت كمت تقعر أو بوهم عمر شينا فبقعه عبء^٢ واليه
 مريت عمر مستحلباً بأحد إلا رحمته كأننا من كان ذلك البرجر كال عمر وأبلة
 أعقر من أن يخذع وأفضل من أن يخذع...».

إنما كان عمر كما وصف نفسه «لس بالحب وبكى الحب»^(١) لا يخذعه، وهذا
 هو الحد الفاصل أحسن بقصر بين لدهاء المحمود، والدهاء المدعوم أو بين
 الفهم لصحيح والحدت القبيح فهناك فطنة تسمى لظن لأنها تعرف الشرور في
 هي صابع الدس، وفطنة تسمى لظن لأنها تشعر شعور اسوء، والفرق بينهما
 عظيم، كما فرق بين الخير وشر و الحمد و لومة. فالفطنة الأولى معرفة حسنة،
 و لفظة الثانية حق رديء وإنما كان عمر بالفطنة الأولى معصوماً من أن يخذع
 غيره، أو يخذع لغيره، وهذا هو الحد بقوام، سي لتقص عنه من جانبته

وكانت له في سبحاء الحفا قدرة بفرب من مكاشفة لعب، لولا أنها
 تستند إلى التقدير الصحيح، والفض المدعوم بالحبرة، وحكاية واحدة من هذا
 القيل، تعنى عن حكايات، وهي حكته مع المعيرة الذي استكثر على عمرو بن
 العاص أن يوحى إلى عمر بمراده ويتأذى عليه.

فقد همّ عمر رضي الله عنه بأن يعزل المعيرة عن لعراق، ويولي جسيو بن
 مطعم مكانه، وأوصى حيزاً أن يكتم ذلك ويظهر لسفر، فأحس المعيرة، وسأل
 جليساً له أن يذم أمراًة وهي مشهورة بنقط لأحسان، حتى سميت الفطة
 الحصى^٣ لتستطيع، لداً من سب جسيو، وذهبت إلى سبه، فإذا أمراًة بصبح أمره
 فسألتها إلى أين يخرج روجك؟ قالت إلى بعمره^٤ قالت لقصه الحصى بل
 كتله، ولو كانت له عنده مبرة لأطالعك على أمره فجلست امرأه جسيو معصبة
 وبخل عليها وهي كذلك، فلم ترل حتى أحسرت وأخبرت لقاطه الحصى، وذهب
 المعيرة إلى عمر ففتحه بما علم، وهو يقول له يارك الله لأمير المؤمنين في رأيه
 وتوليته حيزاً فلم يحب عمر من وقوفه على السر، بل قال: كأنى بك بالمعيرة
 قد جعلت كتب وكيب كأنك سمع ري، وأنشد له هل كان كذلك؟ قال
 المعيرة ألهم نعم ثم صعد عمر إلى الخبر وبأدى في الناس أيها لداً من

يدسى على المحلظ المرير^(١) لسيح وحده؟ فقام المعبرة فقل: ما يعرف ذلك فى أمك أحد غيرك؟ فألقه على ولاسه ولم يرل واليه على العرق حتى مات.

وإم كانت محارته سداية من هذا القيس إعجاباً بحصده لا اتخذها بمكره، وقد تتعاضى ويعمل ما يريد المتداهى عليه لأنه أدرك مرمى كلامه، وفهم مافيه من صوب، كم صنع مع عمرو بن العاص هي حصة أم كلثوم بنت على رضى به عنهم، وسبأتى الكلام عنها هي فصر تل:

عنى أن القدرة الذهبية التى امتاز بها عمر فى غنى عن الاستدلال عليها بم قدر وف قبر فيه وما دار بيه وبين بعض القوم من المساحلات و الحذورات أنه عمل ثم عمله ولا القليل من أقدر الحكام فى تاريخ بنى لإسار، وكفى بذلك دليلاً على قدرته الذهبية لا صاحبه بعده بى دليل سب من شعوب بينهم من الاختلاف مثل ما بين العرب والفرس وبين لفرس ولقبط والسوريين، وبصوب ولالة، ويتدب قواداً وسير معوثاً وأتشف على مباسير قتل، وأقام بصماً فى حكومة، وراقب رعاة ورعية فيم يعلون ومبیطون، ونح فى كل ما عمل صاحب منقطع البشير، غير مردود إلى اصادقة ولا إلى ارحال المعامرين، ولبس هذا كله ما يصطلىع به رجل محبوف لفكر صيق لأفق، فسل لخبرة بالجماعات والأفراد هذا استوفى هذا الحط الذى من انفسرة الذهبية، وددت حسنه منها وحسب كل من تحدى مثل عمله ونهض بمشروقه^(٢)، ولا عليه بعد ذلك أنه لم يفكر عى بمط الفلاسفة وأقطاب العلم وأصحاب الميطو والريضة، فمن لبيب لم تحرج لث عمر ليريدنا ففلاطون حر أو قيسدس ثيب و «فاراداي» سابقاً فى الزمن القديم، بل حرجنه الناس ليكون مؤسس عهد ومحول تاريخ عهد، رأى به عقبه بى تلك العاية فهو بعقل الصائب، يفكر عى النحو الذى خلق له ويبلغ القصد الذى رمى إليه وعلى ما نحن أن يعرف كيف كان تفكيره وأن نسلطه بين قرونه وأند ده

بما طراب شبيهة لعفل المحبوه على استشرقين الدين ظنوا به هذا الظن من ناحية واحدة، وهي ناحية لعبد الذى لا تلثت ثاب ليمين ودد الشمال والقصد الذى يمكن لجزاء دقة يدقه ولا سالى بالنقص والمفارقات،

(١) رجل منظم عربى جمع بين لاشبه، ويعبر بينها بقوله مكره (٢) وقرة: حمه ومسنوسه

ويصروا إلى جملة رايه في اسائل الجلى فبدا هي من الآراء لى يعك
عنه الفصم والجزم ولاطلاق إلى عرص مائل، لا يحرف عنه قيد شعره كانه
قد جهل ما في السب من مقاصد وخفي ومن عوج وتعرج أو كنه السهم
، شاقب يفسد قيب أمامه إلى هدفه المحدود ولا يلتفت إلى شيء في مفاده،
أو يعوقه عائق دونه.

فحصر بهم أن فطنته إما كانت فطنة فراسة قطرية، كالعريرة اللى تهتدي
على استقامة واحدة، ولكنها لا يحرف ولا ينصرف ولا تخالف ما جلت عليه،
وأبى فطنة العقل المحدود، وأصر لموكل بحسب حد يبعد فيه، ولا يحيط به
و منشعب هي نواحيه والفكر المحدود هذ هو فكر أولئك المستشرقين، لا فكر
عمر بن الخطاب.

فالرجل لى يستقيم على وجه واحد، لا يحدد عنه، هو واحد من رجلين
فما رجل يستقيم على هذا الوجه لأنه لا يرى غيره، ولا يحيط به حوله
وأما رجل يستقيم على هذا الوجه، لأنه قادر على اختراق لعنت عالم أبي
تنثنى إليه حيث كان نور ان ينشئ إليها حيث كنت.

واستقامة عمر بن الخطاب على وجهه من هذ النفس، وليست من ذلك نفس
هي استقامة قدره، وليست باستقامة عجز، وهي استقامة بصرف سريع
وليست باستقامة محور مقيد، بأى أن يدور، لأنه قد أعده أن يدور.
هي استقامة حيدة علوية، وليست باستقامة أدلة كالموارين تسوى بين السمر
والثراب لأنها لا تميز بين الثبر والثراب

فالرجل الذى يجتنب انصرف في العدل عجزاً عن لفهم والبرام ان يحرف
المكتوب ويروا إلى مربية الموارين لى لا تعي ولا تعصب ولا تغار، إنما هو لة
فقيرة في مادة الحياة

اما لى يحتب انصرف في لعدل غيره على الضعيف، وهرة على القوى
وعلم بالبعة، وصطلائع جرائرها هذك حى على بالحيدة، لعدل لقرط السلفه
لإنسانه والقدرة الحيويه، ولا لعدل لأنه انه تشبه الميراث لى لاحتس منه
وشش بين هذا وبال. إنهم ليقصص ورن كان في طاهر الأمر شبيهين متقربين

والاعتماد على الأمثلة الخاصة، أولى ما هي هذا المعرض من الاعتدال على القواعد العامة والنظريات النظرية.

هذه أمثلة ثلاثة من أمثلة العدل الذي يبدو لأول وهلة، كأنه عدل لموزن لألة حين نسوي بين الأوزان، وإن اختلفت القيم والأقدار، وتفصل في الانصباء بعير بصر إلى فوزي الدب، ومقتضيات السياسة وتدل الأحوال. وبحارف من أحرر الأمثلة وأدناها إلى تأييد شهات المستشرقين فيما رعموه من العقل المحتود، ليري على قدر ضخامة هذه الأمثلة ضخامة أخطأ هي استخراج ما تدل عليه.

كان عمرو بن العاص والياً لمصر وكان ابنه بحري أخيراً في ميدان السدق قد رعه بعض المصريين السوء وحتلوا بيهما لمن يكون الفرس السابق، وغضب من الولي فصرخ المصري وهو يقول أنا من الأكرمين! فاستدعى عمر الولي وابنه حين رفع به المصري عره، وبنادى بالمصري في جمع من الدس أن يصرح حصمه قتلًا به «اصرب من الأكرمين» ثم أمره أن يصرح لوالى لأن به لم يصرخ على صرب لدس، لا يسلطه، وصاح بالوالى معضناً «تم، ستعبدتم لئاس وقد ولدنهم أمهاتهم أحراراً»، فما بدا من به لا يرضاً من صاحب الشكوى واعد وعقوب

وكان خالد بن الوليد أشهر قادة الإسلام في زمانه، فحصى عليه عمر بعض المأخذ، ومنها إتفاقه من بيت لئال في غير ما يرضاه فامر به أن يحاكم في مجلس عام كما يحاكم صغير الحند، وعزله بعد مقاسمته فيما ينال من نقد ومناج

وكان جبلة بن الأبهم مبرأً بصراية، فاسم وأسلمت معه ضائقة من قومه، ثم وطئ أعرابي رايه فلعنه جمة على حلا من حجاج بيت الله ففضي عمر للاعرابي أن يلطم الأمير على ركب الحلا لأن الاسلام لا يفرق بين سوفة وأمير

هذه أمثلة العدل الذي لا ينصرف ولا يلتفت إلى لئاس وما فيها من فوزي وتعمريجات، تنأى عن القصص المستقيم، وهي من أقوى الشبهات على النظر لمحبود في تقدير الجراء بالحرف المكتوب، دون اسباب إلى لأحوال والمقتضيات

هذه هي في الواقع كذلك؟ وهل كان على عمر أن «ينصرف» في هذه

لأقصيه سبقة الساسة لدهاة في جميع الأركان يد يحتلون على حرف
المشريعة ويدورون حول حدود المبادئ

نعم كن عنه ذلك لو عجز عن سعة المساواة واحتج إلى الحيلة، فنبأه على
على الواسع عدل لمو زين، ويحتمل منه التصرف والدوران لأن المساواة بعينه،
أو لأن المساواة تعرضه لعاقبة شر وأظلم من الإحفاف، فبدأ بصر إلى عذبة
المساواة هي المعينة، فراهباً شراً وأظلم من عذبة المعرفة والتميز فقد وجب
عنه إذا أن دور حول الحيلة، والآن يواجهها بصر معين الحراف

ولكن أين هذا من عمر، وأين عمر من مد؟ إنه كان قوي قادراً على
العواقب وكان شديد الألم من ظلم الظالم شديد الحجر من خذلان بطون،
وكان وثيق لإيمان بصر الله في حقوقه في البقاء، فلماذا يتصرف؟ ولماذا
يتصرف؟ ولماذا يدور؟

كان قوي بصره قوي، بإيمانه قلمه، بهاب قوياً جاز على ضعيف، ولماذا يروع
من صرامة القاضي إلى دهاء السدسي الذي يدور حول الحقوق والحدود؟

لعمري شرقيين المنحدرين بأسفكير المحدود أن يأخذوا عليه تشبهه بكار
لولاة، ويشتوا به كل ما فابوه عن ذلك لتفكير المحدود لدى يفسى القورق ولا
يحتال على المحطورات، ويكن بشرط واحد.

ذلك الشرط هو أن يتوقعوا - ولو من بعد - أن شور ابن العاص وبطراؤه
على هذا القصاص، فاحتل حكم لولاه، ويمتسر الأمر على بصيرة، ويقع من
لمحطور اضعف ماكن وفعل لو نطت المساواة بين سوقة والولاة

ما أن يكون ابن العاص وبطراؤه لا شورون، ويعمرون من هو عمر وبه هي
عقبهم إن ثروا عليه

وأما أن يكون عمر لا يحشى تلك الثورة ولا بعد بها إذا في فحائته
وواجته على غير انتظار.

وما أن يكون الأمر في ضميره، وفي ضميرهم بحري على إيديه التي لا
حفاء به ولا شك فيها - فكيف فعل ابن ابن تفكير عمر في قصاص الولاة كباراً
وصغاراً تفكير محدود؟ وأين هو في هذه بحاله موضع لتفكير محدود؟

إليه هي موضع و حد، وهو كما أسلف موضع النافذ الذي يصعب عمر تعير وصفه، لأنه هو محدود لفكر هي قياس لرجال ينفذس و حد أو هي اعنفده ن الخطوب تبقى كما هي، ولا تتغير كلما تعير عليها لدى الرجال

لقد كان عمرو بن العاص خضراً على لصفته الذي بعض منه لو كان غير عمر، ولكنه هو و لدين كانوا أجراً منه على لفتى وأسرع منه إلى العصب لم يكن لهم من خطر إذا كان عمر هو الذي أمر بالعزل وهو الذي قصى بقصاص

فأجراً منه الأريب كان خالد بن الوليد و شهر منه بين سيوف الإسلام بو عهد إلى السيف ومع فذ، فقم خالد عزله فحطب الناس ومصى بقول «إن أمير المؤمنين ستعملني على لشام حتى إذا كانت نسية - أي حطة - وعسلاً عزلي، و أثر بها غيري». فما أنمها حتى نهض له رجل من السامعين فقال له صر بها الأمير فيها الفتنة فما تردد خالد بن قتل أمه وابن لحصاب حتى قلا..

نعم، لا فتنة وابن لحصاب حتى ولو كان لغاضب حالداً الغضوب، ومن هنا حق له أن يشكو ولا جفاح عليه.

وأطرف من هذا في هيئة عمر بين ولاته وقواده أنه كتب إلى أبي عبيده يأمره أن يقدس حالداً ماله بصفين، فقسمة جميع ماله حتى بقيت بعلاه فقال أبو عبيدة إن هذا لا يصح إلا بهذا فتلى خالد أن يحالف أمر عمر وأعاده إحداهم وأخذ الأخرى

لقد نظرت إلى عمر مستغيماً ولم ينظر إلى الخطوب، وبو نظرت إليها لراسا أنها أشئت لتنفذ له، وتتقى مصدمه وتستقيم على منهاحه.. فعلمنا لم استقام دون أن يقدح ذلك في صدق بطره إلى ادب وصدق هرسته هي خلائق الناس

وبدع مضايك الولاة وينظر في قصصه الأمير أبي رقد عن لاسلام هو وقومه لأن عمر أجبره على قصاص لساواه سنة وبين رجس من السوقه، فمدا كان يسعى أن يقع عمر غير ما فعل من لساواة بصدفة بين الأمير انصاره وخصمه المضروب؟

نعل دامنه من بهاء السباسة الدين يصقون انفسهم بالنظر النعبد كان يوتر ارض، الأمير، واستبقاء السعة في لإسلام، و لاحتبال على لشاكي يص

يواسيه ويعسه عن أن يسوى بين الخصمين، ويمكن لضعيف من صرب أمير
اعتدى عليه.

فهل معنى ذلك أن عمر كان يعوره ذهاب أولئك الساسة، وما عندهم من بعد
نظر موعوم؟

كلا بل معناه أن أولئك الساسة يعورهم لسيخط على الخصم، والعبرة على
الحق، وإيقين بالقدرة وإيمان بمداغة لإسلام، أن يصيه غضب أمير صدى
بما يضيره، ولو كثر أتباعه والصابئون في ركابه.

معناه أنهم احسوا إلى النصرف، وعمر لم يحسج به.

وهذه هى أسس قد مضت، وتلها لأحقاب وقرون، فبدأت اليوم أن
لتنظر لتعيد ولعدل الشديد فى هذه القضية يلفيان، وأن عمر كان أحسن
المتصرفين قبها، لأنه اجتنب لتصرف لى بهواه الذهب فقد آفاد لإسلام ولم
يفده بفاء حيلة وأتباعه على دينة ووقد ضرر أضحم وأوخم من يكون أولئك
الصابئين عنه افده ثقة أهله بإقامة حكمه، واطمئن الضعفاء إلى كتفه، ورهبة
لأقوياء من بشه، وسمعتة فى الدن برعانة الحق، وإبحار الوعد، وتصديق معنى
الدين ولا معنى له إن كان أضعف بأش من أمير وحب العقاب عليه.

وبحور أن الفروق لم ينصر إلى عواقب القرون، كما ينظر إليها الآن، بعد أن
برزت من حيز الفرض إلى حيز العبد غير أن الأمر الذى لا محو هو
اعتقادات أنه عدل فى قصة حنة ونظائرها عدل آله أو عدل ميزن إن الميزن
لأقر من محبوق به حبة، أما الفروق فى هذه القضية فقد كان أكبر من الحبة
العامة، كان صلاً يؤمن ويعمن بإيمانه، وهكذا يعو الإنسان ببطولة الإيمان.

و لعمره التى تخرج به من هذا أن سطرة الأولى فى أخلاق عمر من
الخطاب حسنة ولكن النظرة لثابتة هى على الأعلى الاعم أحسن من الأولى.

فالباقون الأوربيون الذين فسروا عدله المسعهم الفطع بالنظر الصبق
والعكر محلو لم يفهموه ولم ينصفوه ولو فهموه وأنصفوه لعلموا أن عدله
المسعهم لفطع رياده فى قدرة، وليس بنفس فى لفظه أو أنه رياده فى قوة
الثقة، وهوه الإيمان وليس بنفس فى العم وإداهه، ولم يكن عسير عليهم أن

يفقهو ذلك لو راجعوا أنفسهم ونريثو هي حكمهم، لأن قوة، ثقته وقوته لإيمان
لأنه في خلق من أخلاقه ولا عمر من أعماله ولا ترا لا من مروجتين فيه بكل
إفد م وبكل حجج فكس يقدم على أعظم الحطوب ويحجم عن أهون بهيت
تخرجاً منها وبرزها عنها، بد ففضي ذلك ورع من قوة لإيمان.

فلم يكن بمضى قدم لأنه يفعل عب حوله من المولى والمتعرجات واستود،
بل كان بمضى بينه قدم لأنه لا يسمعها ويؤمن صدق الإيمان أنها تنشئ له،
بذا مضى فيها، فلا حاجة به أن ينشئ إليها

إبه لحجم لعوج، ولكنه يعلم أنه قدر منه لأنه يؤمن بحقه إيمان نهوى
الرشيق، عله من قوته ومن إيمانه قدرتان

إبه سرفع لعب، إلى كاهنه، وهو قائم لا يظلم لبهوض به، فيس لفارق
بينه وبين عميره أنه يحهر العبء الذي يعرضه، أو ييسى العواقب التي
يذكرونها، أو يحسن من المصاعب التي يخرجون منها كلا إنما العرو بينه
وبينهم أنهم يشوب للحطوب، وأن يحطوب هي بي ينشئ إبه

هذه القوة في إيمانه كانت هي المسيطر الأكبر على كل خلق من خلقه، وكل
رى من آرائه، بن كانب هي المسيطر الأكبر على ما هو أصعب مفاداً من
الأحلاق والآراء، وشدة عز ما من العقائد وشبهات، وهي بواقع لصنع
وسورث اعزيرة وقلما خلاصها طبع قوى عروف عيور

فالأفكار والأخلاق حبيب من حواب لنفس الإنسانية، قديلاً لنصوب
والغيبون ولكن ما القول في الدواعي والسورنة؟

مثل الفكر كمثر السفينة لثافة على وجه أسهر، بها شراع، ولها سكان،
وعليهما معا رقب من لمواتية^(٢) والريان^(٣)

ومثل بخلق كمثر النهر المتدفق تحسبه السواطي والقناطر، ويفيض هي
موعد، ويعرف له مجرى، ويحسبه له مقدار،

ولكن، ما القول في السيل العرم؟

(١) أشد عوامر أشد شراسة وشدة، (٢) التواتي الملاح في البحر خاصة، جمعه آب بية

(٣) الرين بضم الراء : هي مجرى السفينة

ما القوي في السورة لجامحة الى لست بفكر بسوس ويساس، ولا بحق
متميز بسماته وحصل نصه ومزميه^{١٤}

هنا سدو لب قوة الصوبط والقيود، وهذا أيضاً كانت ضوابط الإيمان القوي
في نفس عمر كاقوى ما تكون.

ولا أحسب أن قلبه الكبير حمحن به على الحاشية، أو الإسلام بسوره أكثر من
سورته، يوم نعى ابي بي، المسلمين، فأذكر ان نعى، ونى أن سماع صوت
بين المسلمين يزعم أن محمداً قد مات وصاح ولس في رهبة منه كرهنتهم
من شبح الموت محم بوسند على لرؤوس «و لله إني لأرجو أن تقطع يدي
رجل وأرجلهم، يزعمون أنه قد مات».

ثم أقبل أبو بكر من مسكنه على فرسه، فرل فتمشى وثياً صامداً لا يكلم أحداً
وبيم السى وهو مغشى بالثوب، فكشف عن وجهه ثم أكر عليه وقبله وبكى

ثم حص صوة عمر وهو يكلم ساس، مخرج إلهم فقال احلس يا عمر
وأقس على سسمين يكلمهم بكلام لسماء «أما بعد، فمن كان يعد محمداً فبن
محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فبن الله حتى لايموب، وما محمد إلا رسول
قد خبت من قبله لرؤس، أقان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم، ومن ينقلب
على عقبيه من يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين»

فنهوى عمر إلى الأرض وأتاب.

وكانه وسبعين معه ما علموا أن أثرت هذه الآية، حتى نلأها عليهم أبو بكر
تلك الساعة.

مالروعة لشلال الزخرا

وبالروعة بسابح باهر لى لوى به لياً كأنما قبض منه على عرف و أخذ
له بعنار

أكر مبدان من ميايين الدنيا لا يرينا صرعاً عابياً هو أولى مالروعة من
نفس عمر، وهى متروحة بين شعوره الراخر ويده الوثيق

لحظه هائلة من أهول مانحس النفوس، ثم انهر م كسرع ما يكون الانهزام،
و سصار كسرع ما يكون، الانصار، وعاشية نحلى عن صاحب تلك النفس،

وهو مالك لزمانه، ماضٍ يتبعوره إني حيث يمضي به إيمانه، فهما قوتان
غاليتان، وليست يعد بالعسكريين المتعاليين

لقد كنت تلك سورته الكبرى، ولكن لم تكن أوبى سوراته ولا خرتها
فقد عهدت هذه السورات في صغره، حتى عرف من عهدوها كيف يسوسونها
وتقويها، وأوشكت أن تحسب في عدد الأنهار المحكومة، لا في عدد السور
الجارية، بطلت من عقلها.

ذهب إليه بلال مستثذبا فقال له الخادم إنه نائم فسأله كيف تجدون عمره
قل خير ناس إلا أنه إذ غضب فهو أمر عظيم قال بلال له كنت عنده إذا
غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه

فهو الإيمان ضابط كل شيء في تلك نفس حتى السورات التي ليس لها
ضابط في النفوس.

أقول إنها هي نفس القرية هي دفعاتها، وفي صوبها على السواء
ورب نفس من ضعف الدفعة بحيث يقمعها هو ضابط يسيطر عليها، قائم
الدفة التي لا يقف في طريقها إلا ضابط أقوى منها، فتلك هي الصيغة الحيوية
المضاعفة، وليست هي الضعف سي ترجع لأمر مر حقة.

ندكر هنا ويتعنى أن نذكره ولا نسه، لأن الفرق بين الإيمان لدى بكج
الهريل سرور لحدده وبين الإيمان لدى بكج لقوى الحيدش فرق عظيم.

ولم يكن عمر معرض عن رخارف الحاد لهرال كان في نوع الحية فيه
ونم كان معرضاً عنها لأنه كان قادراً على الإعر عن غير معرض به في رادة
ولا عزيمة.

وكان معرضاً عنها لأنه صاحب حيوية غير حيوية الحسنة، الموكلة
بالسرور والمتاع.

فمن الواجب أن ذكرنا حيوية وضعفها وقوتها، أن نذكر أئد أنها حيوية
متعددة وليست بحيوية واحدة.

حيوية لروح وحيوية لخلق، وحيوية للدوق، وحيوية لعن، وحيوية الحسد
وعبر ذلك كثير مما يتداخل بين هذه الحيوانات.

نفس من الضروري إذا ريت رجلاً فيش الاشياء لمعة الأحسد، أن تحكم عليه بصعف الحويه، وربما كانت له حيرة أخرى تملأ الوف من نفوس لا تجد مناعها في أكله وشهوة، وبعد المنع في حقائق لحق، وحر الصغين، وإقامة العدل والشرية بين الناس.

وهكذا كانت حيوية عمر فيما يريد وفيما يره في.

لم تكن قلة الرعة في رحدف الدبا، هي مقياس حسوبته لعظمى، وإنما كان مقياس تلك الحيرة عزم الرعة في الإصلاح ولتقوم، وفي إجراء ما ينبغي أن يحري، غير مبالٍ بمكلفه ذلك من جهد فصاعل دونه جهود لالوف من لوكلين بمتاع الأحساد.

تلك صورة محممة للصفات الخلقية الكبيرة، بتى كانت بمثابة على نفس عمر بن الخطاب، وهي العدل والرحمة والغيرة والعصنة ولإبدن

وأول ما يلاحظ عليها تعدد الصفات العالية في نفس واحدة، وصفة واحدة منها قد تعب على انفس - وليست بصغيره - فمنعتها ببعثها وتستأثر بمسيرها والدالة عليها.

ثم يلاحظ عليها أن الصفة منها، تنص بعمر بن الخطاب، فتأخذ منه وتصطبغ بصفته، حتى كأنها لم تعهد في غيره على شيوعها، وكثرة الموسومين سمائها.

لا أن هذا ودك لس بأعجب الملاحظات ولا أتدريها في هذا السياق، وإنما لعجب العاحب حق هذا التركيب الذي يدر مثيله جد من خصائص النفوس كأنه مكان يصيب صاحبها من العظمة والامتياز

وأخرى بما أن نقول «هذه التركيبية» ولا نقول «هذا التركيب»، لأن صفاته الكبيرة مركب كما نتركب أجزاء لنواء، سى يقع عرض واحد مفهوم، ولدى بعض جزء منه فنقص بفعه كله، ويدخله الساقص ولاحتياط

إذا نظرت إلى تلك الصفات جزء متفرقات، هي سبعة سبعة، ليس فيها شيء عويص، أو مكتنف بغموض.

ولكنك تنظر، بها مركبة مباسقة فيبدو من منها حسب الدهشة ولا عذر،

أو حسب الدرة سى يعر نكرارها فى طبائع نفوس، لأنها تركب لاسيف،
القرص منها جميعا واستنفا، العرص فى كل منها على حدة وهذا هو الندور
حد الدرة هى تركيب، الاخلاق.

ما لعدل منلاً غير الرحمة التى مرجح بالإحسان؟ وما لعدل والرحمة معاً
بغير احساس الروحانية، والغيرة ايقضى التى يجعل كراهة المرء للظلم، كأنها
كراهة الصبر الذى يصيبه فى نفسه واله، وتحمل حبه للعدل كأنه حب هواه،
وقبله مناهة وما العدل والرحمة والغيرة جميع بغير عصاة تضع الأمور فى
موضعها، ويعصم المرء أن يحدع لمن لا يستحق ويعمل عن يستحق وهو
حسن الفصد عبر منهم الصبر، وما العدل والرحمة و لغيرة وانقطة بغير
إيمان الذى هو الرقيب الأعلى فوق كل رقيب، ولوارع الآخر بعد كل ورع
والمرجع الذى لا مرجع بعده لصالب الإنصاف؟
كل صفة تنتم لجميع الصفات.

وكل الصفات رواء لغرض واحد، يتم به نصر الحق وخذل الباطل.
وكل حبة هى جزء لا ينقص من هذه «التركيبية»، التى تهفت احسن انوار،
وانع اتفاق وكما انهت لنصبح كل حلقه منها على اتم قدرتها هى بلوغ
كمالها، وتحقيق عاينها.

فلا نقص فى العدل، كسقص فى كل عدل، يعنى عن اطبعة لشريعة،
ويذهل عن ضعف الإنسان.

ولا نقص فى العبرة، كالتقص فى كل عبرة ظالمة قاسية، كأنها ضراوة
وحشر، وليست بحماسة روح.

ولا نقص فى أولئك كله، كالتقص فى جميع لصفات بغير القطبة التى نخرج
بها من ضلام إلى نور، وبعر لامن الذى يفهم منها موقف لحارس الساهر
والرقيب لأمين

صفات متراكمة كأنها صفة واحدة، يأخذ بعضها من بعض، فلا تتعدى فى
مراها، ولا لوال فى صوره بساطة بعده عن لتركيب، عنعطى النصر لقصير
فى التفرقة بين هذه الظاهرة بفسية الرائعة، وبين ظاهرة الشئ البسيط

المحدود، وفيه خطأ شائع يساق إليه كثيرون مع سبب سهلون بساطة عمر،
وهي أولى بسروعة من تركيب يخلط من كل مريج ثم يريد في الألوان ولا يريد
في الإتصاف والتوحيد، لإنقار.

ولو أن محرراً من أهل القصص، حاول أن يحترع سيرة عمر بن الخطاب،
لأنه من بحر دلت الشئ لمعرق من الأخبار والاحداث ونود، لقراءه
لقارئ بعد ذلك فيقل منه ما يقل، ويسقط منه ما يسقط، ثم ينهي منه ما يدل
أصدق الدلالة على كل صفة من تلك الصفات.

فلا خراع في جملة أحسن عمر بن حاز لشك في بعضه، أو جار إسقاط
الكثير منها ومن شاء فليثبت في هذا الخبر أو ذلك ما بدا له لثب ويسقط
منها ما بدا له لإسقاط، فسينقى بعد ذلك جميعه خبر بدر على عدله ولا سبيل
إلى نقضه، وخبر يدل على رحمته ولا سبيل إلى نقضه وخبر يدل على غيرته
ولا سبيل إلى نقضه. ويبقى ذلك التركيب لعجيب الذي هو موضع الإعجاز
وموضع الدهشة، وموضع تساؤل في مصادر الأخبار

هذه هي المعصية التي عساه حين فلما في صدر هذا الفصل، إن سهولة عمر
وخلو صناعته من التعقيد وعموض هي سهولة أصعب من الصعوبة لأنها تنتهي
بن إلى صعوبة التركيب التي هي أندر من التعقيد وعموض ويرت عاصر شئ
قد تتدفق في عر هذا تركيب ولكنها هنا لا تنافض هي شئ ذي دل، لأن
لنقص أن يذهب كل عنصر هي وجهة معارضة لسانر الوجهات، فلما أن تكون
كلها ذه هي وجهة واحدة، فذلك عنصر واحد منعد لأجراء ولألوان.

ولهذا كانت دراسة عمر عيمة بكل علم تنص بالحياة لإسبابة، كعلم
لأخلاق، وعلم لاجتماع، وعم السياسة، ولم تقتصر مر يا هذه لدراسة على
علم النفس وكفى.

لأن كل نفس صغرت أو كبرت، فهي بسبب بصيف لعم به إلى علم النفس
بعض الإضافة

ولكن ليست كل النفوس بسبب التي تصحج أوهام لواهمين في فضائل لأخلاق
وفصائل الاحتجاج وفي لقلوه الخلق التي يقتدي بها طلاب الرفعة والسيادة

وبحر في عصر شاعت فيه فسفت مسهيه، سكر لرحمه والعدل على
 الأقوياء العيوريين ونحسبهما حيله من حين الطمع في خلائق الضعفاء لاستدامه
 النقاء كأن رحمة الضعيف تنفعه إذا رحم، وكان عدل الضعيف ينفعه إذا عدل،
 وكان القوى يحلو نفسه لنفسه، ولا يحق قوياً لتفيد قوته فشدتها في خدمة
 المحتجين إليها.

فعمر ذو النأس والعدل، وعمر ذو الرحمه والعيرة، أصدق تفهيداً لذلك لوهم
 الآخرق سيد إن كنت رحمته وعدله لاساقصن النأس والعيرة منه، بل كان
 نأسه معوناً لرحمته وكنت عيرته معوذاً لعدله، وكان في هوي يستغ الدس
 بقوته، ولم يكن قوياً ليصع بقوته على الضعفاء،

ولم يكن نأماً أن يقسو ذو النأس ولا يرحم؟

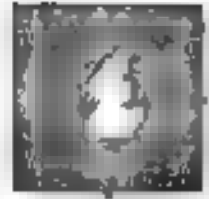
ألا يقسو الضعيف؟ فم الحب إن من رحمة القوى " كل ماهاك أن رحمة
 الضعف، غير رحمة الأقوياء، وأما العقر الذي يرى برحمة عريية في الأقوياء،
 ويرى لقسرة عرييه في الضعفاء، فهو يرى غير الواقع من هؤلاء وهؤلاء، إن
 الواقع في دنيا أن القسوة لاتدل على القوة، وإن الرحمة لا تدل على الضعف،
 وأما ليس في الدنيا أقسى من الأطفال وهم اصعب من قنبا من الضعفاء

وبعير إيمان صويل في دقائق النفس الإنسانية، استطعت امرأة محزونة أن
 تفرق بين بخصلتين وتجمع بينهما معاً في عمر بين الخطاب، وبعبى بها عتكة
 بنت زبد حين قالت في رثائه

وعرف على لأدى غيظ على العدى حتى ثقه في لئائيت متب

وهي نقرقة سهيه ولكنها صادقة جامعة، فغير عجب أن يكون إنسان كدال،
 وإفاد هو أوفق شيء لطبائع الأشياء،

مفتاح شخصيته



مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التي يفتح لب أبوابها، وتنفذ بها وراء أسوارها وجدرانها، وهو كمفتاح البيت هي كثير من مشايه والأعراس، ويكون البيت كالحصن المفلو، ما لم تكن معك هذه الأداة الصغيرة، سي قد يحبس في أصغر حبس، هذا عذته بها فلا حصن ولا علق

وليس مفتاح الحب وصف له، ولا بمثيلاً لشكله و تساعه، وكذلك مفتاح لشخصية ليس بوصف لها، ولا بمثيلاً لخصائصها ومزاجها، ولكنه أداة تنفذ بك إلى دخالها ولا تريد.

ولكل شخصيه سياسة مفتاح بسهر اوصو إبيه أو يصعب على حسب اختلاف الشخصيات. وهذا أيضاً مقربة في اشكل وعرض من مفاتيح النبوت قرب بيت شامخ عليه باب مكن يعجبه مفتاح صغير، قرب بيت صليل عليه باب مزعزع يحار فيه كل مفتاح

فلمست اسهولة والصعوبة هـ معقوس بالكر والصغر، ولا بحسن و ادمية، ولا بالقصبة و لقيصة قرب شخصية عظيمة سهلة، المفتاح، قرب شخصية هزيلة ومفتاحها حفي أو عسير.

وقد يحير الرجل ندى قيل في وصفه مثل ما قيل في بن عدد

لا تمدحن ابن عباد وإن هطت يد به بالحدود حتى شابه الدنيا^(١)

فانها حطرات من وساوسه يعطى ويمسح لا يحلا ولا كرما

فبب لا يستطيع أن يفتح منه في مواضع اللوم أو مواضع الثناء ولا يدري حقاً عمله من الكرم أم من البخل ومن الرفعة أم من الحسنة ومن الشجاعة المحمود أم من الجبن المذموم وغدة ما تنتهي إليه أن بعض المشكلة بكلمة واحدة هي ابوسواس وهي حيلة تلحننا إليها فلة الحيلة لأن تفسير لأعمال

(١) آدم جمع بومة، وهي الصعابة المظورة

بالوسوس يفيدنا هي تقدير صاحبها وتقدير أعماله و خلاله ولكنه تفسير له معنى واحد في السهوية، وهو ترك النفس.

قد يحيرنا هذه الشخصية المقوصة، ولا تحيرنا الشخصية الكاملة التي تروعت بعصائلها ومرباه، ثم لا تستعرب منها فضيلة أو هزيمة، بالقبس إلى النظام عملها، ونصل أثرها، كالشمس بصدعة تروعت بإشراقها في أوقاتها وبروحها، ثم لا يحيرنا لحظة عين، كم تحسب الدالة الصنية، يومض لحظة وتحصى من بعيد.

وهي اعتقدنا أن شخصية عمر من قرب الشخصيات العظيمة مفتاحاً، لن نبحث عنه، فليس فيها باب معصل لفتح، وإن شئت على أبواب صخام

وفر دكرت على الفصل سبق أن إيمان عمر هو الضابط الذي يسيطر على أخلاعه وأفكاره، كم يسيطر على دوافعه وسوراته، ولكن الذي نرصد مفتاح الشخصية شيء آخر غير معرفة الضابط الذي يسيطر عليها، يريد به لسمه^(١) التي تميزه بين العظماء حتى هي لإيمان وسيطرته على الأخلاق والأفكار و دوافع والسورات، فإن لإيمان ليقوى هي نفوس كثيرات، ثم تحلف إيمانه وشواهد باختلاف تلك النفوس وهذا نبحث عن «مفتاح الشخصية» لنعرف به لفرق بين الإيمان هي طبيعة عمر وبين الإيمان في طابع غيره من الأقوياء.

و لدى نراه أن «طبيعة الحمدي» في صفته المثلث هي أصدق مفتاح «الشخصية لعمر» هي حمته يؤثر أو يهوى عن هذا الرجل العظيم

فإنهم الحمصان إلى تتجمع «الصفة الحمدي» في صفاتها مثل الشجاعة، والعزم والصراحة، والحشوية وغيرة على الشرف والسجدة والضوة والنظم والطاعة وتقدير الواجب وإيمان بحق وحسب الإجماع في حدود امتعات أو المستويات

هذه الخصائص قد تجمعت بعد ألوف السنين من تجارب الأمم هي تعبئة حبوش حتى عرف الناس أخيراً أنها لازمة للحمدي هي أمثلة حالاته، فما من خاصة منها يستعنى عنها الحمدي الكامل الذي يحس بأحمل صفته وألوانه لتحقيق وجوده

فانظر إلى هذه الخصائص جميعها، هل تجدك محذراً في التفتيش طويلاً

(١) لسمه العلامة واستار الحميرة

عن واحدة منها هي نفس عمر، هل نحدد عتقته في تعمق، أو ستفصاء
بحجم أنشأتها، ولاهتداء إلى شو هدف ومواقعها^(١)

كل هذه الحصائص عمرية لأشمل هيبة، فهو لشجاع، الحزيم، الصريح،
الحسن، المصيع العيون على الشرف، لسريع، متحدة، امحب للنظام، آمؤمن
بالوحد والحق، اموكل بالإنجار، العارف بالمتعب والمستويات.

هذه الحصائص واصحة كلف في عمر، وعمر وحده واضح بين أمثاله هي
جميع هذه الحصائص، حتى لنصر لنا لو أن أحد مؤلفا يتألف لألغار سأل
عن عظيم في لإسلام و لعروبة، ميصف بجميع هذه الحصائص على أصدق
وأبهر حالاتها لكان الحواب الواحد عن سؤاله اسم عمر بن الخطاب

وقد يكون العجب من ثور هذه الحصائص في تفريعاتها الثابوية،
وشكائها بعارضة، أبع وأدل على العمق والتصر من توافر الحصائص
الحيلة، التي هي بمثابة، لأصور الجامعة في صنائع الحدود.

فالطعم مثلاً ليس بالخلق الأصغر في الحسي أساسل، فقد سباق إليه
طعمه وقد حجاج إلى تعوده وإمامه، حتى يكسبه بصور المראה

لكن الصدم كان حلقاً أصيلاً في طبيعة عمر، حتى فيم تتفرع عنه، ويخل
منه في عداد الأشكال والوقل^(٢)

رأيتة وهو يصي بالناس على بكر حتى يسوى الصفوف ويوكل رجلاً بذلك؟
أرأيتة وهو يرى الناس يجتمعون بالسجد في شهر رمضان أبرعاً متفرقين
حول كل قري، فبأمرهم أن يجتمعوا إلى قري واحد؟ أرأيتة وهو يحمل الدرة
ليبيه المحالفين في الطريق، ويذكرهم هبة القانون؟ أرأيتة وهو يركب في
السوق فيكسر من يرو من الدكاكين، ويحقق لتجار بالدرة إذ تكفوا على
الطعام^(٣) وقطعو طريق سبيلة؟ أرأيتة وهو لا يراي بأمر بالثأب^(٤)
والكف^(٥) أن تقصع عن صوبق المسلحين؟ أرأيتة وهو يهي لولاه عن لانتكا، في
مجلس بحكم ويكتب إلى عمرو بن العاص «وعم إلى أن تتكى في مجلسك
قيداً، حلست فكن كسائر الناس ولا تتكى».

(١) له كل جمع نافلة، وهي الرتبة (٢) تكفو على الطعام اجتمعوا عليه

(٣) المتأبب بميل الماء

(٤) لكف جمع كلف وهو الخليفة من لخش أو النحر نجد للإس واعيم لتقنها لحر والبر

بل رأيه وهو يرعى المرتب، هيرل درجة من سلاله المسر بعد آبي بكر لأب
الحليفة الأول أتحق منه بالتقديم؟

ذلك هو السميت اعسكرى بالقطرة تى فطر عليها، وبس هو سميت
العسكرى بالأسوة والتعليم.

وبالقطره لى فطر عليها، كان يحب ما يحسن بالحدى فى يده ووعامه، ويكره
ما ليس بالمستحسن فيه فكان يقول: «ياكم واسمى فبها عقله»^(٦)، وكان يقول
«ياكم والبطنة فبها مكسلة عن الصلاة، ومفسدة لجسم ومؤدية إلى السقم،
وعليكم بالفصد فى قوتكم، فهو أهد من السرف، وأصح سر وأقوى على لعباده»
وكان يأمر بالحد، ويحذر من امارل لأب «من كثر صبحه قلت هيبه، ومن كثر
سقطه^(٧) قر ورعه» وكان يمشى «شديد لوطاء على الأرض جهوى لصوت» كما
يمشى الحبور وكما يتكلمون وكان يأمر بعدم ارميه و سبيحه، والفروسة
والمصرعة، وكل رياضة يتدرب عليها اجدى، وتتهب بها الأبدان والأخلاق

وإذا ارتقى من هذا إلى البطم لأشمر، والنقسم لاعم الأكمل فهذا،
عمر من حصص الذى دور بدواوين، وأخصى كل نفس فى الدولة الإسلامية،
كأدق إحصاء وعاء أوكلون بالنحب فى العلم الحديث. فما من رحى أو مرأه
أو صغر إلا عرف اسمه، وعرف مكانه وعرفت حصنه من بيت مال المسلمين
وم من محاهد إلا عرفت له رسته من السق وتقدم على حسب المراتب التى
يستار بها الحبور... فاحاضرون فى «الحديبية» يتون بعدهم فى التقديم
والدين اشتركوا فى حرب الرده يتون بعد هؤلاء، وهؤلاء، وذين حاربوا فى
معارك الروم و لفرس ومعهم أساء الغره فى سر يحققون بمراتب هؤلاء
المقدمين وقس على ذلك ما ساء من سائر المراتب فى حقوق التقديم والتفسم.
ثم هتت عمر من الحصص لى عشر الحبور،^(٨) لى جعلهم عشر ث عشر ث،
ثم قسمهم إلى كتائب وبو،

وهناك عمر من الخطاب الذى لم يدر قط بدير كثيراً أو صغيراً فى شئون
الدولة إلا بنظام لا يخل، أو على أساس لا يحد.

وقد كتب له طريقه اجند فى التصريف اسرع، لى يفتد إلى العرض من

(٦) السقط الخطأ من قول والقص

(٧) السقط الفيد والفعال.

أهزب طريق فلما تشاور أسسمي ماذا يصنعون سهر بن عمرو، خطيب
لمشركين يومئذ وأقذر الحاصيين منهم في الإسلام، قال عمر بن الخطاب.
«رسول الله» برع شبيهه^(١) لسقيين فلا يقوم عيل خطيباً، بُدَّ «وكن سهيل
أعم - أي مشقوق الشفة السفلى - فإذا برعت تنبأه فقد عجز عن لحطة من
غير ما حاحه إلى عهد أو نحدر أو شقر شغل بسكته والرد عليه.

والقصاء لم يكن من لوام «الطبيعة حمديه» وإن تولاه القادة والحد هي
أيام انفس، ولأبام التي تقدم فيها الدول لاشنة، ولنضم الحديدة
ولكن كم من قضيه لعمر بن الخطاب تذكرن بالقصاء العسكري الذي يمنع
النصر من أقرب الطرق، ويحمي الأكثرين بالحد من حقوق الأقبي.

هتفت امرأة باسم نصر بن حجاج، وبصت أن نشرب الحمر وتلقاه، فأوسل
إليه، فإذا هو أحسن الناس شعراً وأصبحهم وجهاً، فأمره أن يحم^(٢) شعره
قطر حبيب، ووجنتاه فرداد حسب، ثم أمره أن يعتم فرده العمامة ربه
وغوبة، فقال لا سكن معي رجل تهتف به لعوتق^(٣) في جنوبها، وزوده بمال
وأرسله إلى البصرة ليعمل في تجارة تشعه عن النساء، وتشعن النساء عنه

وهي القصية جور على نصر بن حجاج لأجدال فيه ولكن في سبل مصلحة
أكبر وأبقى، أو في سير مصلحة يرعاها «الحكم العسكري» في أرملة كرم
عمر، ويفضي فيها بما هو «عجب من إقصاء نصر بن حجاج، برعاها أحياناً
يجمع لإقامة مكان، ومنع الخور من طريق، وبحريم نجدة لا حرام فيها،
ومر فبه يسن بجثي أن يعو، إلى حزيمة وتقييد أسهر بعد موعد من الليل

وسب نقول إن هذا الحكم في قصيه نصر بن حجاج، كان حكماً لزمًا لا
محيص عنه ولا مأخذ عليه، ولك نقول إنه حكم فيه تلك الصبغة اعمرية بني
سميد «مفناح شخصيته» وهي انصودة بما نكته الآن

وعد كان به في قصايه ذات الحرم الذي يقطع الحاحه^(٤) ويهض ساححة
على كل ذي خلاف كيم «شجر»^(٥) الخلاف، كتب به أبو عبيدة من دمشق أن

(١) النسة من لاسر وجسمها ناب وسار وهي لقم أيع (٢) يجم شعره بقصره (٣) لعو بن جمع
عابو وهي لسانه بصغيره (٤) انجحه نصري لحصين (٥) سحر لامر اضطرب ونارم عنه

عمرو بن معد يكرب، وأب حنبل وصبر را وجماعه من عبه لقوم والوجوه، شربوا
 خمر وسئلوا فأجابوا « يا حيرنا ماخرب قال ﴿قُلْ أَسْمُ مَسْهُورٍ﴾ ولم
 يعرف^(١)، وكان يدغمدة تحرج من عصب هؤلاء العيبة، فرفع أمرهم إلى
 الخليفة يستفتيه، فلم يستطع العريب أن يلع المسئلة حتى عد إليه بأمره أن يدعهم
 على رءوس الأشهاد، ويسألهم سؤالاً لا يزيد عليه ولا ينقص منه أحلال الحمر
 أم حرام؟ فبن قنوا حرام فليجدهم، وإن قلوا حلال، فليصرب أعادهم.
 فقالوا بل حرام، فجددوا، وثابوا

وربما تجمع للرجل كرم في «طبيعته الحسنى» من الخصائص وبقيت
 محدوسة فيه لا بدري بها بأس لا أن تأتي بعمل بيم عيبها، فدين نفسه
 بطبيعته تلك، ولا يدين غيره، ويكون مطبوع على أن يصيح، ولا يكون مطبوعاً
 على أن يطاع، وإذا جاعته طاعة المطيعين له، فأبما تحيئه من سلطان النظام،
 وحكم الشرع وعفة عادات لأن اشجاعه مثلاً لا تلام الهبة في كل حال،
 فقد يكون لشجاع مهيب، ويكون غير مهيب أحب ممن تفنحهم لأنظار،
 ويجترئ عليهم المستخفون.

أما عمر بن الخطاب فقد كاسب له «طبيعة جندی» ظاهرة وباطنة، تبرز
 نقوب كعب تبادر لأنظار، وتلامه كثبها عضو من أعضائه، فما جترئ عبه
 محبرى إلا أن يضمعه هو ويسهر عن نفسه بحطة لبغربه بالاجترأ.

وهي في موقف الأمر مخيف من لا يحرف، ويحفر منها من بحمي حبه
 أو كبرياء. شك إليه رجب من نبي مخروم أنا سقيس لطبعة، باه في حد كس
 بيدهم، قدما نأبي سعين والحزومي وهو إلى المكان الذي سرعاه، وبصر
 عمر معرف صدق الشكوى ونادى بأبي سعين؛ حد ما أن سقيان هذا الححر
 من هنا فضعه هنا، فأنى وتردد، فعلاه بالدره وهو يقول خذه فضعه
 ها هنا، فربك ما عمت عديم لظلم فأحد أبو سعين لحر، ووضعته حيث
 قال، ولو غير عمر أمره هذا الأمر لاستكر أن بطيع أو شنها عبه شعوا، لا
 تؤمن جريرتها

(١) لم يعرف، لم يجد حكماً قاطعاً، وعريضة الله فوضه إلى فرضه.

كان (١) يوماً في مجلس عمر وزياد بن سمية (٢) يتكلم وهو يومئذ شبيب فأحسن كعادته في مجال الخطابة والبشورة، فأعجب به عمر، وهتف به. له هدهد، لعلهم لو كان قرشياً لساوى العرب بعصاه.

وكان على من أتى طالب إلى جانب بني سفيان همال إليه هدهد، وهمس في ذنبه كلاماً، فهو أنه يعرف من أمر ذلك لعلهم من هريش. هل على. فمن قال: قال. هم يصعد من استلحاقه؟ همس له: أحف هذا الحارس أن يحرق على إهني (٣).

وخلق مثل هذا الرجل، لا يكون به شعار غير شعار الجند حيث كانوا لأمر هو الأمر، ولطاعة هي الطاعة.

وحقيق بالبدن أن يفهم ذلك عنه غير بدن، لاسيما إذا فهموا قبل ذلك أنه متى وجبت الطاعة، كان هو أول من يطيع. ذلك هو الجسد المطبوع.

جسد من حنود الله في معترك الحق وإيمان وهدا استومينا المثل إلى أقصاه فالقانون المطاع هو بقرن ولقد، الأعلى هو النسي التي يوحى إليه وبس أحد بعد ذلك أكبر من أن مطيع بامر الله والطاعة واجب لا هرة فيه. ويأمر القائد الأعلى فقد يراجه من دونه ويرفعه معاً إلى القاتون لأن الصاعدة لا تمتنع المراجعة والمشورة ولكنهم تسمع الصمد على القائد الأعلى ونكار سبطاه حينئذ استقر على قرار، فإن رجع بقائد عن أمره فحسن، والمرجعة إن خير لا صمد فيه وم. مصى في أمره فلا خلاف بين فيما يجب فالذي يجب إن واحد، وهو أن يطع كذلك راجع عمر النسي في مسائل شتى، فيخذ سبي برأيه في بعض هذه المسائل وخالفه في بعضها، فلم تكن حادثة فيم خولف فيه قل ولا أضعف معاً ووفق عليه.

وكذلك راجع الطبيعة أبا بكر في كريات المسائل وصغارها فكان أبو بكر يثوب إلى رأيه (٤) كثيراً ويصر على ما دله في رأي الحسن في الإصرار، فيصبح عمر أمره بعد ذلك، كأن لم يكن خلاف.

(١) أي أبو سفيان.

(٢) أشهر باسم زياد بن أسد ولم يكن معروف الأثر، وهو عهد معاوية شهيد بأس من المسلمين له من بني سفيان قد استنجد به معاوية، أي عرف به ما له ولاه لبصره أشهر بذلك. وسعه لحية، والحضابة، (٣) إهاب الجمل. (٤) ثوب إلى رأيه يوجب إليه ويحد به.

وإذا امتنعت لمراجعة فليس الرخص عند ذلك مؤهرا عن احتمال التبعه،
ونصريف لرأى، والاصطلاح بأعداء لموقف كيف كان.

اشهد المرض بسبب عليه السلام، وقال: نتوبى بكتاب أكتب بكم كتاب
لا تضلوا بعده قال عمر إن النبي ﷺ عنه الوهم، وعندنا كتب الله حسنا،
عندنا كتاب له حسنا.

صدى القانون الأسمى

أما انقضاء لأعلى فهو في مرضه بحد لا ينسحب معها المراجعة وهو مع
ذلك لم يصرف عني أمره، ولم يعود صب بورق للكعبة، وإنما قل حين كثر
اسط بين الصحابة قوموا عني، ولا ينبغي عندي التراجع. ثم عدش عليه لسلام
أياماً ولم يذكر الكتاب

قال رجل بطبع إذا استقام الأمر، واستقرت السعة.

وكان يرجع إذا توسع مجال المراجعة

فإن لم يكن هذا ولا ذات فهو صميم بالثقة التي توجهها عليه نفسه، وقمى
أن يذهب إليها ولا يكل عنها.

وتلك سنة جرى عليها عجز عن عدم وقصد، ثم بحر عليها عن بداهة ولها
وكفى، وأشار إليها في كلامه غير مرة، فقد في حصنة من خطبه ما فحواه
(«كنت مع رسول الله ﷺ فكنت عنده وخدمته وجواره»^(١)، وكان كما قل لك
بعالى ﷻ بالمؤميين رؤوفاً رحيماً، وكتب بين يديه كالسيف، السلور، لا أن
يغمدني أو ينهاني عن أمر ما كلف عنه وإلا أقدمت على الناس لما كان أمره).

فهو جلاؤن نبي، وسيفه السلور كما وصف نفسه.

وهو على أقوم مثال لجندى الفاصل العنم بموقع الضعة، وموقع المراجعة
وموقع المشاورة، وهو مع نسبة حيث لا مشرب منها، وبطل في اجسنة في
صورها المثلى.

وما بحسبه كان يرجع ويشاور إلا لعرض واحد، وهو الوصول إلى الأمر
الذي يحمل التبعه فيه.

(١) انصار، الشرطي

فبذا أعفى نفسه من النجعة بمراجعة رأياه، وأعفى نفسه من السدعة بمشورة مرعوبه، فقد عرف كيف ينبغي أن يطيع، وعرف كيف ينبغي أن يطاع، وعرف ما يتوق كل حدى أن يعرفه، حين يأمر وحين يأمر، وهو توصيح ما يطلب منه، وما يطلب من غيره، وتقرير مكان النجعات حين تقسم التبعات.

ولقد كانت له مخالفات ليست من قسيل المراجعة ولا لمشورة النى تعمس فيها الروية عمها، أو تختلف مذاهب الأراء فيها.

كتب هذه أيب من مخالفات «الحسى» النى يدفع إليها كلما علمته لحماسة وثارت به الحمية.

فلما كان يوم أحد، جاء أبو سفيان بنى على مسمع من المسلمين أعبك محمد؟ فقال رسول الله لا تحسوه!

فبعد ينادى مرتين أفيكم مصد؟ فلم يجيبوه!

فسأل ثلاثاً أفيكم ابن أبى قحافة؟^(١) فسكتوا.

ثم سأل أفيكم ابن حصص؟ وكرره ثلاثاً. فلما لم يسمع جواباً، قال نفوم: أما هؤلاء فقد كفتموهم!^(٢)

كثير على عمر أن يحصى صبره فى هذا الموقف أكثر مما احتوه هم قالها أبو سفيان حتى صاح من مكانه «كفرت ب عنوانه فاهودا رسول له عيسى، وأبو بكر وأنا أحياء؛ ولت من يوم سوء!».

هذه مخالفة لا مراجعة فيها ولا مشورة.

لكنها من مخالفات الجند، وبهم ولا شب مخالفات كتب لهم طاعت

بعم كتب لهم مخالفاتهم وطاعاهم، وكتب لهم كذلك فكاهاهم وأهواؤهم لتي هي أحسن من سائر الفكاهات ولأهواء.

فكانت بعينه فكاهه النى يوحى إليه معنى صحيحاً فيه صراحة وحشوية، ومنها الفكاهة سى سمىها اليوم «بالكت العملية»

(١) هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه

(٢) حدثه بعد نهاية معركة وقد ظن أبو سفيان أنهم ماتوا فى الموقف

فرغ رسول الله يوماً من سعة الرجال، وأخذ في سعة النساء، فاجتمع إليه
سواء من قريش فيهن هند بنت عتبة منقبة^(١) متكره، لما كان من صبيعتها
بحمرة^(٢) رضي به عنه، فهي بخاف أن يأخذها رسول الله بصبيعتها فيم
دون منه يبيعها قال عنه لسلام: سابعني عني ألا تشرك بالله شيئاً.
قالت هند: والله إنك لتأخذ أمراً منأخذه على الرجل، وسؤتيكه
قدراً ولاسرقت.

قالت والله إن كعب لأصيب من مال أبي سفيان لهنة^(٣)، والله، وما أدري
أكان ذلك حلالاً لي أم لا.

في أبو سفيان وكان شهيداً أم ما أصبت خيب مصي هانت منه في حين.
فقال رسول الله: ومنك لهند بنت عتبة

قالت: أم هند بنت عتبة. فاعف عما سلف، عفا الله عنه.
فمضى رسول الله في أخذ أسعة وعاد يقول: ولا تريد.

قالت: يا رسول الله، هل ترني لحرمة؟
قال: ولا تعلم أولادك؟

قالت: قد ربيناهم صغار وقتلتهم يوم بدر كدار، فأتيت وهم أعم. فصحك
عمر بن الخطاب حتى استعرب^(٤)، وكان قنبر الإعراب في لصحك قبل
استعرب ضحكاً بين حين وآخر فيما يصحكه مثل هذه لفكاهه

وعلى هذا لبحر فكاهه مع حرمه (سلم والله عاصم بحس عيهم، وهما
يعزبان عاء يشبه الحداء فوقف يستمع ويسنعيد. وشجعهم إصعوه
واسنعودته، فسألاه: أي أحسن صعة؟ قال: مثلكم كمثل حماري لعمادي.
سئل أيهما شر؟ فقال: هذا ثم هذا،^(٥)

ومن فكاهه القوي تلك المرحاة امرعة التي أضر بها لب الحصنة، ليكف عن
هذاء الناس، فدعا بكرسي وحلّس عليه، ودعا بالحطينة فأجلسه بين يديه، ودعا

(١) أي تلبس النقاب، وهو الحجاب

(٢) هند: روي أبي سفيان، وهي التي مكثت بحلة حمراء بعد أن فنن في حد

(٣) لهنة: مؤنة الهند، وهو الشيء. (٤) استعرب: في الصحك، دافع فيه

بأشقى - أى مثقب، وشفرة - بوهمه أن سيقطع لسانه، فصبح الحطينة ونشفع
الحاصرون فيه، ولم يطفئه حتى أخذ عليه عهد لا يهجون أحداً بعدها، واشترى
منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم فما حب أحد بعدها وعمر بقيد
الحياة

ثلاث مثلة من فكاهته بحشة أتى تعهد فى طبعة لجدا، وهى فكاهه لا
يصمغ منه فى غيرها.

وشاع لجافسه أن تورطه فى بعض افوائه، فكى هواه منها معاقرة
الحر، حبها ويكثر منها. وقد مرى أنه هو قريب من مزاج الجد غير نادو
فيهم بـ الحر توافق ما فيهم من سورة طبع وتشتعلهم عن الخطر، أو معيهم
عبه، وتصحبها فى كثير من لأحسن ضجه يألونها

وقد أحب ضجه البقوف وهى فى سباق هذا بهوى وظل يحبها بعد إسلامه
وحملته وإن كرمها فى غير لأعراس، فسمع ضوضاء على دار فسأل ما هذا؟
قيل له عرس! فقال: ملا حركوا عرايلهم أى لدعوف

على أنه كان يحب العناء جملة وبطل لإصعاء إليه ما لم يشغله عن مهم من
أمر دينه أو سببته، فسمع صوت حاد وهم متصقرون إلى مكة فى جوف الليل،
فمارال يوصع ر حلب^(١) حتى دخل بين القرم يسمع إلى مطلع الفجر، ثم قال
للقوم: إيه! قد طلع الفجر، اذكروا الله.

طبيعة إحدى فى الفرق قامة متكمنة بأصولها وفروعها. ويندرج تتم
طبيعة شامة فى رجل واحد إلا أن يكون كعمر فى أصالة الصم وصراحتة
وحلوصه و بساطه فلا يحدل منه جزء جزءاً، ولا تقبل منه وجهه حيث تدبر
أخرى، وحديث لا عجب أن تتم له طبيعة واحدة بلغة ما يبع من تعدد
العناصر والئون والشبث، كما به لا عجب أن يشبه بولد أنه لأنه أصيب
صريح أسس، ما بلغ التعدد فى مشابه الأخلاق والحوارج والأعمال.

ولهذه الطبيعة أثرها فى مور لا تمت إليها على ضاهرها، كآثرها فى تحريم

(١) موضع رحمة يحملها على اسير اسريع

رو لعربي وفي إجلاله الحزيرة من غير العرب، فهي ششنة الغيور على
الحوزة، المؤكل بحمية الذمار^(١).

ولها أثرها في سياسته مع الأمم حيث أصر الحند بتصديق كلمة الشرف،
وإبرء بالوعد، ولو كان إشارة باس، و بناءً من صوت، فقد أحب على ما به
وحبوه إذا برلوا بلاد الأعاجم فبشرت منهم إشارة أو بناءً يحسبونها عهداً أن
يمحروا هذا العهد ولا ينكصوا فيه، ولو أتيح لهم أن يتعسوا بحهل بلغه،
وغرابة العادات والمصطلحات.

وانك على لحظة لا تعرض عملاً من أعمال الفاروق العامة والخاصة على
هذه طبيعة الا وجدت له قراراً فيها، ووجدت عليه صفة منها

فهي لا ريب أقرب مفتاح لهذه الشخصية العظيمة، وبها تتميز حصائصه
التي لا يشترك فيها أناس مطبوعون على غيرها، وإن كانوا أعضاء أقوياء

وقد أسفنا الإشارة إلى إيمان القوى وقلبه به صبيط لأخلاقه وسورته
وبسبب مفتاح يكشفها ويصح معانيها، لأن إيمان القوى بنفسه يحتاج في فهمه
وتمييزه إلى الفصاح الذي يفرق بين صروب إيمان عبد الأقوياء وليست القوة
كلها كما لا يخفى معدت واحد في أسوأ عت والمظاهر والآثار

وهكذا كان إيمان عمر في سلوكه به وسبوك ديه كان إيمان الطبيعة
الحندية في حاشتها لمثلها.

فهي سلوك ديه كان يعيش أبداً يعيشه المحاهد في المدين، فأنثر الشصفه
وقنع منها باهل ما يكفيه ولا على غيره.

وهي سبوك ديه كان موقفه بين يدي الله أبداً كموقف لحندي لدى نعم به
لا يلقي مولاه إلا لنورى لحساب على كثير ولقبيل، فإن تحبته لمسامحه
جاءت عفواً، لا بيسه تحصيل الحساب

وكان معتمداً على عيب موصول بالقدرة، يركن به كنه براه بعينه ومن
دأب كل طبيعة تسبحضر موت أن سطر إلى لعب، وتستطلع طبعه^(٢)، وتتضرر
منه الحماية والهداية.

(١) الذمار: ما يلزمك حاسبه، وحقيقه، والدفاع عنه، والفرم، والادل، والحره

(٢) يقان: فلان أطلقني على الأمر أو أطلقني صفة بكونه

فأشتهر عن كثير من كبار لقادة أنهم يؤمنون بهم بنعم سعد بمحظهم، أو بغاية اجر لا يعجزون عنها، أو بإلهام يهديهم إلى النجاة، ويرزق أمرته وعلاماته في الرؤى والهواتف، وكلمات الفل والنسرة

وكان عمر يتفاعل بالأسماء، ويظهر في الرؤى والمنامات. وروى عنه في رو بات متواترة أنه أنسى بموته في منام، وأنه رأى كأن ديك يقره مقرتين، وفسروا له الديت برجل من العجم يصعبه طعنين

وروى محارب بن دثار عنه أنه سأل رجلاً من بني هلال، قاضي دمشق، قال: كيف تفصي؟ قال: أقضي بكتاب الله، فسأله: وما بكتابك ما ليس في كتاب الله؟ فأجابه: أقضي إِنْ يسه رسول الله، فسأله ثانية: وما بكتابك ما ليس في سيرة رسول الله؟ قال: حسب برئى وأوامر حساني، فاستحسن قوله ووصاه بما جلس ليحكم أن يدعو الله قائلًا: «إني أسألك أن تُفنى بعنهم، وإن أقضى بحظهم، وأسألك العدل في الغضب والرضا».

ثم رجع القاضي بعد فترة فسأله عمر: ما رجعك قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان، مع كل واحد منهما حدود من الكواكب فسأله مع أيهما كنت. فقال: مع القمر!

فأما قلنا ثم ذكر قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ الْيَوْمِ﴾ وجعلنا آية النهار ﴿ثُمَّ قَالَ: لَا تَلِي لِي عَمَلًا﴾

هذه رواية من رو بات كثيرة عن اسماء ونظرة هي، لا تدري مسعها من الصحة في تفصيلاتها، ولكنها كلها تدل على نغم من الذي قصدت إليه، وهو استبعاد الغيب من طريق الرؤى والعلامات، إلى جانب الإيمان القوى لا يسهو عن عالم الغيب طرفة عين

ومن حق أن يصفى هذا أن الإيمان القوى ليس بمسحور في طبيعة لجسمة بل ربما كانت طبيعة بحد أقرب شيء إلى طبيعة الإيمان وأن يصفى هذا سبداك آخر، لكنه أدعى إلى بحث من القول في الجهاد والإيمان وذلك أن العبد لا يدق طبيعة الصد عامة، وأن طبيعة الصد لا

(١) لا تلي لا هذا ناقبه وليس بغيره، فالقن بعدها مرقوم

تستلزم العدوان في كل محارب ولاسيما محارب بصحا^(١) عن دين ووفقا لشرعية.

فاعدل يفنقر إلى شجاعة وشرف، وهما خصلتان مطلوبتان في الحدي لصنوع، فأما الشجاعة هي ارجل اعدل فتحمله أن يحس الأقوياء وهو حب، وأما الشرف فبحميه أن يحور على الضعيف وهو حسه ولا تنقص بين هذه الخصال.

إنما محارب المعتدي هو الذي «محارب لحسابه» كما يقولون، أو محارب لنفسه مرصاه لصمعه ودهاب مع برويه ومن هذا انظر لإسكندر وسيمون وبليون.

أما المحارب لدى تقبده برادة عبر إرادته، ويحكمه قانون غير هو، فالحرب من مثله واجب سلام على مركه وليست بحرية يلام على قترانها

وقد يرى هؤلاء أن أشرف الجهد جهاد النفس والهوى، قس جهاد بصوم والأقران، كما رأى عمر بن الخطاب.

ومصادق ذلك ضهر في كل قند تدعوه إلى حرب برادة به أو إرادة آمة أو إرادة صمير له قانون طبيعة الجدي في هؤلاء لا تنقص اعدل إلا كما تنافسه طبيعة الجسوف أو طبعه، نفس، أو طبيعة التصرف في شؤون العاش ولا تنافس بين وبين واحدة منها، أو هي جميعا هي هذه الخصلة سواء.

هؤلاء لا يحاربون لا مكرهين وإلا حاربوا لم يحاربوا ليعي ولا لتفكيك، ولو كان في حيدان القبار، وسندهم هي سنة عمر حين حذر لمحامدين ريعتو لأن له لا يحب المعتدين، ثم قال «لا تحبوا عبد النقاء ولا نمثلوا عبد لقدرة ولا يسرقوا عبد الظهور»^(٢)، ولا تقتلوا هربا ولا مرة ولا ولد، وبرهوا الجهد عن عرض لديد، وأشروا لإرباح^(٣) في السع الذي يبيعهم به، وذلك هو لغور العقيم.

وذلك هو الحدي في حاشته المثلى.

وذلك هو مفتاح لصديق الذي لا نعم مفتاحا، صدق منه لخلائق هذا الحدي اعدل الكريم.

(١) بصحا، دهاب.

(٢) الظهور لصوم.

(٣) لإرباح الحصول على الربح

إسلامه



يحررُ نَ نحت عن سبب واحد سعمل الذي يعمله الرحمن اليوم وينساه عد
و يكرره كل يوم، ولا سفت إلى عقبه، أو سفت إلى عقباه ولا يتوقع لها أثرا
يعبر في مجرى حياته. فسبب واحد لعمل من هذه الأعمال كف، ولا حاجة
بعده إلى استقصاء.

لكن العمل الذي يحول به حياة الإنسان نحولا حاسما لن يرجع إلى سبب
وحد، ولن يسفنى في تفسيره عن عدة أسباب، بعضها حديث وبعضها قديم،
ومنها الظاهر الطيع، والحقى المستعصى وعد يجهل صاحبها بعض هذه
الأسباب، ويسى المهم منها، ويتعلق بالهين لقرب

الرحل لدى بغير موطنه أو معيشته أو ربه لا سفل داب عفو لساعة، ولا
تلبه لافرح يوحى إليه في مجلس فراغ. وقد يوههم هو أنه سسمع لاقتراح
فيه، و به لم يكن سسبه بولا ما سسمع في تلك اللحظة العارصة، فحمر أهيه،
وترث موطنه، وعبر صذ عته من أجر كلمة، وأب سائله ساعته «نك عد
سحرت أهلن، وتركت موطنن، وعبر معيشتن، لأنك سست سزاحا، فسر تعم لم
لس لاقتراح» فإذا سألته دنك لسؤال رددته إلى نفسه، سعلم أن الأسباب
لصحيحة وراء دنك، وأنه لم يتحول؛ لأنه سسمع الافرح الزعوم، بل سسمع
الاقتراح وساه لأنه كان قبل دنك مستعدا للتحول، ماضيا في سريفه ولو سسمعه
مئة معه لم يكونوا مسعدين مثله، لما عملوا به ولا لسفنو إليه

وئين بعبير المعيشه والموسر، ولزى من بعبير العفدة الدسة؛ إن بدا
استصعرت السبب الواحد هي بفسر تلك التغيرات، فبه لا مرأ أصغر من
دنك جدا في تفسير التحول الحاسم إلى دنك حد.

لأن الإنسان إن عبر معيشته فأبم بعبير ساعة، وإن عبر موطنه فبم بعبير
بلدا، وإذا عبر ربه، فأبما بعبير سمم^(١) يقوم على كساء، ولكنه إن عبر عقيدته

(١) السم، لهه

الدينية فقد غير كونه، واستبدل به كونا حراً وقد غير ماضيه وماضى أهله وغير حاضره وحاضره هله، وغير مصيره في سبب ومصيره بعد الموت، وغير اراعه ومقاييسه همه واحد، وهم ندع من أمور الحياة، وعلاقات اساس، ومنها مالف واوصر ومحبت ومكره موشحات لاصول إلى ما وراء الآيا والاحداد.

فسبب واحد لا يعيز هذا كله دفعة واحدة.

ولابد لتصادم هذا التعبير من أسباب سابقة عهدته، وأسباب موقوفة هي اظهر تلك الأسباب وقد تكون أضعفها وأقلها تفسيراً لذلك الحدث لعظيم في العلم، وهو تعبير الإنسان هكذا لا وقد أحاطت به في مصره حيث عظم؟

وبحق قد شرب فيما تقدم الى ندم عمر لشكايه لرؤيتين للدين عارضتهما في الإسلام، ورأي ما كان لدمه من كسر حديه، واستغلال صغبه، وترويض غنمه، والتقرب منه وبين الحشوع ادنى، والهداية الإسلاميه فهل ينف عند هذا الندم وكفى؟ ومن انتهبا به الى حيث يستقر يوقوف؟

ومما لا شئت فيه أن عمر كان مغرباً من الإسلام يوم رثى لام عبد له بنده حبيته، وتركه سطلق إلى الهرة وهو يدعو لها بكلامه وكانت هي على صواب حين طمعت في إسلامه ورجاله يأسون منه فقد سألها عامر بن ربيعة مسعرباً مستعفاً كذا... فتعفى استاذ عمر فالتب نعم فقال إبه لا يسلم حتى يسلم خمر الخطاب!

ولكن لرحل الحف، وصنعت المرأة، إرلس أسرع من امرأة أن تلمح جند لرقه، وحابت لعصب من قبل الرجل في خفيه عبر سبب حياتها كلها من قدم لزمن موهبه بذاب الغضب كيف تتلطف هي تحويله ويتلب الرقه كيف تتلطف هي استعائها من مكمنه. ومن نحجها عنها القوة وهي ما نفدت إلى نفس الرجل قص إلا من وراء القوة.

فعمر كان مغرباً من الإسلام يوم رثى للمرأة المهاجرة، ودعا لها بصحة الله، وكان على تمام الإسلام يوم رأى الدم على وجهه أحسنه ورأي روحها منطرحاً لا يفوق على دماغ.

ولكنه كما قلنا سبب من أسباب أو أنه هو السبب العارض الذي يومى^(١)

(١) يومى: يسير

إني لأسبب لعميق سبب عارض هو الألف شكاية بصعيف، وسبب عميق هو برحمة اللى نحن مذي نحوه كريم هليس لإنسان كله بدم ورحمه وإن بدل بدمه، وصادف رحمه هليس كل م حيوي رحمه بعثوه إلى زمن طويل

وقد تعددت الروبوت هي، سلام عنده وأخسف بعض هذه الروبوت في اللفظ، وتفق في المعنى، وجعل أساس يضروا فيها كثرة الصحيح منها لا يكون إلا رواية واحدة، وسأثرها باطل لا ينسجم على حقيقة فلم لا تكون صحيحاً كلها، ولم لا تكون أسبغاً متعدداً هي أوقات مختلفة؟ فمن المستند مع العقول أن يسقط منها قليلاً من الحشو هذا ثم يحصل منها إلى حملة اسباب لا تعرض سننها في اجواهر، وقد يعرر بعضها بعض هي نسق السيرة وهي لباب نتيجة

روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال «كنت للإسلام مبعوداً، وكنت صاحب حمرة في الجاهلية أحب واشربها، وكنت لنا محسن يجمع فيه رجال من قرش فخرجت تريد حلسائي أولئك قلم أجد منهم أحداً فقلت لو نسي جنت هلالاً أحماراً وخرجت فحنت فلم أجد، فب لو نسي جنت بكفة سطع بها سيف أو سبعين فحنت أسجد أريد أن أطوف بالكعبة عهد رسول الله ﷺ فأنتم يصي، وكنت إذا صليت استقبل الشام وحبس الكعبة بينه وبين الشام وأجد مكة بين لركبين بركي الأسود وابركي يميني فقلت حين رأيته و قد لو أني استمعت لحمد الليلة حتى سمع ما يقول وقام بنفسي أني لو أتيت أسمع منه لأروعه! أعصت من من الحرام» بحسن تدبيره صلى الله عليه وآله

قوله ابن إسحاق في سبب إسلامه كما بعث عنه في كتابه «عقريه محمد» أن عمر حرج يوم مشرك سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهط من أصحابه. قد اجتمعوا في بيت عبد الصفي، وهم قريب من أربعين من رجال وبساء، ومع رسول الله ﷺ معه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضى الله عنهم فلقاه بعيم بن عبد الله فقال له أين تريد يا عمر؟ فقال ربي محمد ههنا أصحابي^(١٢)

الذي هرق امر قريش وسفه حلامها، وعاب دينها وبس ليتها فاقتله، فقال
يعيم و له لقد غرتك نفسك يا عمر انرى بنى عبد مناف ذرركم تمشي على
الأرض، وقد قبلت محمداً^(١) أهلاً ترجع إلى من سب فتقيم أمرهم؟ قال واى
أمر يبنى؟ قال حسب^(٢) وان عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأهلك فاطمة بنت
الخطاب، فقد والله أسلم وديعاً محمداً على دينه، فعليك بهما

قال. فرجع عمر عائد إلى أخيه وحبيه، وعندهما حباب هي مخدع لهم، و
هي بعض أخت، وخذت فاطمة بنت الخطاب لصحيفة فجعلتها تحت فخذها
وقد سمع عمر حين رأى بنى البت قرعة حباب عبيها فما حرق قال ما هذه
لهبته^(٣) التي سمعت فلا له ما سمعت شيئاً قال بنى والله، لقد احبر
نكف ناعتما محمداً على دينه ويطش بحمسة سعيد بن زيد، فقامت به أخته
فاصمة لتكفه عن روجه، فصرىها فشجها فما فعل ذلك قال له أخت نعم، قد
أسلمنا ومد بالله ورسوله، فاصنع ما بد لك فما رأى عمر ما بأخيه من
الدم، يدم على ما صنع، فرأى وقال لأخيه أعصيني هذه لصحيفة التي
سمعتكم تقرءون بها، انظر ما هذا الذي جاء به محمد وقرأ سورة طه فمد
قرأ منها صدراً قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ فلم يسمع ذلك حباب، حرج
إليه فدل به يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد حصص بدعوة نبيه، فإني
سمعتهم أمس وهو يقولون اللهم أهد الإسلام بنى الحكم بن هشام أو عمر بن
الخطاب قاله الله يا عمر فقال له عند ذلك عمر دسى بالحباب على محمد حتى
تبه فأنسىهم فقال له حباب هو في بيت عبد نصف معه فيه نفر من أصحابه،
فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فصرى
عبيهم السب، وقام رحر من أصحاب رسول الله ﷺ فصر من خلل^(٤) أساب،
فراه متوشحاً بالسيف فرجع إلى رسول الله وهو فرع، فقال يا رسول الله،
هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف فقال حمزة بن عبدالمطلب نذر له، فإن
كان يريد خيراً بذنه له، وإن كان يريد شراً هتله سيفه، فقال رسول الله
نذر له وبهص إليه حتى يقيه سالحجرة فنخذ بحوزته^(٥) أو بمجمع رداءه ثم
حبذه حمدة^(٦) شديدة وقال ما جاء بك بن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي

(١) حبك، بنى لصبر ٢٠ أبيت أو لأحب (٢) لهبته الكلام الذى غير امره

(٣) الحبل بالرجل من السبى (٤) بحوزته بحوزة بوضع يده لا ر من الوسط (٥) جبر

حتى يرسل الله بك فدية (١) فقال عمر برسول الله! جنتك لأومن بالله وبرسوله
وبما جاء من عند الله»

هذان الروايتان هما أجمع الروايات للأسباب «المنشورة» التي هربت بين عمر
وإسلام، وتتفرع منهما روايات متنوعة يريد بعضها نارة أن عمر قد أوفد لقتل
أبي من قبل قريش، ويريد بعضها نارة أخرى آيات من القرآن الكريم قرأها
عمر هي بيت أحبه غير آيات التي تقدمت الإشارة إليها في سورة طه وأشبهها
بالصديق أنه لما طمع على «الصحيحة» فر فيها اسم «يرحم من يرحم» مدعو
والقاه ثم رجع إلى نفسه فتداولها وجعل كلما مر باسم من أسماء الله دعو
فمن بلغ ﴿وَمَا يَكُمُ لَا تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِمُوْعَدٍ يَرْبِكُمْ وَلَقَدْ أَخَذَ
مِنكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

وهذه على حلالها روايات مقاربة يبدون أنها قصة واحدة شطرت
شظيرتين وريدت عليها، بحواشي والأصراف فحدثت في ألفاظها ومواعيد
وتفقت في جوهرها ومدلولها، لأنها تمس نفس عمر من السحرة التي هي نفسه
أن يهديه إلى طريق جديد.

وهي كما سلفنا نجمع لنا الأسباب «المنشورة» التي اقترنت بإسلام عمر،
ولا نعبد عن الأسباب الأخرى التي هي سبب هذه الأسباب ومرجعها،
ولا حلقها كحلقة أن تحده بزاوية القرن، وأن سميل به الرحمة إلى الإيمان

فقد كان مهتماً للإسلام لا محالة، وكثرت مجافاته بإسلام خيفة أن يسبى بعد قس
ولا يطول إلا ريثما تعز لمسة الشهادة باللسان بعد التهيؤ بالفطوة والصبر

فلم يكن بين عمر والإسلام هيادة الأمر إلا باب واحد بلعداء.

وكل ما عد ذلك من الأبواب فقد كان مفوجاً بينه وبين هذا «سبب الحديد» ما
هو إلا أن يراه بالعين حتى يتفهم فيه.

كان باب العداء بينه وبين الإسلام أنه ربح قريش عير عير هي قومه فإذا
رجع يرحل عنهم فيعرق - كما قال - أمر قريش، ويسفه أحلامها ويعيب دينها
ويسب أهلها، فلا حرم يثور ويعصب ويهجم ولا عجب أن يدور عن دماره

(١) الفدية: الداهية

ويرخص^(١) المذبة عن شرف بانه ويرى انه عمر عدو ولا باع، وإن البعي
و لعدوان إنما بحبان من قبل ذلك الرجل يصرح على قومه حتى يتبين به
بالحق، ندى يصدق به أن الذي هو فيه هو البعي و لعدوان.

ذلك باب العداء الوحيد الذي كان بين عمر والإسلام، وهو باب لا يطول
مدخله هي نفس طلعت على العدل والإنصاف

فما من سب بصر بين لجاهلي اشريف، وهذا الدين لحدود، لا كان
موصولاً بنفس عمر أو ثق صبه، ما علمت من سب للإسلام، إلا كانت له عقده
في نفس عمر، وثيقه لفراو.

فربما أسسم^(٢) أناس لآلهم أخذوا سلاعة لقرن، وأسسم أناس كرهوا المنكر
التي كان بشيخ في لجاهليته أو لآلهم ورثوا لبرعة الدينية و لخلائق المستعصية،
أو لآلهم حبلاوا على روحانية تصل بينهم وبين عالم العيب وخطرة الأسرار أو
لأنهم قد عرضت لهم عرصنة موهوته حركت ما فيهم من كرامن تلك لأسباب
وكل أولئك كان عمر على استعداد له عظيم.

وكل أولئك لم يكن عمر قبه بالوسط مكرر من كان فيه العلم المنزوع لمضيء
بين الأعلام.

كان عمر سيفاً حسن النقد لبلادته، هو ه منها لصدق والصبح وجمال
لنعصير، فكان يطرب لقول وهير

فإن الحق مقطعه ثلاث مـ أو بغار أو جلاء^(٣)

ويقول كلما أشده معجبا ما أحسن ما قسم وسماء شاعر الشعراء، لأنه
لا يحاطر^(٤) بين القوامي ولا تتبع حوشي الكلام

وربما قصي لليلة يشد شعره حتى يرق لفر، فيقول لحيبته «الآن اقرأ
باعد ساء»

وحده يوماً بعض آل هرم بن سنان مدح رهبر، فقال عمر أم وإن رهبراً

(١) رخص أثوب عسلة ويرخص معناه عن شرف بانه يربطها

(٢) يربط لشاعر أن معناه الحق بانه يربط بانه يحكمه ويثبته

(٣) يحاطر، ماخذ بالكلام عقده وضعفه واستحلم حوشية وعريته

كان يقول فيكم محسن، فقير له كذلك كد معطيه فحزن فعاد عمر يقول:
ذهب ما أعطيتموه، وبقي ما أعطاكم

وجاءه وهه من عطفن فسألهم من الذي يقول:

حلفت قسم أنزل لنفس ربيـه ولبس ورء له للمرء مذهب

قالوا: شعبة بنى ذبيان، فسألهم: ومن الذي يقول:

تبتك عاربا حنفا ثيابيـي عني وحزن نصن بي الضمور^(١)

فألقب الامامة لم نحسبها كسبك كان موح لا نخون

قالوا: هو الشعبة، فقال: هو أشعر شعرائكم

وطالما أعجب بقول عبدة بن الطبيب:

وخر، مدح لأمر ليس مدركه و لعيش شح وإسفاو وديـر

وبشده فيقول: عني هذا بهيت الدنيا،

وبدر بين ثمة أسير من عاص في ادب قومه عوصه، ورعى من أشعارهم وصرفهم
من ما وعاه فل الأصمعي «ما قطع عمر عرا لا يمثل فيه بيت من لشعر» وحر
مرجع أبي أشعر الذي يمثل به فتره في أحسن موقع وأصدق شاهد، وسمح من فيس
حبره في حوته ن لآب كان حاد من جده لتي برق فيه حاسمه، ويأس فيه
إبي قلبه، ويرجع فيه إبي فطرته حاء عبد الرحمن بن عوف إبي مده فوحدده مستنق
على مرجه له، وإحدى رجليه على الأخرى وهو يشد بصوت عا

وكيف ثواني^(٢) بالمدينة بعدما قصي وطر منها حمير بن معمر

فلم يدخل عبد الرحمن وحلس قار له ب يا محمد، ب إذا حلوبا فلنا كم
يقول السبي.

ويم يقصر إحصاه بأشعراء على الدين وأحقوا المواعظ والسبي لدينيه، من
نضر في فدهم ومفاصل بينهم في بلاعتهم، ففضل أمرا القيس لأنه «سابقهم،
حسب لهم عين الشعر، فافتقر عن معان عور أصبح بصر»^(٣).

(١) ثواني قدمتي

(٢) القوب الحق السبي

(٣) حسب يرم عين لشعر فاشعر عن معان عور أصبح بصر استنجد عين لشعر وسبق طريق المعالي
وانتي بالثبو ود الحساب واجع باب «ثقافته»

وبو دزه مع السعير ، والرواه كثيره . قدس على شعفه بالبلعه الصدمه ، وحفظه لاجمل م يحفظ بين أهم عصره . كما قدل على ذلك حصه ورسته وشواهد وأمثاله .

وقد يصح أنه نظم الشعر أو لا يصح. فقد نسب إليه أبيات ولكن هو أنه
شاعر، حيث يقول لو نظم الشعر لقيته في رثاء أحى ولكن الصحيح أنه كان
يحب لشعر لميخ، ويرويه ويوصي برويته وأنه بشأ في قوم يحبون مثل ما
أحب، ويعجبون بمثل ما أعجبه، ومنهم أنوه الذي نظم شعر هي أكثر من
مئسة، وروى عنه أنه قال لا توعده بو عمرو بن أمية

أَيُّهُ عَدْنِي أَبُو عَمْرٍو وَيَوْمِي
رَبِيعُ عَدْنِي وَكُلُّ جَارٍ
هُمُ الرُّأْسُ الْمَقْدُمُ مِنْ قَرِيشٍ
فَكَيْفَ حَذَفَ أَبُو أَحْشَى عَدْنًا
هَسَبْتَ نَعَادِلَ عَنْهُمْ سَبَّوْهُمْ
إِلَى آخِرِ مَا عَسَبَ إِلَيْهِ.

فأقرب شيء إلى الواقع - وبى الموضع - أن يؤخذ بضاعة لقرآن رجل شتى
هذه النشأة، وأحب الكلام البليغ هذا الحب وأن يحثم لآياته ويعجب لنفسه
فبفتح من قلبه مسالك الأصغاء

وكان عمر مسقيماً لطبع مفضراً على الإصناف، فلم يكن رحب منهُ
لسترخ إلى قسار الداهية، أو يحق عليه فسادها، إذا به إيه وفدى، في م
هو حتى منه.

وكانت لمرعة الديبة وراثة في أسرته على ما يظهر من مبادرة أحبه فاطمه، وابن عمه سعيد بن زيد إلى الإسلام، وكان له قبل الإسلام رجل من عمومته يقدح في الوثنية، ويبحث عن الحق في البصريه واليهودية ويستلئ به بالحلأف، ويستلبه بالبداءء والحس والإرهاق، ونعني به رعد بن عمرو بن نفير

(١) لا يهتبه. اوعيه. لا يهتبه. اوعيه.

(۴) عینہ کجی و شہدادت عظامہ

(۳) یعنی آنکه لا محتمل بهم اقربا احقرین مهم معاذب اروپا

وعمر نفسه.. ثم يقل بنا به نفس سة من السمر ومن الخمر، فذهب يصوف
 بالنسب كن طواف لبيب شهوة من شهوات قلته منوب عنه مناب المحبوب من
 الشهوات؟ ألم يكن في الحافيه بدر ان يعنكب لينة من كل سبعوع؟ من نعل
 صلاية الخطاب بيه، ثم يكن في صميمها شيئاً مذاقاً لعصر سري
 والإيمان فاما هؤلاء الصلاب الشدد في المحافظة على، لعرف، هم أوبك
 المؤمنون المترمون^(١) بدر لا يصفون المساس بعفائهم إذا امنوا بدين

وراد عمر على ائمة الدينية أنه كان صاحب فراسة وزكاة^(٢)، وكان
 ستنصع بروى والمساب ويصل بالعب، وينصر على البعد كما سيف في
 حديث سارية حين ناره يا سارية اجبر يا سارية الجبل، وسبهم مسيرة أيام
 وكنت العوارض تمر به فبعطوه إلى الإسلام ترة من هريق الرحمة، وباره
 من هريق لعدو والنخوة، فخشع ويسم، ويراجع عدوه وكبرياءه، إلس
 أنقض إلى الزحر الألى انصف من أن يح رب أناس لا يحربوه ويلج في
 يذاء قوم لا يقدرون على أنه.

فإذا تفتحت هذه الأبواب جميعاً من عمر و لإسلام، فباب واحد موصد لن
 يحبه طويلاً عن هذا الدين ومن يحب هذا ليس طويلاً عنه
 وقد تفتحت في يوم من الأيام.

تفتحت كلها فدخلها بحول العصفه من جميع الأبواب، وسلم الحامى الشريف
 كم كان يسمى ان يسم، وكما كان بقى سيسلم في مناسبة من المناسبات
 قديماً العالم الإنسانى قد تفتحت فيه صفحة جديدة:

صفحة يقرأ فيها القارئ قس كل شيء عدا تصنع الإسلام بانفوس، ويعلم
 منها غير كل علم أن هذا الدين كن قدرة عليه مششته من بدر الحدير لتي
 سيطر على هذا الوحوب كان قدرة تلاس الضعيف فيقوى وتلاس الهوى
 فسمى قوته ويجرى به في وجهته، وكان بدأ حالفه حرفة نحد الحجارة
 المنعشرة في لبيه، فبدأ هي صرح به اسس وأركن، وعيه ماوى لتصماتو
 ولأدهن حافى كسبه الاسلام فكسبه لعلم الإنسانى كله إلى حر الزمان..
 وبفس صائغة رست إلى صاحبها فعرف منها ما كان يكر، وطمع منها على ما

١) الترمذ لمعور بسند في سته

٢) لركان النبوة والفاضة.

كان يجهر ويفع بها امته، وأما لا نخصي، وصنع بها الإسلام أعظم وأفحم
من تصنعه قنطرة بناء وإنشاء، حيث كانت قنطرة بناء وإنشاء.

وسطرت الأمم فرأى كيف تعدو النفس الإنسانية حتى يحار فيها الأسس وهو
ريشة في مهب النوازع والأشجان^(١)

رأت كيف يصبح العدل والحق طبيعة حياة، وكيف يصبح مخبوء من النعم
وإدم، وكأنه لا يأكل طعامه ولا يروى طمأته إلا ليعدل ويعرف الحق، وكأنه
لا يصبح ولا يدم إلا ليعدل ويعرف الحق، كأنه لا يتنفس لهواء إلا ليعتد
الطمع عن الناس وتكون دولة لياطر بين الناس وكثف العدل وحق دين عليه
بطلابه به ألف غريم، وهو وحده أقرى في مطالبة يهما من ألف غريم.

لقد كان هذا الرحمن المحيد يعض أن يطمع غيره أشد من بعضه أن يطمع
غيره. وهذه مزية في أنفسه لا تصولها أمارات لأنها مزية الأبطال الذين
يسمون على أنفسهم، ولهم أنفس سمي من عامة الأبطال

وأما لعدم كم حر في قلبه الكريم أن يصرر برضا على من الحق كلف رجعت
إلى أمامه لاولى بعد الإسلام، وهي أمام لا تسي في سربح استوره و لا تشار
فم شعبه ثم بعد إعلان الدين إلا أن يبرج بصره بأس كم كان يصرر
أناسه في سبيل ذلك الدين

ثار إلى الناس يصربونه ويصربهم فقام خاله يسأل ما هذه الجماعة؟ فيرى
إن من أصحاب قد صيب فقام على أحرق قدي الأبي في جرت^(٢) من
أحتى ما يكشف بأس عنه فكأن لا يرى مسلماً يضرب ولا يضربه أحد،
وثقل عليه ألا يصيبه ما يصيب المسلمين، فذهب في حانه وقد اجتمع الناس في
الحجر وناداه "سمم" - حورل مريدك^(٣) قال حله وهو به وبما يستهدف له
أدري لا تفعل يا من أحتى. فأصر على رد حورله وطالب له بعد ذلك أنه اقنص
من نفسه بالثوب = بين ضربهم وهو يحبس منهم فلا يمضي تلك لصربت تعير
قصاص، ومن كفر عنها بالنوبة وعزر الدين لدى أدام من أحله

(١) الأشعار (جمع سجن) و سجن - بهم وأحرق و بحاجة الباعة

(٢) أحارم أي أبوه في حماه برهابة وحواره

(٣) أي أغشى عن حداثك

وإني من لحظة الأولى إلا أن يوحى بحظر الأكر في سبب دمه، وإلا أن يقض على شور من فرته، كما يقول الغربيون في أمثالهم، وأن يتحدى فريشا بحفه مد من باهم على باطل هسل دسا في اهر مكة اعر لحديث؟ قيل له حمير بن معمر يحمي، فذهب إليه فصرح له بإسلامه.. وبم تكذب الرحمن، بظن به، فما هو إلا أن سمعها حتى خرج وعمر ورعه إلى أسية قرش حول الكعبة يصرح بأعلى صوته على باب المسجد يا معشر قرش! ألا بن عمرو من الحطاب قد صلب وعمر يقول من حلفه كذباً ولكني سمعت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثم تشبب المعركة بين هذا الرحمن المفرد، وبينهم فشب على داهم منه وأحرقهم عليه عنة بن ربيعة فصرعه ويترك عليه يصره ويدخل صعبه في عيه لأنهم عديوان عن الحق لا ينصرون النور، وينكثون عليه فلا يبدو منهم أحد، لا أخذ شريف من دمه، حتى أحجموا عنه وركدت الشمس وعقر من طول لصراع، فحلب وهم قائمون على رأسه شوبه^(١) وهو يقول لهم «افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل لتركتموها ساو تركتها لكم» فعبو مندكم وهذا ما أريد فما سنريح وحدانه الحي أن يصر مسلمة لإسلامه، ولم يضرب كافراً الكفرة، وما يشعر انه وفي لله دته وقد صرب ولم يصر بواذي أناساً ولم يرد حد وما تهدأ حاسه العدل هبه، وقد كبت كنها من حواس دمه، إلا أن بحس لقصاص في نفسه كما حس المضروبين بالأمس عدوانه في انفسهم.

وراح يسأل النبي يا رسول الله! سبنا على الحق إن متنا أو حيينا؟ ففص عليه السلام بلى^(٢) و سى نفسي بيده يكتم على الحق إن متم وإن حسنتم قل فهمم لاحتفاء^(٣) ولذى بعثك بالحق لتحرجن^(٤)

«فما سب لى أن حرج في صفتين أحدهما فيه عتر ولا حرج فيه حمرة ولهما كبد^(٥) كانه كبد الطحين، فسحبوا المسجد وقربش تنظر ونحوها كبد، فلا حرج^(٦) مسط^(٧) منها ولا حكم أن يقترب من صعبو فهمم هذان. وبسماء بنى مومنة^(٨) الفاروق»

قد ر على بن أبي طالب رضي الله عنه «ما علمت أن حدا من مهاجرين

(١) بملونه بشمونه وبعبونه (٢) بكونه انوار باهم (٣) اسسط أسدي والساو

هاجر لا محتجب إلا عمر بن الخطاب، فيه ما هم بهجرة نقد سبقه، وتك
 قريته وانتضى في يده أسهم، واحتصر عرته^(١) ومصى قبل الكعبة والملا من
 قريش بهاها فطاف في البيت سبعاً ممكناً، ثم أتى أبقام فصلى، ثم وقف
 على الحق^(٢) واحدة وحده يقول لهم شأه ابوجه^(٣) لا يرعم الله إلا هذه
 المعطس^(٤) من أراد أن يشكل أمه، أو يوتم ولده، أو يرمن روحته^(٥) فيقتني
 وراء هذا لوالدي..

لقد كن له في محبة هذا بقرش عددن شجاعته وعدله.. فما كبت
 شجاعته في هذا التحدي بأظهر من عدله، ولا كان عدله فيه بأظهر من
 شجاعته إذ شجاع لحق مطوع على لأفة من الضم؛ لأنه شديد الإحساس
 به، ومن كان شديد الإحساس بدل بظلم، فهو شديد لإحساس بكرة العدل
 من صديق واحد وقلماً أعصب يعادل اشجاع شيء، كسبالة لطام وصه
 أن المظلم لا يستطيل عليه، فذلك هو التحدي لدى بشر السجاعة، وبشر، لقيمة
 على الظلم، أو بشر حب العدل في وقت واحد ومن الموت لاهور من لصبر على
 هذا تحدي لبرول، وهذا، نصف القبح، وما الشجاعة إن لم تكن هي، حرة
 على الموت كلما وحب الاحترء عليه؟ وثى مريء ولي باجراًه من شجاع الذي
 يعم أن الحق بين يديه السب على الحق إن حبيث وإن متناً فعلى الحق إن
 فسمت، ولا نعيش على الباطن، فساطل كرية والحب كرية، ودك متقى العدل
 والشجاعة في قلب العادل اشجاع.

ونهج عمر طريقه في الإسلام كم نهج طريقه إلى الإسلام كلاهف طريق
 صراحة وقوة لا يصيق البف واسمصح، ولا يحفر بغير الحد ادى لا عيت فيه،
 فلا وهن ولا رياء، ولا حدلفه ولا دعاء وما شئت بعد ذلك من إسلام صريح
 قويم، فهو إسلام عمر بن الخطاب.

قال في بعض حديثه «لا تنظروا إلى صلب أحد، ولا إلى صلاته ولكن انظروا
 من إذا حدث صدق، وإن شئتم أذى وإن أشقى - أي هم بعصية - ورع»

(١) ليرة، عصا بها ربح كارتدح الصغير واحتصره وضعا في حصره

(٢) بحق جمع حقة، والحقه لقوم يجمعون مستيري

(٣) شأه ابوجه فحج

(٤) المعطس: «جمع عطس» والمعطس الألف

(٥) أي يجعل أمه تكلى، أو يوتم يوتم أو روحته أوجلة يعني «إن أقتله»

وقال في هذا المعنى « لا تعجبكم من الرجل طنبصه، ولكن من أدى
الاصبه إلى من ابتصه، ويسم الناس من يده ويسميه ».

وقال في عمل الدين ولاحرة « يس حيركم من عمل للاحرة وثرب لديب، أو
عمل لدنيا وبرك الآخرة، ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه وريم الحرج
في الرعة فيما تجاوز قدر الحاجة، وراد على حد الكفاية ».

ولم يكن أعض إليه ممن يتوبى، يقال إنه متوكل على الله، أو يتراعى
بالضعف. ليقال به نسب، أو يفرط^(١) في لعبادة ليقال إنه زهد في الدين.

فكر يقول « إن المتوكل الذي يفي حبه في الأرض ويتوكل على الله » و « لا
يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول اللهم رزقني، وقد عميت أن السماء لا
تمطر دهاً ولا فضة وأن الله تعالى يورق الدس بعضهم من بعض ».

وكان يصرب من يتماوب ويستكين لنظهر التحشع في الدين، فطر إلى رجل
مظهر للسك متماوت فخفقه بأسرة وقال « لا تمت عبت نسب صايل الله »
وأشروا له إلى رجل يصوم بدهر، فصربه وهو يقول له « كل يا دهر! كل يا
دهر »، ينهاه عن لصوم الذي يعوقه عن معاشه، ولا يوجهه عليه لدين.

وكان كلم رأى شاباً منكساً رأسه صاح به « رفع رأسك فإن لحشوع لا
يريد على ما في القلب، فمن أظهر للدس حشوعاً هو ما في قلبه فيما أظهر
للناس تفافاً إلى تفاف ».

وإما كان يعجبه « إشباب لدس مطيف الثوب طيب برائحة »، ويرى
لمسعين بحبر ما علموا أنهم يرمي والعموم والهروسية، « فنتم بخير كك
قال ما يروتم^(٢) على ظهور الخيل ».

دس ارحل القوى لشجاع مدى يتتصر بدته في ميدان الحياة، وليس بدين
الو هو المهزوم الذي تركته لدنيا، فأوهم نفسه أنه هو تاركها ليقبل على لآخرة
وكانت شجاعته هي ديه أندر لشجاعات في نفوس الأدمية لأنها لشجاعة
لتي يواجه بها تهمة الدين وهو أرذل من الموت عند ارحل الشجاع فإن كثيراً
من ادس ليعبدوا عن الصواب لدى يظهروهم بمظهر لحواف ليقال بهم

(٢) الدرو الثوب

(١) افراط، افراطاً، اسرف، وتجاوز الحد، بعكس التفريط.

شجعان، وبهم في عدولهم عنه من لحناء المستعدين للثاء، ولم يكن عمر يعدل عن صواب فهمه، ولو قيل في شجاعته ما قيل، وتلك أشجع الشجاعات

فقد طاعون عمواس وعمر في طريقه إلى الشام، فلقية أم عبيدة وأصحابه عند تنوك وأخبروه خبر الصاعون، فاستسار المهاجرين والأنصار، فاحتلفوا بين باصع بالمضى وباصع بالقول. باصع باصع في طريقه يقول إنه خرج لأمر ولا يرى له أن يرجع عنه وباصع بالقول يقول إنه اضطرب بعينه لاس رأصحت رسول الله ولا يرى أن يقدمهم على وباء». ثم دعا مشيخة هريش من مهاجرة لفتح فلم يختلف عليه رحلان، وأشاروا جميعاً بالرجوع. فقال أبو عبيدة «هرا من قدر الله؟ قال عمر نعم نعر من قدر الله إني قدر الله، أرئت لو كان لك إر شطت ودياً له عيوس؟ إحداهما خصنة، ولأخرى جدية أليس ر رعيت لأصبيه رعيتها بقدر الله، وإن رعيت لجدية رعيتها بقدر الله؟ وم رام^(١) مكانه حتى جاءه عبدالرحمن بن عوف فحسم الخلاف برأى لنبي في لخروج من أرض لطف عون والقوم إليها حيث قل عليه اسلام «إدا سمعتم به سارض فلا تهموا عيه، وإدا وقع سارض وأنتم بها فلا تخرجوا منها».

فكان إيمانه بصيرا لأبهم به على عيب، ولا يستسلم فيه استسلام فيه ستسلام العجزه، وهو قدر على الحطة ولأخذ بالأسباب، وكنت بصيحتة لعامة للمسمين في أمر الصاعون، كرأه الخاص في أمر نفسه وصحة، فأمروهم بالاستسقاء ما وجدوا له سميلاً، وكنت إلى أمي عبيدة «يا قد أنزلت اساس أرض غمقة - أي وحيدة - فارتفعهم إلى أرض مرتفعة بركة^(٢)» وهو أحوط ما يحتاط به أمير عالم في هذه الأيام.

كذلك لم يكن يؤمن بشيء يقع أو يضر عمر ما عرفت أسباب بفعه وضرره، فكان يضر إلى احجر الأسود مفعول كلف استلمه^(٣) «يا لا أعلم أنك حصر لاتصر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ بقلب ما قستك».

وسمع أن الناس يأنون شجرة التي بايع رسول الله بها بيعة الرضوان

(١) نعيوة المكان الموثق.

(٢) رام بريح وبرك

(٣) استلم الحجر الأسود باسمه بما ياتقون أو ياتون

(٤) بركة بركة

فيصلون عهدها ويتركون بها، فأوعدهم^(١) وأمر بها أن تقطع صدقة من سرى
بى لإسلام من هذه مساكن وأشباهاها لوثة^(٢) من الوثبة والوكل على الجعد.

وربما التيس الأمر من ذو در عمر فى لتشف، و جنب المتع واساعم، فحسنت
عرائص يوحدها ويجرى عليها على طريقة أولئك لسانك لتخشعين لذين كن
بها هم أن يميتو الدين، ويهر بهم كلم سبطعوا وأوصوا ع لا يحب على المؤمنين
فلا يلتصقن الأمر هذا الملحم، فهو صبح بين التعرفه من سيرته ومن
لأحدث التي صحت تلك التوارد، ففسرتها ودلت على تعرض فيها، فعمر
كان مصنف، وكان خيفة للمسلمين، وقرى بين محاسبه لسم نفسه وهو
مسئول عنها نور عرف، وبين محاسبة لخليفة نفسه حتى يقع الشك فى عمله،
ويتره يده وأيدى أهله عم ليس لهم حق من سلطن الحكم أو المال، ثم يقى
لذكرى صاحبه الذى خلفه على المسلمين، فلا يعيش فى مكانه خير من عشته،
ولا يعنح نفسه وذويه ما لم يصحبه لسى لاله وذويه

وعمر الذى كان يقع باخشى اعليظ من المأكول والملبس، ويأبى أن يدوق فى
لمحعة مطعماً لا يصع جميع المسلمين، إنما هو الخليفة الذى يحاسب نفسه
قل من تحاسبه الرعية، وقد وحد منهم من لاه لأنه صرح كتب به وفيه فضل
ليس هاتقاء هذا الحساب وما وراءه من حسب الله؛ هو الذى توحده خيفة
السى فى معشته ومعشة أهله، مما يشبه بفشف السال.

وعى هذا كله كان عم الناس أن لصيات حلال وأن النهى عن الحلال
تنطع فى الدين بأباه الإسلام

كتب إليه أبو عبيدة أنه لا يريد الإقامة بأطكية لطيب هو بها ووفرة خيراتها
مخافة أن يخلد الحب إلى الراحة، فلا ينفع بهم بعده فى قتار، فأكر عليه
ذلك وأجابه «إن الله عز وجل لم يحرم الصيات على المنقين الذين هم
اصلاحان، فقال تعالى فى كتابه العزيز ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

(٢) اللوثة الحمقة

(١) أوعدهم أى وعد فتكون فى الخير

وكان يحب علياً أن تريح المسلمين من تعبهم، وتدفعهم يوعدون في مصعبهم ويريحون الأبدان لنصبة^(١) في هذا من كفر بالله»

وحدث حنيفة بن سعيد أنه قيل على لس وبيد يديهم الفصاع، فدعا عمر إلى الطعام وعنده خير عبط وريت، فقال حنيفة: أسمعني ر كل الجمر و لحم ودعوتني على هذا، فقال: إني دعوتك على طعمي، هأما ذاك فطعم المسلمين.

فالمسلمين حل ما شاء من الطعام، أما الرجل الذي تنفق من بيت لما رقه ما يكفه والخرج كل لخرج عليه - وهو في عدل عمر وحزمه وخلده - أن يخذ منه ما لا حاجة به إليه، وإيه ليرداد حرجاً على ما فيه من هداة أن يكون من صاحب رسول الله ويتهم كيف كان رسول الله يأكل في بيته وماذا كان يجد من اللبس له ولأهله، ثم يصيب من هذا أو ذاك حيراً مما أصاب الرسول.

وللولادة عنده مثل ما للمسلمين عامة من حق المنعة السابعة، والنعمة التي يرضها الرجولة، لا يأخذهم بحاكااته، لأنهم يتولون الأمر كف تولاه بل ربما لامهم على النقتر كما كان يلومهم على الإسراف.

أنكر على عمله في البصر حبلاً مشهورة ودهوياً معصرة هداد إياه لعام ندى بيته اشعث جعيراً عليه أطلاس^(٢)، فقال لا، ولا كل هذا، إن عمدا لس بشعث^(٣) ولا يدهي^(٤) كلو وشربو ودهنوا بكم سيعلمون لذي كره من أمركم.

ومن تمام لعلم بسلام عمر، أن يعلم فضل إسلامه مع من لم يكن من أهل لإسلام، فإن الحق الذي يتبعه الرجل مع أهل دينه وحدهم الحق محدود بدحر في باب سياسة نفوسيه أكثر من نحوله في باب مهضة الإنسانية وإنما يصبح حقاً حدير باسم الحق حين يتبعه الرجل مع أهل دينه ومع لمارحين عليه

وعمر كان ولا ريب أشد المسلمين في إسلامه

فلو كان لإسلام ضالماً بطبعته من ثم بدخلو، هه لكان عمر أشد المسلمين ظمناً لهم وقسوة عليهم. لكنه كان في أنواع أشد المسلمين رعاية لعهدهم، مد كان أشد المسلمين غيرد على دينه وعملاً بأدبه.

(١) نصبة لى أصابه لصب، وهو النعب

(٢) أطلاس جمع أطلس وهو الثوب الوسخ

(٣) الشعث الثوب الخشن، والمثبد شعر رأسه.

(٤) يدهي طالب انحراف.

فكان شانه مع من حاربوه شديداً، لمحارب الشريف ومن ينظر محارب من محارب إلى آخر لزمان معاملة أقوم ولا أضيق من معاملة عمر لمحاربه

وكان شانه مع من صالحوه وعهدوه أن يعي عهدهم ويخلص في الوفاء به إحلاص من بطانته نفسه به قبل أن يصلحوه، ومن يرافق نفسه فيه قبل أن يراقبوه

كتب للصاري في بيت المقدس أماناً على أنفسهم وأولادهم وبناتهم وأموالهم وجميع كنائسهم لا يهدم ولا تشكك وحال وقت الصلاة وهو حالس في صحن كنيسة لقبة، فخرج وصلى خارج الكنيسة على لدرجة، حتى عي بانها مفردة وقال لنظرك لو صليت داخل الكنيسة لأحدها المسموم من عدي، وقالوا لها صلي عمر، ثم كتب كتاباً يوصي به المسلمين ألا يصلي أحد منهم على سرجة إلا واحد واحد غير محتجب للصلاة فيها ولا مؤذنين عيها. وكذلك كان يفعل في كل موضع صلي فيه من الكنائس التي عهد للصاري على تركها، وتخرم هدمها وسكنهاها.

فعهد لهم فقد كان مثلاً من السماحة والمروعة، لا يطمع فيه طمع من أهل حضارة من حضارات التاريخ كئنه ما كانت.

فكتب لهم العهد الذي قال فيه: « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين من إلباء من أمان أعطاهم أماناً لأنفسهم ومولتهم وكنائسهم، وصلواتهم وسقيمتهم وبريئتها، وسائر ملتها به لا تشكك كنائسهم ولا يهدم، ولا ينتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صلواتهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون عي دينهم، ولا يصبر أحد منهم، ولا يسكن بريلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إلباء أن يعطوا بحرية كما يعطي أهل لندائ وأل يخرجوا منها لروم وأصوب^(١) فمن حرج منهم فإيه امن على نفسه وماله حتى ييلعوا منهم ومن أقام منهم فهو، ومن عليه مثل ما عي أهل إلباء من الحرية ومن أحب من أهل إلباء أن يسير نفسه وماله مع بروم، ويخلي بينهم وصليتهم^(٢) فبهم امنون عي أنفسهم وعلى معهم وصليتهم حتى يسعوا منهم »

وليس لأذي عهد من طاهر أن يطمع في أمان أكرم من هذا الأمان

(١) اللصوب، للصوب مفرها نص

(٢) اسبح جمع بركة، وهي عهد الصاري، والصيب جمع صيب

وأنه قد كان يعصهم عنه وعلى موعه هذه العهود، ثم لا يقنع بها حتى يشفعها بالوصدة لولاها أن يمدحوا مسلمين من ظلم أهل الدمة وأن يوفى لهم يعهدهم، وينصح^(١) عنهم، ولا يكلفوا فوق ما فهم كتب بذلك إلى أنى عميدة كتب إلى غيره من الولاة ووصى به في وصيته قبل أن يموت.

ومما ينبغي أن يلاحظ عليه من مثل هذه الوقائع أن مصر لا تصنف منه بعث رسالته من حيث الأسدي على عسور^(٢) عروق واشتد قهر عليه وعلى مصر في سنة خمس مئوف بعد أن لقا فحيره من سر من الفرس وبأحد سبعة عشر ألفاً، ومضى إلى مصر، فاعطاه لعيسى ألفاً وأمس فرسه، ثم مر عليه راحلاً في سنة قطايه بصيرية أخرى، فأنى وشكاه إلى عمر وقص عليه قصته، فما رد على أن قال له كفيت ثم رجع سغلى إلى ريار وقد وطن نفسه على أنه يعصيه ألفاً أخرى فوجد عمر قد كتب به من مر عمل فحدثت من صدقة فلا تأخذ منه شيئاً إلى مثل ذلك اليوم من قبل^(٣)

وسمع من بني مصر لا يرأون يثارعون وأسلم الوليد بن عتبة ويأرعه، وأنهم أوغروا صدره، فقال فيهم يتوعدهم:

بما عصت الرأس مني بمشود^(٤) عيب مني تغيب سنة وثل

فحشى أن يصبق بهم صدره فيسطو عليهم، فعزله وحر غيره

وبعد حاكم من لحكم لا يرأه من أن يبلغ في الدر محابيه في الدين مسعاً كرم وأرق من إحراء لصدقه على فقر، ثم، ولا سيما الحاكم الذي يدعى إلى سنة جديد

وقد تقدم أن عمر أجرى الصدقة على شيخ يهودي مكهوف اسمر، وكان ما أنصفه أن أكلنا شبيبته ثم تحاله عند الهرم.

وقد حصر ذلك سنة فيمن يبلعه أمرهم من الدميم والمغورين فمر في أرض دمشق يقوم مجذمين^(٥) من بصري، فأمر أن يعطوا من الصدقات، وأن يجرى عليهم القوت.

(١) يصبغ عليهم يدافع عنهم.

(٢) الفشور صوب عن لركاة

(٣) من تأخر إلى بعد عام.

(٤) نسوة العامة.

(٥) مجذمين مصابيح بالجموع وهو مرض قد يذهب بمأخذه إلى نكال الأعضاء وسقوطها

وإذا أحصيت به في سيرته الطويلة أو مر وخطا بحرم الدمييين بعض
 لحيات أو بعض الحقوق فكر على يقين أنه قد صدر في ذلك جمعة عن
 حكمة نوجبها سياسة أدولة، ويعرفها العرف، كما يعرفها الدين و لكتاب
 ولم يصدر فيه قط عن حيف مقصود، أو عن رغبة في حرمان الدمييين حرية
 يستحقونها، أو حقاً هم أحرار فيه

ولعن سبي بحصى له من هذه الأوامر والخطوط، لا بعدوا ليهي عن استخدام
 بعض لدمييين، ومنعهم أن يشتهروا في الأرباء واسطاهر بالمسميين، وإجلاء بعضهم
 عن الجزيرة العربية في يان بفوح، ولحد من لكند وسخس و لاسفص

قاما نهيه عن استخدام بعض الالزميين فدرج إلى ما قاله في ذلك يعلم أنه
 منع استخدامهم لمصلحة العدل، وكراهة، الظلم والمحاباة، فقال «إني نهيتكم عن
 استعمال أهل الكتاب فإنهم يستحلون أرباباً»^(١)

وطلب يوماً عن أبي موسى رجلاً بنظر في حساب الحكومة، فأتاه بنصراني،
 فقال إني سألت رجلاً أشركه في أمانتي فأنتت بهن يخالف دينه ديني. وقلمنا
 بهي عن ستعمل اليهود و لصاري إلا ذكر بعض إهم أهل رشا، ولا نحل
 في دين الله الرشا.

وكان له عند من أهل الكتاب بقل له أسبق، فعرض عليه أن سلم حتى
 يستعين به على بعض أمور مسلمين فأتى، فاعتقه وأطلقه وقال له اذهب حيث
 شئت، هم يكن بهي عن استخدام أهل كتاب في مهام لدولة إلا بشر للعدل
 وكراهة للرشوة والزيغ في الحكومة، وما نظر أحد بنكر أن سجد لفرعاء عن
 الدولة خسق أن يحاص مثل هـ، احذر، وأن محنت هـ مثل هذه الآفة، إذ يكثر
 من المرتزقة الذين يخدمون دولة من الدول وهم عرباء عنها، كرهون لمجدهم
 سلطانيها، أن يصبوا إلى منفعتها قبل أن يصبوا إلى منفعتها، وأن يساوموا
 على نفوذهم قبل أن يستحصلوا، لغيره على سمعها. ولرعه في حيزها وحيز
 أهدها، ولا سيما هي ومن كانت اسولة نمير بالقدس قس أن نمير بالأوطان.

وم من أمة في عهدنا هذا يسبح الوطنف لعامة، لا بقود وعروق منفعة
 عليها، ولها بحريمها على لأجاب ما لم يكن في استخدامهم منفعة عامة.

(١) لوصف جمع رشوة

وهذه هي سياسة عمر في مسائله لوظائف القومية، يعبر إعانت للدولة ولا إعانت لقرعية، وكفى نائفة لإعانت أن العبد المملوك يحير في الوظيفة والإسلام فيبقى، فلا بصييه من ذلك ضميم، ويطلق له زمانه بفعل ما يشاء.

أما نهيه عن تشبه الزميين بمسلمين، وكرافته أن يدلوا أزياءهم التي ولوا، عليها، فلا سلام عليه حتى يعلم بمكان الناس من اسميين يولون التشبه بالمسلمين هي الري والشبهة؟ أكانو يتشبهون بهم حباً لربهم، فهم إذن مسمون لا يمنعهم منع أن يحجروا بالإسلام أم يتشبهون بهم كيداً لهم ورعبه في التسلل بينهم والإفلات من عهودهم والقراماتهم وما توجبها الدولة عليهم في تلك العهود والالتزامات؟

إن كانوا يفعلونه بهذا فلا لوم على عمر أن يشده، وبخاصة على الرمن الذي كان مسلمون فيه جميعاً في حكم الجنود، وما من دولة ترضى أن تنيع أزياء جنودها لمن يشاء.

وأم إخراج بعض الزميين من الحريرة، هم خرج منهم أحد إلا وقد عذر بذمته وكرر الغدر مرة بعد مرة كما صم أهل حبير ومبهم من أحى عن الحريرة، لأنه طلب إجلاء قضلا عن بقضه العهد، كما فعل أهل حران،

فقد صالحهم لبي على أن يسفوا في مسكنهم ولا يتكلموا الربا، ولا يتعاملوا به، وجاء أبو بكر فحدد الصلح على ذلك ثم استخف عمر، فرجعهم إلى الربا وأقرصوا فيه وكانوا قد سعوا ربعين نفاً فتحسدوا بينهم، وأتوا عمر يسألونه إجلالهم، فاستحب هذا الحلاء،

على أنه لم يكن يأتي على التجار المأموسين أن يسحلوا الحريرة، ويؤبوا بعشورهم، كما كتب إليه المشركون من أهل مسج أن «سعد تدخل رصب تجاراً وعشوراً»^(١) - شاور أصحاب النبي فأنشروا عليه بقبولهم، فدعاهم إليه

ولا يفوت في هذا الصدد أمران مقرران بحطة الإجلال إلى لحن إلبها عمر، وبقن بصواسها وضرورتها، فأول الأمرين أن الحريرة حرم لإسلام الذي كان

(١) عشور أي نساء بولي العشور

يحيط به أعداؤه، ويرتصبون به الدوائر، ويسرون نفسه على طرقه، كما صنع العرس بالعرق والروم بأشام، ولا آمن على حرم يسكنه أسس فيهم من يغير بهله، بل قنهم من هؤلاء كثيرون.

وثاني الأمرين أن عمر قد سوى بين الإسلام والنصر بنية في هذه الحطة، فحفظ حرم النصرانية سبباً للقدس للمسيحيين، لا يسكنه معهم من لا يفسونه، كما حفظ حرم الإسلام بالحريه عربية للمسلمين، لا يسكنه معهم من يحدرون عذره

وقد أحصى بعض حين الحائنه ضرورة الدولة في تحريم هذه الحطة، فاشتوى نبوت أهل بجران وعصر بهم وأقطعهم سحرية عند الكوفة، وكتب لهم وصاية هل فيها « هذا ما كتب به عمر أمير المؤمنين لأهل بجران من سائر منبهم من يضمن أنه لا يصره أحد من المسلمين، ومن مروا به من أمراء الشام وأمراء العرق فليوسعهم من حرث لأرض، فما عصبوا (أ) من ذلك فهو لهم صدقة لوجه به ومن حضرهم من رحى مسلم فليصرفهم على من ظلمهم، فابهم قوام لهم الدمة وحزيمهم عنهم منروكه أربعة وعشرين شهراً بعد أن يغدوا ولا يكفوا - إلا من صنعهم لبر، عز مصومين ولا معتدى عنهم»

ولم يفارق عمر الدين حتى أوصى الحيفة بنى بجران بهذه بالذمير كفه « أن يوفى بعهدهم، ولا يكفوا فوق طاعتهم وأن يفسر من ورثهم (٢)» ودون هذا بالمراحل الشاسعة يقف عدل الدول القدامى والمحدثات في كل ما تحدث من حيطه حربية أو حماية قومية، ومعاهدة بينها وبين أمة أجنبية، وإن عذرها لدون عذر عمر في حصته وإن أسسها بدون أسسها في الإقناع.

كان مسلماً شديداً في إسلامه، فلم تكن شسته في إسلامه خطراً على الناس، من كانت صمماً لهم ألا يحده مسم ولا دمي ولا مشترك في غير حدود لكتيب والسنة

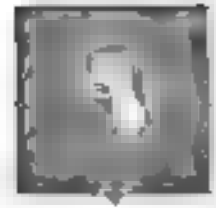
وكان جديراً فأنسم، فأصبح إسلامه طورا من أطوار لتاريخ ولو لم يكن

(٢) بقاتل من يوانهم يجمعهم

(١) اعتمد على، عمل لنفسه، وصرف في العمل.

الإسلام قدرة باسمه ممتلئة هي لتاريخ الإنسانية، ما كان إسلام رجل طويلاً من
أطواره الكبار.

وكان هذا الرجل بعد وبكره كما يحب الناس ويكرهون ولكن لا يفعل عنده أن
يحبك ولا يصبرك عنده أن يكرهك به، يحب الحي ويصنع لقضاء قال يوم لأبي
مريم اسلومي قتل أخيه و لا أحب حتى يحب لأرض اسم اسفوح فقال له أبو
مريم تصعبي بيت حفاة قال لا قال لا صبر إنك تسي على الحب النساء
وحسنك من إسلام حصي الرجل من حليقه ببعضه وهو قادر عليه، هديك الجسم
لثديك هي بيته و لدى يثبت فيأمنه، الغنى والصديق



عمر والدولة الإسلامية

تأسست دولة الإسلاميه في خلافة أمي بكر رضي الله عنه لأنه وجد بعقيدته، وسير سعوث فشرع السنة لصالحه في بوطيد العقيدة من العرب بما صنع في حرب الرده وشرع السنة لصالحه في تأمين دولة من أعدائها بتسيير السعوث، وفتح الفجج، فكان به سبق على خفاء الإسلام في هذين لعشرين الحليتين

إلا أن سمي عمر مؤسساً للدولة الإسلامية بمعنى آخر، غير معنى سبق في أعمال الخلافة لأن «ولا» لا تحد مكان في اساريج أليف به من مكان المؤسسين للتول اعطام

ولأن من جهة أخرى لا تربط بين التأسيس وولاية الخلافة في إقامة دولة كالدولة الإسلامية إذ لنأخذ الأول فيها للعقيدة التي مفهوم عليها وليس للموسع في لغزوت الفجج، وعمر كن على حدود الأبحاء مؤسساً لدولة الإسلام قبل ولات الخلافة بتسبب، بل كان مؤسس بها من سبب، فظهر بدعوة لإسلام وادانه، وأعزها هيبته وعنفوانه.

وكان مؤسساً بها يوم سيطر يده بي تي بكر قبائعه بالخلافة وحسم الفتنة التي أوشكت أن تعصف بركبها، وكان مؤسساً لها يوم نشر على بي بكر بجمع القرآن الكريم وهو في الدولة الإسلامية بسبب الدساتير، وبمعة لدعائمه، ولم يزل يراجع أنا بكر في ذلك حتى استدعى ريد من ثلث كتب الوحى. فأمره أن يتتبع أى بقران ليجمعها من لرفع والأكف والعسب (١) وصور لرحاب، فكان ذلك أول الشروع في جمع الكتب

هذا إلى أن ثابا بكر رضي الله عنه أسس، ولم يسع به الأجر حتى يفرغ من عمله، وجاء عمر بعده فأنتم عمه وأقام الأساس، ثم أقام عليه البناء، وكانت

(١) لاكتف جمع ككف، والتسبب جمع عسب، وهو حديد الحن. كانوا ينزعون حوصه، ويكسبون في طرفة العريض. وكان العرب يكتسبون كذلك على صعيد واحد، وعلى الأصلاخ والأكف. يخ

فدوره على التأسيس هي ثمة الادب عنه وفي ذلك لعصر من البدو لهادية،
لانه البعث إلى مواضع الحقيقة بالاهتمام والتقديم كأنه رجع بريح عشرين
دولة مستعصية الميث، ربيعة اعمران وهي قدرة بروعاً وشهد لها
من ملك تربي على امك وسلفه^(١) على عرشه سمط^(٢) من الملوك. وأوى أن
بروع وشهدت من رجل لهادية سبي يقدم على امر حديد لم يغه فيه
لسوايق، ولم يهد فيه إلا بف احذر هو أن يهدى به

فبعد جمع القران لا نعرف عملاً يقتزن به ويلزمه، وبعد من اسس الدولة
عربية كاعمر على بصحيح اللغة وحفظ من لحن والفساد. وكلاهما عمل لا
يفض إليه إلا من طبع على سيقه، تأسيس وأخذ بها من أصولها، وكلاهما
فطن إليه هذا المؤسس بكثير، على امور ما يكون من بساطة ولسهولة.
فأشار بوضع عم النعم، كما أشار بجمع أي الفرز، وكان أثره في تدعيم
لدوره الأدبية كثره في تدعيم دولة العروات وبنو ح.

وندر في لدولة الإسلامية بطام لم تكن به، ولدة فيه. فافسح ترويح،
واستهر حصرة، وأبشأ حكومه ورتب بها لواوين وبطم فيها اصول القضا
والإدارة، واتخذ لها ست مال، ووصل بين آخرتها بالبريد، وحسب ثعورها
بامراضين، وصنع كل شيء في لوقت سبي يسعى أن يصنع فيه، وعلى بوجه
الذي بحسن به الابداء، فأجر ما يقال فيه أنه وصع دستور، لكل شيء، وبركه
قائماً على أسس ابن شاء أن يبنى عنه.

وملك^(٣) النعم الحكومية كلها بطام لشورى الذي أقامه عمر على أحسن ما
يفهم عليه في زمانه فجمع عنده بحمة اصبحة للمشاوره والاستفتاء، وضم
بهم على اعمالة في أطراف الدولة، تربى لأقد رهم، وانتفع برأيهم، واعتز رأياً
بناهم له، ومعاونتهم إياه فيما يتولاه من ثواب وعقاب

وجعل موسم الحج موسم عاماً لمرحلة واجتماعية واستطلاع الآراء في
أقصر الدولة من أقصاه، في أقصاه، بعد فيه الولا والعمل بمرص حسبهم
وخيار ولايتهم، وبعد فيه أصحاب المطام والسكائب لمسط ما يشكهم، وبعد

(١) سلفه ترمه.

(٢) سمط ضبط شظم منه حصص انقضاء وبراءة عهد

(٣) ملك الأمر قومه وأسسائه يقال: انقلب ملك الجسد

فيه «الرفقاء الذين كان يثقهم هي بحاء لبلاد لم رقة الولاية والعمل فهي
«جميعه عموميه» كأوى ما تكون الصعوبات العمومية هي عصر من لعصور

وكان عمر يستشير جميع هؤلاء ويشير عليهم، ويستمع لهم ويسمعهم،
ويتوحي في جميع ذلك تعحبص برأي، وإبراء الدمة، وانحوص إلى السعة
السليمة من، بفاسل.

وإن أصعب أساس رأياً لم سندصعف فصل لأمر في عمل تولاه لأنه عمه
بمشاورة غيره.

فإن باب المشاورة مفتوح لكل إنسان، وليس كل إنسان مع ذلك الذي يريد
أن يستشير، والذي يعرف كيف يستشير، وإذا، والذي يحسن لمواره
من لأمر، يعرف من يستشيرهم، ومن يقل مشورتهم في حالة ويرفضها
في حالة أخرى.

إن المشاورة لمن عسير.

وإن الذي يسمع بمشورة غيره لأمر ممن يشير عليه.

وقد كان عمر عبقري هذا نفر الذي لا يحارى وكان من سعة الملهمة في هذا
نفر العسير أنه لم يلتمس الرى عند من الحكمة والخبرة وكفى، بل كان يتمسه
كذلك عند من الحدة والنشاط ممن ساقصون أولئك في لشعور و لتفكير فكان
كم روى يوسف بن اسجشون «إذ أعياه لأمر المعصل دعب لأحداث
فستشروهم لحدة عقولهم» وأنه «للهام من فن الاستشارة، لا يههه لا صاحب
راى صيل، فمن رى الأصل ان بحبر^(١) إنساناً كيف يستشير، إن استشيرين
انظر إنه كيف يستشير في احذر أمير نعم أن الاستشارة كف قلنا من
وأنه فن عسير.

قال لأصحابه. دلونى على رجل أستعصه.

فسأله. ما شريك فيه؟

قال. «د كان في انقوم وفس أمرهم كان كئنه أميرهم. وإن كان أميرهم
كان كئنه رجع منهم».

(١) حبر الامر بحبره من باب نفس علمه.

بن الذي سال هكذا لهو قدر من الذي يحببه بالصوب لانه قطع له ثلثي الطريق السديد إلى الجواب.

وكان ربما استنصر العدو الذي لا يأمنه، كما فعل في سماع رأى نهرمراس في مر حروب لهرسية^(١) لأنه يصير بصب نوراً، فان رأى النور استوى بديه أن يحمل له انصباح عنق أو صديق.

ومن ليسير إذ تعقبنا^(٢) مشورات عمر، أن يعلم به هو وضع دستور استوري في لدولة الاسلامية و... الشوري التي وضع دستورها هي شوري الرأي الأصيل، يستعين بكل أصيل من الآراء.

وقد وضع لقواده دستور حرب، أو دستور ارحف من الجيريه العربية بنى بحوم^(٣) أعدتها، كاحس ما يصعه رئيس دولة لقواده واحفاده

فدس المدر إلى عراق وعنه بو عبد بن مسعود الشفي، وعنه كيف يستنصر مجلس الحرب لدى معه وكيف يقدم في موضع الإقدام، ويربث في موضع يربث وحمل له ذلك في قوله «سمع من أصحاب رسول الله ﷺ وأشركهم في الأمر ولا يجتهد مسرعاً من أشد ما بها حرب لا يصلحها إلا رجل المكث^(٤) الذي يعرف الفرصة ولا يعمى ن ومروسيطاً «ابن قيس» إلا سرعته إلى الحرب والسرعة إلى حرب إلا عن بيان صياح». ورواه بصرة بالحيلة ففعل له «إث تقدم على رخص بكر وخدمه واحباءه والحرية^(٥) تقدم على قوم نحراو على شرف علموه وتباسوا بحير فجهوه فابطر كيف تكون، وأحررا^(٦) لسانك ولا تفتير سرل، فإن صاحب اسير - ما بصيطه - محصن لا يوتى من وجه يكره، وما لم بصيطه كن مضيقه».

فهي حشورة، تم أذا في لاحتها، إلا ن حث سرعة بديان وثقة فيمكن لاسراع وهذه وصيه عمر بن الخطاب الذي نظر به الاندفاع وينسى من يض به هذا النص أنه قوى الاندفاع وقوى انصاف في وقت واحد، وعنده يقنن الاندفاع بضابط فهو هرية وليس معيب.

(١) نهرمراس، (٢) بنو، حروب، وضع حجم، (٣) المكث الذي لا يعمى في الأمر

(٤) حيرة وضع الصم وسكون لاجاء مع تشديد البدء الكبر مثل الحبروت

(٥) حيرة الحبروت الحبروت، فامراد محصن سنانك و مصطه ولا تفرق

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص بعد خيبره حرب فارس، وفي كده له هيس
 من هذا المعنى «إذا انتهت إلى اقدسية، وهو منزل رعي حصيب، يوبه^(١)
 ضاطر وبهر مصبغة، فيكون مسالحك^(٢) على أنفائها^(٣) ويكون أساس بين
 الحجر والمر^(٤)، على حافات لخير، وحافات اندر، والخراج^(٥) بيها، ثم برم
 مكان فلا سرحه فإيك^(٦) في حصول اعصمهم ورمول يجمعهم الذي يأتي على
 خبيهم ورحلهم، وخدمهم وخدمهم^(٧)، فإن يتم صبرهم لعدوكم، وحنسهم بقتاله
 وقويت الأمانه رجوت^(٨) في يصبروا عليهم، ثم لا يجمع بكم منكم أدا، إلا أن
 يجمعوا وليست معهم قوتهم، وإن يكن الاخرى^(٩) كان لخير في أدياركم
 في يصرفهم من ادي مدرة من أرضهم إلى ادي ححر من أرضكم، ثم كتتم
 عليهم حر وبها اعلم وكسو عنها حين وبها جهل، حتى يأتي الله بالفتح»

ثم كتب إليه بسنوصفه المنار التي برل بها وسأله «من بعث جمعهم» ومن
 رأسهم الذي يلي مصادمتكم، فإنه قد سعى من بعض ما أريدت، لكتاب به قلة
 عمي ثم هجمتم عليه والذي استقر عنه أمر عدوكم فصف ما صار
 لمسلمين واليس الذي بينكم وبين اديان صفه كاني أنحر بيها وجعلني من
 مركم عى الجية»

وكند إلى أبي عبيد وقد ترك حصار حد بسنوصف رأيه في ترك
 حصارها «سرى ما علمت من لفتح، وعلم من قتل من شهداء وما ما
 ذكرت من انصر فل عن قلعة حلد إلى الواحى لى قريت من تطاكية هذا
 بشن، رأى مترك رجلا ملكت دبره ومديسته، ثم ترحل عنه وتسمع أهل
 الواحى والنبلد بأنك ما قدرب عنه، مما هذا رأى يعلو ذكره بما صنع
 ويطمع من لم يطمع، فترجع إليك بخيوش وتكسب ملوكها فإيك أن سرح حتى
 يحكم لك وهو خير حاكمين. وقد أنفدت إليك كتابي هذا ومعه أهل

(١) يوبه سنابسه (٢) مسابحت جمع مسبحه على وزن مصبغة حد مرافقه على الجدر

(٣) أنفائها جمع نقيب، وهو هذا الطريق إلى المص

(٤) مر جمع مروه وهو القربة أو سمر، عكسها لوه من اديانه ويرد بالحر من رهن يعرف
 الأرض لحبل الوعره

(٥) الخراج جمع أخرج، وهو الأرض ذات الحروية، تشكل الزمن ولا يمتد

(٦) فإيك وجمع فإيك له جد وحده أي له يأس وقوه (٧) لآخرى يقصد سكينة أو الانبؤام

مشارفها^(١) يمين ممن وهب نفسه له ورسوبه، ورعب في الجهد في سبيل الله وهم عرب ومول^(٢)، رجل وهرس واعدد ماتت متوالد إن شاء الله تعالى»

فكان دستورهم في الحرب أن يصنع لأسس العدة، ويعهد في تنفيذها إلى ذوي خبرة وأمانة ولا ينحس عن تبعته العظمى في مصائر الحرب كل التخلي اعتماداً على لقائد وحده، إذ ليس لقائد دستور الوحيد عن المصير

فإد رأى القائد رأياً وخالفه هو في رأيه أعاده بالحدود المشورة على لأحد بالرأى الذي أعاده إليه، وأنصت معتد به بتوضيح الأمر وإعاده عليه

ولقد كان إلى جدير هذا السهر على أسس عمله لا يعرف القائد فيجب بحسن أن تنطلق عنه قائد تحاور الأمر سياسة بحرب العامة من فتح المدين وهناك الحصار وتنصر لهجوم، فمن حق القائد عندما يختار لنفسه ولا ينصر الرجوع إليه، وأن يحرق في إشارة المعركة على الوجه الذي تطلبه ضرورة ساعة ولهد، يستبدره أو عبدة هي دخول الدروب خلف العدو، فكتب إليه «أنت الشاهد وثأ لعدو، والشاهد يرى ما لا يرى العدو وأنت بحضرة عدوت، وعيونك يتوكل بالاحصار حين رايت بدخول إلى الدروب صواب فبعث إليهم السراب ودخل معهم بلادهم وضيق عليهم مسالكهم، وإن طلبوا إلتصاح يصلح مصالحهم...»

فهو يصنع القواعد بعبدة للحملة كلها منذ بدايتها

وهو يحذر القائد الضليع بتسيير قلعة الحملة.

وهو بعد هذا لا يعفى نفسه من السعة ولا يعفى القائد من واجب الرجوع به في المواقف الحاسمة، ولا يعرف يده هيم هو أدري به وقدر على لأختيار فيه ولا يفسى أن يعينه إذا خالفه في الرأى يتفق لرأى المختلفين هاداً رجع القائد إلى الحصار الذي أرمع أن يتركه رجع إليه وهو مؤمن بصواب ما يعمل لتسليم من الإيمان بالصواب بقوة من شعر بها وهو يؤدي عملاً بخلاف الصواب في تقديره

وهذه السياسة هي السياسة التي جرى عليها عمرو في جميع بعثاته وعرو به

(١) مشارف الأرض أعاليها

(٢) توالى يطلق على الحقاء والبصر والحق

وسرده، وهي أسباسة التي لا يستطيع حاكم البحرى على عيرف في حرب هدية أو حديثه وقد جرى عييه فحقيقته كاسب النصر، كما نكسه انهد في الميدان، وجعل بطر لفرس رسنم المشهور في النور ربح ولاستصير بقول في عمر هو هارمه في ميدان، وأنه هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعصمهم العول أكل عمر كندى، أحرق، انه كنده .

وربما أخطأ القائد الذي يحماره قمسبه التبعة من هذا الجانب، لأنه هو المسئول عن احبيرة غير آبه لا نفسه من حاسب إلا أعفى منها من حاسب آخر، أو حواب عدة، كما حدث في وقعة الحسر التي قتل فيها قاده أبو عبيد المتقسم ذكره، ثم اهرم فيها حبش مسلمين فهو مسئول عن احبيار هذا القائد، كما يسأل كل رئيس سولة في مثل ذلك، ولكن أعدره على التحقيق أكثر من أخطائه في كل مسألة من هذا القبيل وفي هذه المسألة بعينها كن احبياره لاني عند انصاف له حجة الراححة فيه لأنه كن أول من احب الدعوة إلى القتل، هم ير من لانصاف أن يؤخر، بلنقدم، ويقدم عليه المنحلفين، وقد سوع الرجس احبيرة إبه بانتصرائه لأوى التي رفعت نفسه بين القواء فما أخطأ حاء بخطأ من مخالفة عمر في وصاياه، ومنها وحبوب التريث و لحد من عبور الأنهار و لجسور، ولم يكن على عمر لوم في تنحيه عن التسيه والتحذير .

وقيل ان يصع دستوراً سولة وجصع دستوراً لنفسه فومه أن الحكم محبة^(١) لبحاكم ومحبة للمحكومين، وأنه لا يصح الا بشدة لا حبرة^(٢) فيها، وليس لا وهن^(٣) فيه . وأن الحيفة مسئول عن ولاته و حد و حد هي كل كبرة وصغيرة، ولا بعفه من النوم أنه أحسن الاختار .

قال يوماً لمن حوبه أن يتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل، كند قصية ما على فالوا نعم قال لا، حتى انصرف في عمله فعم بما أمرته أم لا .

وعنده على نفسه هي خير بعهود التي بوحد على ولالة الأمر، وأبنيها

(١) محبة جنس، محبة من باب قطع - وامتحه بحبرة، والاسم لخصه، وبدا سمعت انصاف بالحن لأنها خسار للإنسان، (٢) جيرة هروب وطفه، (٣) وهي ضعف

للحدود لقائمة بين بر عى ولوعبه وحرر ما فيها أنه كبر يحدث الناس عى
،لاستغناء عن لتحاكم إلى لحكم، خلافا لأصحاب الأمر لدس يودون لو
فرصوا لانفسهم حكما فى كبر شىء، فكبر يقول لهم «اعطوا بحق من
انفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضاً على ان يحاكمو بى».

وجمع صلاح لأمر^(١) فى ثلاث «أدء الأمانة و لأحد نافوة، ولحكم بما
أمر الله»، وصلاح لادل فى ثلاث «ان يؤخذ من حق، ويعطى من حق ويسمع
من باطل».

وعهد لدس فقرر «لكم على ألا تحبى شئ من حر حكم، ولا ما أفاء الله
عليكم، لا من وجهه، ولكم على دأ وقع فى منى ألا يخرج منى لا فى حقه
ولكم على أن أريد عطاياكم وارر فكم إن شاء الله واسد نعورك^(٢)» ولكم على
ألا ألفكم فى لهاك، ولا تحمركم أى احبسكم فى نعورك وإذا عسقم فى
لبعوث فأن أبو العدل حبى ترجعو إلهم فتقدا الله عاب الله، وأعنبوى على
انفسكم بكفها عى وأعنبوى عى نفسى بالأمر بالمعروف و لنهى عن المنكر
وإحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم»

ومن أو ثل عهوده فى بيان الحق الذى يرشح الحاكم لولاية الحكم «أبها
ساس إبنى قد دلس عليكم، وبولا رحاء أن اكوى حيركم لكم وأقواكم عليكم
وأنشدكم استضلا بما تنوب من مهم موركم ما وليب ذنب منكم»

فأحق الدس بالحكم أقدرهم عى اسر والحرم و لنهوض بالأعداء وليس به
فى غير ذلك حق يرشحه للحكمة.

ومن أوائل حصه بعد توليه الخلافة «إن الله ينلاك بى، وابتلاى بكم
وأنقضى بكم بعد صاحبى، فلا والله لا يحضرى شىء من أمركم قبله أحد
دوبى ولا يسعيب عى فدوا^(٣) هبه عن اهل الصدق والأمانة وبن احسبو
لأحسن إليهم، ولنن أساعوا لأنكلن بهم»

(١) بى امر النبوة

(٢) بنور جمع ثمر «هر من اللاد بوضع لادى يضاف منه فحوم العدو، يعصد بسد لتعور انفع

(٣) لا يألو بى عسر نفسو من باب عدا فدوا أى عصب، وحنة لا ألبا بصح بى لا قص عى

بصحك، ولا الحرجة فيه

فهو يعاهدهم أن يبي لأمر نفسه في كل ما حصره، وألا يعهد فيه إلى غيره إلا إذا عاب عنه ثم لا يكون وكلاؤه فيه إلا من أهل الصدق والامانة ثم هو لا يدعهم وشأنهم بعد ذلك، بل يرهبهم ويتنعم أعمالهم فيحسن إلى من حسن، ويبتذل ممن أساء.

وقد كان يقول، ويعنى ما يقول، ويعمل بما يقول.

وصارح لقوم قيم لا يحصى من الخطب والحادثات ر له عليهم حق الطاعة فيما أمر الله، فلا طاعة لمخوف من معصية لحاق، وأن لهم عليه حق الصلحة ولو ابوه فيها ومن ذلك الرواية المشهورة، التي سأل الناس فيها ر يدوه على عوجه، فقال له أحدهم «والله لو علمنا هذا عوجه لقمناه سنوفد» فحمد الله أن جعل في المسلمين من يقوم أعوجاج عمر بسيفه.

ولم يكن يسع من مال المسلمين جراً لعمله إلا ما يقيم زوجه^(١) وأود أهله عند الحاجة إليه، فمن رزقه الله ما يعيه عن رب المال، كف يده عنه^(٢) لا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم، إن استعنت استعفت وإن افتقرت أكلت بالمعروف تفرم^(٣) بهيمة الأعرب به القسم لا الحضم أي كف تاكل ماشية البادية فصاف بصره أسانها لا مصعب وطحناً بأصغر سها

وما سسر عما حل بلحيفه من مال الله قال «به لا بحر لعمر من مال الله لا حلان حنة لنشدء وحنة بلصيف وما حج به وأعصر^(٤) وفونى وقوب أهلى كرح من قرش ليس بأعفهم ولا بأفقرهم ثم بعد ذلك من المسلمين»

وقد كان سجي من ذلك في تقديره لأراي بولاه والعمل، تقدير لعصر بين يأسر حين ولاه الكوفة ستمائة درهم في الشهر له وللساعديه برده عنده عطوؤه الذي يورع عنه كما يورع لأعطية على مثاله، ويصف شاة ويصف جريد^(٥) من الدقيق

وهو لعبد الله بن مسعود مائة درهم وربع شاة سعيه بأس هي بكوفة وهبته على سب المال قبها، وبعثان من حيف مائة وخمسين درهماً وربع شاة في اليوم، مع عطائه لسبوي وهو خمسة آلاف درهم وهكذا على حسب الولايات وانفقات

(١) أود أود من باب طوب عوج، ما أود العوج والرد ما يكفي حاجاته الضرورية

(٢) عزم من كل أكلا صعب، ويرد كل شيء أكل من حسن منعم

(٣) بصر معروف ولعمره الحج لأصغر وهو موجود من الأعمال في إرماده

(٤) بجريد مكال كان يستخدم، يمكن أن يقدر ما يقابل ٣٩٠ رطلاً

وكن يحظر على الولاة مظاهر الحيلاء ولا يلهى أنى بعد ما بينهم وبين الرعية، ولكنه بصر فى اعد رهم هيقلها أو يعصى عنها، ما يوقف صلاح لولاية على ذلك قدم إلى لشام ركب على حمار، فتلقيه عذمه معاوية بن أبى سفيان هى موكب عظيم، فم راه معاوية برل وسلم عليه بالخلقة، فمضى هى سببه ولم يرد عليه سلامه، فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعت الرجل بأمير المؤمنين، هو كلمته فالتفت إذ ذاك إلى معاوية وسأله إيا لصاحب الموكب الذى ارى؟

قال: نعم.

قال: مع شدة احتجاب ووقوف دوى الحاجات بك؟

قال: نعم.

قال: ولم يبك؟

قال: لانا بلاد كثر فيها جواسيس العدو فإن لم نخذ لعدوه ولعدد ستحف بنا وهم علينا، واما الحجاب فبنت نخاف من الدلة حرية لرعية، وانا بعد عامك، فإن استقصى نقصت، وإن سترتتى زنت، وإن استوفعتنى وفقت. فقال عمر ما سألوك عن شىء إلا حرحت منه إلى كنت صادق فبته رأى لبيب، وإن كنت كاتب فنتها حدة أرب^(١)، لا مرك ولا نهال.

أما دستور لولاة عنده فأساسه أن الولاية مهيير بالواحد والكفاءه، وليس مهيير بالوحدة والاسملاء، فكان يقول للوالى « فبح لهم بيت وياشرو أمورهم بفصل فابست رجل منهم غير أن الله جعلك أتقهم حملاً»

وشعله كل الشغل أن تخصص الرعية لواليه، رعية فى حكمه، وطمنانا إلى عدله فكان يقول للوالى « عتر مرلتك عند الله مبرلتك من الناس» ويقول للرعية «إنى لم أبعث إليكم الولاة بصريوا أيشارككم^(٢) ويأخذوا أموالكم، ولكن ليعمواكم ويخدمواكم».

وبستوى عنده رغبة الرعية من المسلمين، ورعية الرعية من غيرهم فما رأى أهواف ذميين ينقصون لعهد، ويثورون على لدوة، صب من صلحاء البصره

(١) الدلة: الله، وقرن الكلفة.

(٢) أريب: يشارك.

(٣) أشارككم: يخدمكم.

وقد فهم الأحنف بن قيس وهو مصدق عنده فساده «إن عيسى مصدق وقد
ر بك رجلاً محرمى المصمة»^(١) بقراهم الدمة أم لعير بك»

فقال الأحنف «لا بن لعير مطمعه، ولناس على ما عيب».

فهد بده وقال: «سمع دن»^(٢). تصرفوا إلى رحاسكم»

وربما ذهب في إرضاء الرعية مذهب لم يحلم به العلاء من إطلاق حقوق
الشعوب في هذه العصور

فكان من قواده وزلائه سعد بن أبي وقاص، قائد المظفر في حروب قيس،
وقريب رسول الله ﷺ، والرحم الذي جعله عمر واحد من ستة يستشارون
بعده في أمر الخلافة، فنادت به طائفة من أتباعه، وشكته إلى عمر وحبوش
لهمس بجميع لغزو والتأثر فلم يشغبه ذلك عن تحري الأمر من مصادره،
وإيقاد من بحث عن حقيقة الشكوى بين أهلها فنهت بوكيله على العمل بمحمد
ابن مسينة سائل عن سعد وسيرته في الرعية وكلامه، سال عنه جماعة أشد
عليه، إلا من شكوه، فقد أحجم فريق منهم بم يصحوه ولم يدموه، وقال فريق
منهم «إياه لا يقسم بالسوية، ولا بعدل في لقصة، ولا يعزى في السرية»

فعاد محمد بن مسينة إلى المدينة وسعد معه وأعاد عمر سوله فلم تثب له
من مره ريسه، إلا أنه تقى العبة والخطوب بسيرة، فعزله وقال لثاكنه «ن
الدليل على ما عندكم من الشر بهوضكم لهذا الأمر، وقد ستعد لنم من
استعد وايم لله لا يمنعى ذلك من ينظر فيما لديكم وإن بول بكم» وقال
لسعد يومئذ مررتُ له من تهمة حصومه «هكذا الصي بدياً إسحاق» ولولا
لاحتباء لكان سببهم بيتاً ثم أبى أن يفارق لوبيا وفي بمتة شهادة سعد
بعلية لأل المسلمين، فلما حضرته الوفاة، وسأله أن يستخف، أبى أن يخف
أحد من أهله، وسمى علياً وعثمان وطيحة ولزبير وعبد الرحمن بن عوف
وسعداً «لأنهم بفر توفى رسول لله وهو عنهم راض، فإنهم استخلف فهو
الحيفة» ثم قال: «بن أصابت سعداً فذل، وإلا هأنهم سبخله فليستع به،
فإنى لم أعزله من عز ولا خيانة».

وهذا مثل من مثله لوفء جميع، لحقوق، والرعاية لجميع الدم من حاكمين

(١) بظنه بفتح عيم وكسر اللام اسمها بظنه عيب الضالم كالطامة (٢) أى لا صير إذن

ومحكومين، ولا يبعد أن يقع لغيب على بعض لولاه لكفة من قرط العنية بشكيات لرعية، إلا أن عمر في حرمه وعدله لم يكن يهوته مفرق انصواب بين الأمرين، فعبر ول أو فسد فهو من غير مة أي حبش.. وحن أقواله هي ذلك «من شيء، صبح به قوما أن أسلهم أميراً مكان أمير».

بل ربما جرى منه حكم العزل على لولاه الكفاء لعبر سبب من أسباب الشكية أو القصاص وإنما هو سبب من الأسباب التي ترجع إلى سلامة الدولة، أو ما تسميه في العصور الحديثة بالسياسة العيب، وهذه أسباب لا يصح أن يعقد عنها ولادة الأمر في أيام تأسيس دول ونحرنة، النظم الحديثة، وأولها عصمة الدولة من فتنة المقتدرين المحبوبين.

فربما كان لوالى المقتدر المحبوب أخطر على الدولة الناشئة هي تأسيسها من لوالى معاصر البعض، بل لم يعهده نظر ثاقب وحسب عسير.

فقد تزين له نفسه، أو تزين له رعيته أن يستقل بالأمر ويتص لملك ما شاء من المعادير، فإن فاته الاستقلال ورئسته قوى مهيب، لم يفته بعد زوال ذلك الرئيس، ولو جاء بعده من يصارعه في لقوه والمهنة، لأن الفرة بين زوال عهد واستقرار عهد حر تؤمن بعقله من سفسف ويحتج اسعرت من يريد أن يبيع^(١) منها بعد طول ترخص واستعداد.

ولم يكن عمر من الحطاب يعرف تاريخ لإسكس المندوسى وبوارىخ لعدة من هياصرة الرومان، ولا كان أعجب قد تكشف له فرائى ما تلاه من لأمتلة في دول اغول والعثمانيين، ودول المسميين من الشرقيين والغربيين، ولكنه لو استقصى أحبارهم جميعاً وعرف منه الولاة بعد روالهم لما ندب لحظة على عزل الدين عزلهم وهو يقول بهم، إنما عزلتكم بكلا أحمل على الناس قصص عقولكم، ولكنلا تفتنوا بالناس كما اعتنى الناس بكم، ولكن به سبب آخر وجيه، بالغ في الوجاهة، يدعوه إلى تغليب رعبات ابرعية على مكانة لولاه، وهو عصمة لولاه من أولئك الولاة أن بطول بهم العهد، ويتم لهم القدرة، ويحوطهم محب والولاة، فلا يبقى بينهم وبين الانتفاص^(٢) إلا بقرة اسانحة وهي أقرب شيء ستوحى في إبان التأسيس والانتقال.

(١) بلج مضارع وبيع، أي سحل.

(٢) لزاد الخروج على الدولة والاستقلال بالولاية.

وما لم يكن عزل العمال لمسبب من أسباب أنسياسة لعبت التي من هذا القبيل، فلا حراء إلا بقسطاس دقيق محبط، ولا سيما في الشؤون المالية، لأنه يعتمد هي محاسبتهم على وسائل متفرقة يستترك بعضها نقص بعض، فلا تكاد تخفى عليه خافية مما يريد الوقوف عليه.

فمن هذه الوسائل به كان يحصى أموالهم قبل الولاية يحاسبهم بها على ما رده بعد الولاية مما يدخل في عداد الربوة المعقوبة ومن نعلل ضياعهم بالتجارة لم يقلل منه دعواه، لأنه كان يقول بهم إنما بعثتكم ولاية ولم سعتكم تجار ومنها أنه كان يرصد لهم الرقماء والعيون من حولهم ليلغوه ما ظهر وما خفى من أمرهم، حتى كان الوالي من كبار الولاية وصغارهم يحشى من أقرب الناس إليه أن يرفع تباة إلى الحيفة.

ومنها أنه كان يتدب لهم وكيلا خاصا يجمع شكايات الشاكين منهم، ويتولى التحقيق والمرجعة قبها ليستوفى الحث قبل نقله الرقماء والعيون

ومنها أنه كان يأمر الولاية والعمال أن يدخروا ملازمهم بهراً^(١) يلقفوا^(٢) إليها من ولايتهم بيطهر معهم ما حملوه في عودتهم ويتصل بسوق بالحراس والأرصاد الذين يقيمهم على ملاقى الطريق

ومنها أنه كان يستقدمهم في كل موسم من مواسم الحج ليحاسبهم ويسمع ما بقولون وما يقال فيهم، وعينهم شهود من شء أن يحضر الموسم من أهل البلاد ويوى في أواخر أيامه أن يستكمل الرقمنة بأسير في البلاد «فدقم شهرين شهريين في الشام ومصر والسحرين والكوفة والبصرة وغيرها» فإنه ليجمع «أن للناس حوائج تقطع عنه، أما هم فلا يصبون إليه، وما عيالهم فلا يرفعونها إليه».

وكان لا يكفى وسائله تلك إذا استترت، فيعمد إلى الحيلة للكشف عن الحساب التي تريبه، ومن ذلك أنه سمع بعودة أبي سفيان من عند ولده معاوية وإلى الشام، فوقع في نفسه أن ولده قد رده في عودته بمال، وجاءه أبو سفيان مسلماً فقال له «أجرتنا^(٣) يا أبا سفيان» قال ما أصابنا شئ فسحرك فهدته إلى خانم في بده فتأخذه منه وبعته إلى هند روجه، وأمر الرسول أن يقول لها

(٢) أخرجنا العصور أعصا

(١) فصول، رجعوا

باسم روجه. انطرى الحرحين الذين جبت بهما قابعتهما، فعاست رعد
بحرحين فيهما عشرة آلاف درهم، فطرحهما عمر في بيت المال.

وكانت سببه. ثنت على ابوالى شبهة التصرف في بيت مال المسلمين أن
يصادر المال لدى طفره، أو يقاسم ابوالى فيم اربى^(١) على كسبه المعقول، فيترك
له لنصف ويضم لنصف إلى بيت المال، وهذا عد ما يحزبه به من عزل أو عقاب.

أما حسب لشكايات من لمصالح فكانت سنته فيه التحقيق، ثم الحراء على
شرعة المساواة بين أكبر الولاة وأصغر الرعية يعبر بفرقة بين لصنة وحرانها.
فمن صرب صرب، ومن عصب رد ما غصب ومن عتدى قوبس بعثل اعتدائه،
وعليه زيادة التأديب.

وقد تأخذ ابوالى أحبا بورا^(٢) ولده أو دوى قرابته إذ وقع في نفسه أنهم
يستظلون على الناس سلطان الولاة، ولا ينهاتهم الولى لسؤل عه.

حاء مصرى فشكا إليه ولها عمرو بن العاص وزعم أن ابوالى أخرى
الخير، فتقبلت فرس المصرى فحسبها محمد بن عمرو قرسه وصاح فرسى
ورب الكعة ثم قربت وعرفها صاحبها، فغضب محمد بن عمرو ووثب على
لرحل بضربه بالسوط، ويقول له خذف وأنا ابن الأكرمين وبلغ ثنت أياه
عخشي أن يشكوه المصرى فحبسه رمثا ومن ل محبوسا حتى أفلت وهم يسي
الخيفة لإبلاغه شكواه.

قال ثنت بن مالك روى القصة مواله ما راد عمر على أن قال به احسن
ومضب مرة إذ به في حلها قد استقدم عمر^(٣) وأسه من مصر، فقدم ومثلا^(٤) في
مجلس لقصاص فذدى عمر^(٥) بن المصرى^(٦) ثوب^(٧) بدرة فاضرب بها ابن الأكرمين

فضربه حتى أثحه^(٨) وبحر شتتهى أن بصره، فلم سرع حتى أحسب ر بوع
عن كثرة ما ضره وعمر يقول ضرب ابن الأكرمين ثم قال أحبا^(٩) على
صلحه عمرو مواله ما صرت انه إلا بفصل سلطانه، قال عمرو قرعة يا أمير
المؤمنين قد استوفيت وشتفت. وقال المصرى معتذرا، يا أمير المؤمنين قد
صربت من ضررى. فقال عمر أما والله لو ضربته ما حسا بينك وبسه حتى

(١) اربى راد (٢) الوراء اسب (٣) مثلا مثل بين يديه انصحب فاسد، وبابه بطل

(٤) ثوبك اسم قمل مصري قديم (٥) أثحه أضاعه، ضعه بهب (٦) ابن الأكرمين (٧) ثوبك

تكون أنت لدى مدعى، و سوف يبنى عمرو معصب يقول به تلك القوية، بحالدة حتى ما قد بها حاكم قبله «أبا عمرو مني نعيم»^(١) الناس وقد وديهم أمهاتهم أحراراً»^(٢)

ومن هذا العدل هي شؤون الولاية يستطيع ان نفهم دستوراً في شؤون القضاة، فمن يكون هذا الدستور إلا دستور العدل محكم في لحرارة وافصل بين لحقوق، إلا أنت نعتقد ان وصداة في القضاة حكم وأصلح جميع الأزمنة من جميع وصاياهم فلا تعقيب بعددنا لمعقب في زمان أو في زمان يبي، مهما مختلف الأقوام و لأوقات.

أشبه وضائف القضاة وتخير لها اعدوا^(٣)، لاكفاء ولم تكن به من حجة هب إلى سن الشريعة التي يحكمون بها، فانها ماثلة في لكتاب ولسه، ولكنه كان في حاجة إلى نعيم بقصده كيف ينصرفون حين يتنس عليهم الأمر، فأحسن النعيم.

كان يكتب لأحدهم «إد جاءك شيء في كتاب الله فاقض به، ولا يفتت عنه لرجال قبل جاءك أمر ليس في كتاب الله فابطل منه رسول الله ﷺ فاقص به، فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله فبطل ما اجتمع عنه لناس هذ به، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله، ولم يتكلم فيه حد قبلك فاختارني لأمرين شئت. إن شئت أن تجتهد وتقدم فتقدم وإن شئت أن تأخر فتأخر»^(٤)، ولا أرى تأخير إلا خير لك.

وضرب لهم أصلح لأمثله سبحانه وسفاته، فلم يقطع يد السارق في عام المحاعة رعية للرمس، ولم يقطع يد الغلام الذي سرق من سيده رعية لسه أو للعلاقة بين السارق والمسروق منه، واشتركت مرأه وصاحبها في قتل رجل فخرج من قتل اثنين أو حد حتى أهله على رضى له عنه مأتهما مستحقين لقتل كما يستحق للصومر السعدون ريقم عنهم لحد إذا سرقوا لحداً من يعير واحداً فأخذ بهو ه.

(١) نعيمهم انعميتهم. (٢) ايعول جمع عدل، وهو العادل. (٣) تقدم تقدمهم. (٤) أي سافر

ومن وصاياه للقاضي «أس بين الناس في مجسدت ووجهه حتى لا يطمع شريف في حيف»^(١) ولا يئأس ضعيف من عدل والسنة على من ادعى واليعين على من أنكر، ولصلح جائز بين المسلمين لا صحاحاً حرم حلالاً وأحل حراماً ولا يملك قضاء قصصته بالأس ثم رجعت فيه بفسد، وهديت فيه لرشد أن ترجع عنه، فإن أحق قدس ومراجعة الحق خير من التمسك^(٢) في البطل الفهم لهم عدما يتلجج^(٣) في صدرك ما لم يطلع في كتب الله ولا سنة النبي ﷺ، وأعرف لأمثال والأشياء. ومن الأمور عند ذلك ثم أعمد^(٤) إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق مما ترى واجعل للمدعي حقاً محبباً أو بيعة أمد ينتهي إليه، فإن أحضر بيته أخذت له محقه، وإلا وجهت عليه القضاء، فإن ذلك أنقى للشك، وأجلى للعمى، وبلغ في العذر. المسلمون عدول^(٥) بعضهم على بعض إلا مجلواً في حد أو مجرياً عليه شهادة رور، أو صنف^(٦) في ولاء أو قرابة، فإن الله قد مولى منكم أسرائر، ودرأ^(٧) عنكم بالشبهات، ثم إباب والقلق والصجر والتأذي بالناس، والسكر للحصوم في موطن لحق النبي بوحب لله بها الآخر، ويحسن بها لآخر، فإنه من حلص نيتة فبها منه ومن الله تدرن وتعالى ولو على نفسه، يكفيه الله ما بينه وبين الناس»

ومن وصاياه لمن يكون لحكم «الزم خمس حصال» يسلم لك دينك، وتأخذ فيه بأفضل حظك إذا عدم إليك الحصار فعب بالينة لعدلة أو يمين انقاطعة، وأدر الضعيف حتى يشد قلبه ويبسط لسانه، وتعهد الغرب، فإن لم تنعهده ترك حقه ورجع إلى أهله، وربما صيغ حقه من لم يرهقه واس بين الناس في حفظك وطرفك، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستين لك قصص القضاء»

تت بمادج منققة من وصاياه للقضاة، وولاه الاحكم، وهي فيما بره أحكم وصاياه، وأقربها أن يبيعها سو.

ولذلك سب لا يعسر تغليه فقد كان عمر في الجانيه حكماً من قبيله محكمين، أو سفيراً يسعى بين الناس بالصلح من قبيله سفر، فهو في هذه اصداغة عريق

(٢) منجيج شريد ويتجج

(٦) ظنسد متهم

(٢) سمدي الاستمرر و لأمرر

(٥) عدول تغلبني شهادتهم

(١) حيفك ظلمت

(٤) المعير المقصير

(٧) درأ منع العقوبة

لا بن امرء قد يحسن الحكم بين بناس كف حسن عمر ولا يحسن الوصية
فه كف أحسنه، وإما بلاغ حسن الوصية أن تجمع بخصلين اللين أحتمتا
فى وصداها لقضاته

فما من أحد يستطيع أن يوصى قاضياً بخير مما أوصى، وما من عقدة
قضائية تنى من قبل لقصة، أو من قبل المتقاضين، لا وهى ملحوظة فى
كلامه، وهاتان هما الخصلتان السديتان فى دستور القصة كما أملاه.

ولابد أن يفت النصف فى سدسته لولاية وسياسته للقضاء، أنه كن يأخذ
لواحب حيث وحب، وإن اختلف الواجبان،

فى الولاية كان يتحرى لوطر، ويمر فى تحريك ولا يكفى من الناس
بالطواهر وفى لقضاء وما شأنه بالقضاء كان يكفى بالظهور حتى تعضب
السنة^(١) لقاطعه، وكان يعنى هذه الحطة على المبر فبقول «ظهرنا لنا احسن
أخلاقكم، وله أعلم بالسرائر، فإن من أظهر لنا قسحا ورعاً أن سريرته حسنة
لم صدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة طبعه به حسناً». أو يقول: «إنما كنا
نعرفكم بـ الوحي ينزل، وإنا النى ﷺ بين أظهرنا، فقد رفع بوحى، وذهب
النى ﷺ، فإنما أعرّفكم بم أقول لكم، لا عمر أظهر لنا حيراً شيئاً عليه،
ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأغضنا».

بل كن له فى الأخلاق الاجتماعية مذهب ثالث يشبه مذهبه فى القضاء،
فكان يكره أن يكشف المرء من أخيه ما يستره عنه، ويبهى أن نظر بكلمة شراً،
وأب تحد له فى الخير محملاً.

وهذه فى الضامر نقائص، وهى الحقيقة واحبات متعددة، كل منها فى موضع لازم،
فالعلم بحنايا الحكومة واجب على كل ولى مسئول، لا يصلح لأحوال غيره،
وفى الغفلة عنه مصرة محققة لجميع الناس.

والأخذ بالبيئة دون الظاهر فى شئون القضاء واجب، لا محيص عنه لصمان
للسلامة ومنع لجرور، وهو فى أحد طرفيه لا يخلو من الحذر الشديد من

(١) سنة لدليل والرماس

الطبيعة البشرية إذ فيه حشيه من عويه الهوى ان يخلق بهفصاه في لحكم
بغير برهان.

وقى لأحلاق لا حتفاعة لا يؤمن التفطع من الأصفاء ر حوت العلاقة بينهم
على الحس و لحدعة، ولا رعاية سموده ما لم تكن رعاية للخراف، ومبها لاسرر
والفرقة بين لواحياب، مختلفه هي بين البصرة في عمر من كل واحد مبها،
وأبها تصدر عن راي أصيل، ولا تصدر عن تسخير العرف وملاء تتقليد و لمحاكاة

وُسُنَّتْ هي عهد عمر دواوين أخرى غير ديوان نقضاء ديواوين لأحصاء
واخرج والمحاسبة التي لم تكن من مؤسساب الفئمة قبل عهده. فأنشأ
البريد، وبت المال، ومرابط شعور، وصنع المسكة بصرر بقود ربار لحس
للعقد و لكل معظم اسواوين بي ثناء الملاد يز ولوبها بغيرهم لأب سب من
أسرر الدولة، ويس من المبسور ر ينصرف إليها فنس العرب عما هو أولى
بهم وهو فرائض الدفاع والجهاد .

فبو وحد منهم من بقى^(١) تلك الأعمال فكانت خسارة الدولة في قب منهم بها
أعظم من ربحها، ولكنهم غير موجهين ولا عزمهم فيها باللام اللاب
للمصلحة لكبرى وقد يكون عمل لقارسى هي مصلحة فارس، و لسورى في
مصلحة سورية، والمصرى في مصلحة مصر أخرى^(٢) أن بعضهم إن كان بهم
عاصم، وإلا فلا تربية^(٣)

ووضع عمر نظاماً لتحصين الحرية، وبصرف في وضعها على حسب الأمم
و بلاد ما عفى لتعسين بالشتم من الحرية وقرض عليهم مديلاً عنها ضعف
صدقة المسلم لأنهم انقوا أن يؤدوها ورمع بلحق بأرض بروم

وكان له نظام اقتصادى يوافق مصلحة الدولة في عهده، فكان يحرص على
السجرة، ويوصى القرشيين ألا يغيبهم أحد عيها لأبها ثلث الملك ولكنه أبقى
الأرض لأبيائها في بلاد مفتوحة، وبهى المستعين أن يملكوها على أن يكون
لكل منهم عطاوه من بيت المال، كعطاء بحد في الحبش لقائم ويد أسلم أحد

(٢) تربية، يوم ويب

(٣) أخرى حبر

(١) بقى بكى وبصح

بدميين احب منه رصه، ورعد بن اهل نده، وفرص له العطاء، وكان عرضة من ذلك ان تنقي لاهل البلاد مورد ثرواتهم وأن يعصم^(١) الجند لاسلامى من حق التراع على الأرض و يعفر، ومن هن لذة^(٢) و لاشتعيل بالثراء ولحطام وريف عصي^(٣) عن كثير في سبيل الإغناء على تعمير البلاد بدهلها فصيح عن اهل اسود «العراو» لبموا السقاء فيه، مع انهم حبوا بالعهد، وعوبوا الفرس على المسلمين في ثداء لقتل.

ويوح من كلامه في حرب ابدمة انه كان على به اسطر في تصحيح البطام لافصا، و علاج مشكلته الفقر والعنى على نحو غير انذى وحذف عنه، فقال، «لو استعيل من مرى ما سبدرت^(٤) لأخذ فضول^(٥) أموال لأغناء فقسمتها على الفقراء».

ولم يرد في كلامه يحصل لهذه اسه، ولكن الذى نعلمه من رايه في هذا الصدد كيف لاسيلاص ما كان يتره، فعمر على حبه للمساواة بين الناس كان يفرق أمدا^(٦) بين مساواة في لأدب النفس والمساواة في سس الاحتماعية، فكتب في ابي موسى الأشعري «بلغنى ما تأس لسان حما غير^(٧) هذا حادك كسبى هذا فأس لأهل شرف وأهل انقرا والفقوى ولاين، فيذ أحوا محاسنهم فاذن للعبة» ولكنه لم رأى لخدم وقوف لا ياكلون مع سدانهم في مكة عضد، وفل لسدانهم مؤيد ما لفوم سسيزون على حد مهم ثم دى بالخدم فاكلوا مع سادة في حفر وحده.

فالمساواة في أدب نفس لم يكن عند عمر مما سفى اشفاص بالدرجات ولم يكن يرضيه كذلك أن يعتمد الفقراء على صدقات و، بعضا، ويعرضوا عن العمل والحد انبه، فكان يقول لهم في حصة «ب معسر الفقراء، رفعوا رؤوسكم فقد وصح بطريق سسابقوا الحيران ولا يكونوا عبالا على اسمى^(٨)» «كان بهضى الفقراء لاغناء مع» ب سعلموا لهبة هاه يوش أن يحتاج أحدهم إلى مهنة وإن كان من الاغناء»

(١) يعصم يصم ويصحص (٢) انداء بخص والرفاه (٣) عصي اعصى عنه وصم

(٤) لو دلو رجع من عمرى ما فات (٥) فضول ما راء عن لعبه، جمع فضل

(٦) بد بامد (٧) حص غيرا حبياء اشريف مع انوصيع في كثرة

(٨) لا تكونوا عبالا على سسعين لا تعسوا على أن يقولكم

فيسوع لذا أن نفهم من هذا جميعه معنى ما اسوءه من أخذ فضول لعتي،
وتقسيمه بين ذرى لحدة، وهو تخصيص بعض الضرائب من الثروات الفاضلة،
وتقسيمها في وجوه البر والإصلاح.

على أن عمر يصح أن يسمى مؤسس الديوان الوقف الحبري على الوجه
الذي نعهده الآن، فقد أنشأ بيت لدقيق لإعائه الجياح ليس لا يجدون الطعام،
وأصاب قبل خلافته أرضاً بخير فاستشترى النى عليه لسلام عبه، فاستحسن
له أن يحس أصله، ويصدق بربعه، فحصبه عمر صدقة لا ساع ولا توهب ولا
تورث وينفق منها على لعقراء والعزاة وغيرهم، ولا جدح^(١) على من وليها،
يأكل بالمعروف، ويطعم صديقاً فقيراً منها

وعرضت لعمر مسائل التعمير على حسب الحاجة إليها في وقته، فلم تحده
مسألة منها دون ما تحتاج إليه من إصابة الرأي وحسن الروية، فكانت
بصانحه في تحطيط المدن واختيار مواقعها من أنفع لنصائح وكانت تدعو عبه
إلى مئائها من أشرف السواعى وأليقها بالأمر.

شاهد في الجند هزالاً وتعير ألوان فسأل قائدهم سعداً ما لذى غير أنون
العرب ولحومهم؟ فاجابه بها وخومة^(٢) الملائن وبحلة فكتب إليه «إي العرب
لا يوافقك إلا ما وفق إبلها من اسلا ان فابعث سليمان وحديقة سرتاء^(٣)
متراً برياً بحرياً ليس بنى ريسكم فيه بحر ولا جسر» وأمر أن تدلع مناهج^(٤)
المدينة أربعين دراعاً وما يلها ثلاثن ذراعاً وما بين ذلك عشرين، وألا تنقص
الأرقة عن سبع أذرع ليس دونها شيء، وألا يرتفع بناء الدور فحيست الكوفة
على هذا التخطيط

وعلم أن الجند يشكون الشتاء ويعوزهم المنأ الذي يسكنون إليه بعد العرو
في حدود هارم، فكتب إلى عتبة بن عروان أن «ارتد لهم منزلاً قريباً من
المراعى وباء»، ووصف له ما يشترى من مواقعها وخططه، فسببت البصرة عند
ملتقى النهرين.

(٢) وخومة: فساد الجو والسنه

(٤) شفع طريق

(١) لا جياح، لا يتم ولا خرج ولا قصب،

(٢) فببره: فاستشار بعد اليه.

وهو الذى أشار على عمرو بن العاص أن يحفر خليجاً بين النيل وبحر
القرم^(١) لاتصال مرافق بين مصر وعاصمة الدولة وصوب له الموعد حولاً
يفرع فيه من حفره وعداده لمسير سفن فيه فساقه من جانب القسطنطين إلى
القرم، ولم يأت الحول حتى حث فيه السفن، وسمى خليج أمير المؤمنين، ولم
يرى مفتوحاً حتى ضعه الولاة وعقل عنه لخلع.

سياسته معميرية وفيه بالعرض منها لعصره وقد يلاحظ عليها أخطاء
العصر الحاضر شيئاً لا يوفقهم، كالحد من ارتفاع الدور، وإنزاعه في تشييد
القصور، أما هو فالوجه الذى توخاه في سياسة تعمير أن يحمي الدولة في
نشأتها من الترف والبدخ، وأن يحوى بين الحد وبين الاستئمان^(٢) إلى متاع
القصور المشيدة، والصروح الممردة، وما فيها من بواعث توهن وتفترق، ومن
فلاسفة العصر الحاضر من يحسب ضخمة لباء دليلاً على بقاء الضعف
وعفاء^(٣) العقيدة، ويقول «شبحار» أحد هؤلاء الفلاسفة «إن الأمم في مهوضها
تعبير طريقين مختلفين صريق العقيدة وقوة النفس، وتلازمه سادسها انضواء
وعظمة الضمائر، وطريق بقاءها المادية والوفرة لعددته، وفيه تحسب بصائر
وتخفيها العظمة لتي تقاس بالناع والدرع، وتقدر بالقصور والديار، وكانت
قبل ذلك تقاس بما لا يحس من العزائم والأحلاق».

وعمر على كلب لحائتين لم يتعد طبع الأشد، ولم ياحذ في زمانه بغير
الصلاح من الآراء.

وقصارى القول أن هذا رجل لم تواحهه في ولاياته الواسعة صعوبة أكبر
منه وأحوج إلى قدرة أعلى من قدرته، وشبهه ودرابه أجل مما كان له من هبة
ودراية، فاد عرضت الصعوبة بظرفه ههنا لحزم السلوك لمواجعتها والحيلة
الصالحة سدورها كأنما كان بها على استعداد، وكأنما عايش حياته كلها
بتمرس^(٤) بهذه الأمور.

وكان اصطلاحه^(٥) بتفريج الأزمات و لكوارث كاضطلاحه بتدبير الحاحات

(١) القرم مبنية لسويح لخاله وكان البحر الأحمر دائماً يسمى بحر القرم، مبنية لهذه المدينة

(٢) الاستئمان الاطمئنان والبرعة والبرص (٣) بتمرس مشروب وينعش ويعالج

(٤) عفاء: انتهى وقضاء (٥) اصطلاحه صغاله وقبائه

إلى السعير والتنظيم ففي سنة الثامنة عشرة للهجرة فجاءه فحط الرماة المشهور، وهو الفحط الذي لا يقل هي وصفه وحر من هولهم يومئذ في الوحش كسب تأوى فيه إلى الإس وإن الرجل استصور من جوع كن يدبح لشاة هبدها لفتحها.

فهو لهذه الكارثة بهوضه لكل حطب، واستطبت القوت من كل مكان فيه مرت من قوت، وحمل حمته على ظهوره مع حمامين إلى حيث نثر بالحديد والبرولين لعاحرس عن حمل قوتهم، وإلى^(١) على نفسه لا يتكلم طعاماً أنفى من طعام الذي يصيبه الفقير المحروم من رعاياه، فصبت عليه شهوة لا يسوق غير لحم والربيت ونظر في كل شيء حتى في تعليم كل بنت كيف تنتفع بالبرق الذي يرسله إليهم مع عماله، فقال لربيرين لعموم «خرج في أوق هذه لعير فاستقر بها بجاً، فحمل إلى أهل كل بنت قدرت أن تحملهم إلى، ومن لم تستطيع حمته فمر لكل أهل بيت سعيير بما عيه، ومرهم فلبسوا كساعين، وليتحروا لعير فليحمله، شحمه، ويقدروا لحمه، وليحترزوا^(٢) حله ثم ليأخذوا كبة من قديد وكبة من شحم، وحقة من دقيق فيطبخوا ويأكلوا حتى يأنهم له برزق».

وهذه السهولة هي مواجهة كل حانه بما يوثقها هي التي تدير لما «مؤسس الدولة للمهم» في هذا أرحل العقيم.

فكر عمل من هذه الأعمال سهل على القبطاس، صعب عند بصورها إليه وإحاطتها بما يسدعيه من تدبير وإجبار وحقوق وهيبه، فكم بين الخديعة وتلك الأضرار هي رخص أسرع وسائلة بعير سريع وكم عمر عمر لملاحقه كل جيش يسير، وكل يد يفتح وكل أمه بحكم، وكل غارص بطر على غير رقعة^(٣) ولا سابقة حيرة.

تحديد الحيوش شمتي لبيدين، وليس سهر، وحتدر القود على حسب ف يندبون له، وليس سهل، ولأمر بكل حركة على حسب كل ميدان، وليس سهر واستبأل عن فاة الأعداء ومداوراتهم^(٤) ليسقصي خبرهم، ويعرف ما بفالهم ده من الكد العدة، وليس سهل، وإشياء الحسن والعماير هي مواضعها، وإقامة

(١) إلى حلف،

(٢) حيز الجيد وحيوه، قطعه

(٣) وقبة ترقب وانتظار.

(٤) التدبيرة الحاربه والاقتدر في اسباب القتال.

الندراوين عند حاجته إليهما، ويرصد لاسم و لحوش بالإصبع إلى شكايهم ولو جاءت في غير أيهما، وللهووس الكوارث ولأرصات يبا يسعى لها والمشاورة لمن تسمع منه، المشورة بغير ما شكة وخدمة الدس في دينهم وحققه كخدمته إياهم في دينهم ودولتهم ويحدد هذه المناعب يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وبعدها بعد عام وهي شدة لا سهولة فيها على غير صاحبها القبر عنها ولو زاولها عرضاً إلى أيام.

وجلس بعض هذا عية أحلال بوا من ص حبه قمع منه بالاشراف ومراحه ولم يعص بيده فيه كنهه خدام السب المرفق، وأجبر الديوان لصغير لكتبه، كما تعلم، كان يكدر میده ويحمل على ظهره وينصب^(١) أعينه، ولا يدع احداً من خدام الدولة الواسعة إلا وهو شربت به في مثل ما ينولاه.

وأكبر ما بسحق الإكثار في هذا لرحل الكبير، أنه كان قادراً على تأسيس سور وعسى فتح لأمصار، ولكنه راض^(٢) العسرتين، فلم يقدم على فتح الأمصار إلا بمقدار.

فليس الفتح شهوة عنده ولا المحر الحربي لبنة^(٣) من لدنه وهو على علمه بان الله وعد المؤمنين أن يورثهم الأرض لم يكن يرى في ذلك عتاً إلى العجلة بالفتح، كما كان يرى فيه نوعاً لنصر ولائاً حتى لا يسهو دم في غير موجب، ولا يعتسف خطة بغير روية.

فكان همة الأكبر تأمين الجزيرة العربية من أطرافها، وحماة الإسلام في عقر داره ولولا أن الدول العظمى التي كانت تصدق بحرية العرب بحفر^(٤) للطش بها، وقمع عوتها في سهدف لكان للدولة الإسلامية سياسة أخرى في مصاولة أولئك الأعداء.

فدوله الروم كانت ترسل المعوث إلى تخوم^(٥) بحرية ونهيج القبائل لحرب مسلمين من عهد النبي عليه السلام وكان المسلمون يعيشون في قرع دائم من خطر هذه الدولة وأتباعها. يدل عليه كلام عمر وهو يتحدث عن أرواح النبي حيث يقول « . وكذا تحدث أن عس^(٦) تقتلع أشغال لغروب، فسرل صاحبني

(١) تنقيب، تجميع، ويغصص.

(٢) راض، روم، رذل.

(٣) لبنة، حجة، ورمجة.

(٤) بحفر، استعدت وتوثقت.

(٥) تخوم، حدود.

(٦) عس، حرب، اشغال.

يوم توبه هرجع عشاء، فضررب بابي ضرباً شديداً وقال آثم هو؟ ففرعت
فحزرت إليه، وقال حدث أمر عظيم، قلت ما هو؟ أجابت عسان؟ قل لا، بل
أعظم منه وأطول.. طلق النبي ﷺ تساءه^(١)

ومن هذا الحديث يتبين لنا مبلغ بفرع من تهديد الروم للجريرة لعريبة
بالليل والنهار، ما فرس فقد بلغ بصعياها أن عاهلها غضب من دعوته إلى
الإسلام، فوفد إلى بحار رسولاً مع نفر من الحند ليأته بالنبي العربي حياً
أو ميتاً^(٢) ولولا أنه مات قبل إجاز وعبدته واشتغلت بمرر الفتن في بلاده.
لوطئت جيوش الفارسية أرض لحيرة قبل أن ينهض العرب للدفاع. وما هو
بأن حفظ العرب حدودهم من قس العرق الفارسي حتى سكتوا إلى ذلك، رود
عمر بن الخطاب «لو أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون إلينا ولا نصل
إليهم» ولم تتغير خطته هذه إلا حين استوى «برجر» على عرش فارس،
وناهب للعادة على المسلمين، وحراجهم من حيث نزلوا فتحدد القتال.

وقد طال تردد عمر في فتح مصر، ولم ينبعث إلى عزوف حياً ولها^(٣)
باقتوح، ولولا أن علم أن أريطون قائد الروم في بيت المقدس قد فر منها إلى
مصر ليحشد فيها الجنود، ويتأهب للكر على الشام لصال برده في الزحف
عليها ومع هذا أوشك أن يسرح عمر بين العاص بعد إشخاصه إليها ونهه
عن الإيفال في مصر بعد مسحها، لأن لسطوه هو مقتدر عليها لم تكن
ترويه^(٤) ولا تقويه، ولأن الضرر بالأروح أغب في طبعه من الشغب بالقبوح،
وأن رجلاً من المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار.

فلا يحطى لقائل لذي بقول إن لأناة هي السطوة أكر ما يستحق الإكبار
من هذا الحلق الرفيع، وإن دلالة الإنسانية كبر دلالة مشمل عليها هذا السجل
الحافل بالناثر، لأنه يرينا لقوة كيف تكون نعمة إنسانية عالية ولا تكون لوم
بقعة من نغم لأثرة ولأناية، ويرينا لرجل كيف يقوى فلا يخافه الصعيه، بل
خافه من يخيف للضعفاء.

وبحق يتزود بهذه القوة مؤسس دولة تقوم على دين لأن الدولة قد تقبها
لقوة الطاعة، أما الدين فلا يهدمه شيء كما يهدمه قوة الطعيا

(١) يومه سينهويه ويسمعه

(٢) الحج بالشية البروعه

إن بيأس الذي ورهنه بعس عمر لحط عظيم ولكنه لو كان في يدي غيرها
 لقد يكون نصيبها منه أوفى من نصيبها وهو في يدها، فلم يشجده عمر قط
 لغرض يخصه بون غيره، ولم يضرب به قط بمعزل عن الإيمان حتى في أيام
 الجاهلية، فلو لم يقع في روع (١) عمر أن محمداً أمان قريشاً واستقص دينها لما
 تصدى له باتي، ولولا حرمة الإيمان اجاهلي عبده لما ثار على إيمان محمد
 وصحبه.

وعية ما هنالك أنه فرق بين إيمان وبين، ففي الجاهلية كان إيمانه مضللاً
 فعقم ولم يأت بباطل، وفي الإسلام كان إيمانه رسيماً فأتى بأطيب الثمرات.

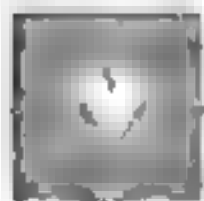
عل أن يقال أن عمر كان أكبر فصح في صدر الإسلام، ينبغي أن يقال أنه
 كان يومئذ أكبر مؤسس لدولة الإسلام، وبه أسسها على إيمان، ولم يؤسسها
 على الصولحن (٢)، فكان مؤسساً لها قبل أن يسي الخلافة، وينفرد بالكلمة
 العليا، وكان من يوم إسلامه أخذاً في تشييد هذا البناء الذي تركه، وهو بين
 دول العالم أرسخ بناء.

إن تاريخ عمر وتاريخ الدولة الإسلامية لا يفرقان، فإذا بدأنا بهذا فقد بدأت
 بفصل من تاريخ ذلك، ولن يهون لك الاستطراد، حتى تثوب إليه كرة أخرى

(١) الروع بالصم القتب والنقل والتبدل

(٢) الصولحن جمع صول، فاعرب، إذ لا يجتمع في كلمة عرسه صلاه وجيم، جمع الصولحنه
 والمراد الله بم يؤسسها على الحق والالهيّة، وضريبة الملوك

عمر والحكومة العصرية



من الحقائق التي لا يحسن أن تعيب عبء بحر بغير الأنطال من الالة العصور
العبرة بهم ساء عصورهم وليسوا ابناء عصورنا، وان مطالبون بأن يفهمهم هي
رماهم وليسوا هم مطالبين بأن يفهمونا هي رماهم، وأن البحر الذي يصنع هي
عصره خير ما يصنع منه هو لعدوه من يقدي بها أبناء كثر، ولا حاجة له
إلى الأعداء ولا أن يشق حجاب، يعيب ليطر، يينا ويعمل ما يوافقا ويرضف

ويحسن به أن يذكر مع هذا اشكال لحكومات بعمره من مرتبة المندى اى
هم عليها وأن المبادئ التي تقوم عليها بعمره بين مرتبة لروح الإنسان اى
بما رى معهم وينظلمها لأن لندى بعمره أن يحلو من لروح الإنسان ولا يعيب
بروح الإنسان أن يحالف المبدأ في بعض الأحيان هالمليكة والصحف
شكلا من شكلان لحكومة عد يقومان على مبدأ واحد هو مبدأ الحكومة بعمره
أى انديقر عليه، ولكن العدل وحرية هم الروح الإنسانى لمقدم على المبدأ وعلى
لسكل معاً، لأن هذا المبدأ واسكل لا يصير بذا وجدنا لعدل وحرية اما
فقدان لعدل والحرية فهو لذى تضير ولو توافرت لمبادئ والأشكال.

فإذا عرف لعدل بروحه وسنه فلا يصير عليه أن نكره مبادئ الثورة الفرنسية
ومبادئ الوثيقة الكبرى هي الدلائل لحرية، أو مبادئ الدستور الأمريكى هي أمان
بأن الدستور هناك، ومبدأ من المبادئ التي لا تسمى بتحدد وتتغير كأيام كان

ويحسن به أن تسأل نفسك كيف أعجبنا بعظم من عظماء العصور
حديثاً ما كان هذا العظيم صانعاً هو بدأ في القرن الأول للهجرة مثلاً
أو عرب الأول ليلادى؟ أكان يصنع منه ما هو «عصرى» هي رماهم و يصنع
فيه ما هو عصرى هي ذلك الرمان؟ عفا لا وراء فيه أنه يخالف عمه في رماهم
ولا يخالف عمه هي رماهم لندى بشد فيه ولا ملامة عليه عفا خلاف وفيها
واقف، من الملوم عفا نحن إذ نبطر ما لا نبطر، ونقيس على غير قيس

والى جانب هذا كله يعنى ان تذكر ولا تنسى ان عصرنا ليس عصر
لعصور، وانا لو ملك تدبيرة في كثير من الأمور لبداه، وانا لا أتفق على
استحسان الحسن ولا استيفاح لقيح منه، وأن الفارق الأكبر منه ومن
لعصور الأخرى بما هو فرق الأنفة والاستعزاز بعصرنا ما لوفا لنا وسائر
عصور مستقره في أنظارنا وكثير ما يكون لاستعزاز عربنا بحرف
مبعوث بالظهور والأرباء دور الحوض وحفوف لاسف

ادكر من الصور التي رأيتها في الصحف الأوربية ولا يساهي صورة
حديقة سمص المشهورين والمشهورات في أرباء عصرنا وأزياء العصور لسابقة
على اختلافها عرضها اصطناعه وحسنه كنت تحتها هل تعرف هؤلاء لو
مروا بك في الطريق؟

فإذا تأملت لصورة رأيت فيها يوسوس قبصر في بقعة صوية وكسوة
لسهرة سورا، ورأيت كليوباترة في رى الباريسية العصرية ثم رأيت مير
من أمراء هذا لرمن وحكيم من حكماؤه على بعض تقاطع لتي حطت
هي صوره الزمان وحكماء لزمان في ذلك تسعرت ما نألف ونألف ما
تستغرب وكأنت على استعداد أن تحدث يولوس قبصر حديثك بل رجل لدى
يفهم وتفهمه من الكلمة الأولى، وعلى حذر أن تفكر الرجل لدى مثله في
لصورة في رى الأقدمين المخالفين لك في لعقيدته والشدة والذوق ويمط
لتفكير وسطر إلى لأشياء

هذه صورة بشرت يومئذ لتسليه والفكره ولكها خليفة أن نعلمنا الكثير
وان تصبح لك مقبوس المفيدة والتقدير من كل عصر سابق وعصر أخير

وبنحو هذا ينظر إلى أعمال عمر بن الخطاب بقيسها إلى نظام الحكم في
زماننا وأحدون منها كثيراً من المستعريات التي تحولت ومن تقديرها
لصحيح اللوهم لأولى ولكنها لا تملك أن ترفع القشرة وينفذ إلى الباطن حتى
تروى لمرأة ويرى في مكها الحق الحال الذي تتعمر لعصور ولا يتغير، من
يرى في مكانها أحباب ما يصح كل الصلاحيه لتفسير حتى بعدى هذا
لعصر الأخير

حد مثلاً به وهو أقدر المالكين في عصره كان يقع بالكهف ويلبس
لكساء يغبط وبها إبل صدقة في مداويها بالقصران - ويراه دسر الملوث

وهو قائم على الأرض نومة الفقير المدقع وتعرض له الخاصة^(١) وهو داخل إلى الشام فيتزل عن معيره ويحلح حقه ويخوص الماء ومعه معيره، ويسهر مع حادته فبسوي بدتهما في المأكول والمركب والكساء

حاكم من حكام العصر الحديث لا يصنع هذا ولا يطيب أن يصنعه، وهو وأبناء عصر الحديث على حق فيما رسموه لأنفسهم من اسم^(٢) ولشارة، لأن حاكم الأمة يحتاج إلى المهبة من هومته وعبرهم من الأقوام وهذا حسن مشكور

ولكن هذه وجهها نحن في هذا، فما هي وجهة عمر فيه؟

وهذه حجتها نحن فيما ارتسعا، فما هي حجة عمر فيما ارتسم؟

إلى عهدنا القارية بين الوجهين والحقين الفيدة في غنى عن وجهتنا وحينئذ أنه كان يضر إلى العالة التي نرومها نحن من طريق أقوم وأنفذ من لطريق أدى ترضاه، فكر يعيش عيشة فقراء وأمنه وأمم أعدائه أهيب له مما تهاب لنيجان في القصور.

وكن عمل لوح تثبيت سلطان وتثبت عقيدة هي أساس الحكم قبل كل أساس، فكانت عيشة الفقيرة أعوز له على تثبيت العقيدة، ثم لا عصابة فيها على السلطان، وكان يدين نفسه بهذه العيشة ولا يأنى على غيره أن يخالفها، ويقنع بالسير ويعطي لحق الكثير لمز يستحقه على تفاوت في لشر والأعمال. فلما تدب أد عبدة لتوزيع الطعام في عام المجاعة أعطاه ألف دينار وألح عليه في قبولها، ولما قسم الولايت جعل كل وال كفاء^(٣) عمله من أجر وطعام مكفولاً له مع عطائه الذي يعطاه كسائر المسلمين.

وهو الذي خالف أباً بكر في التسوية بين الأعوية لعلمه بتفاوت الحقوق، فقال له أنسوى من هاجر لهجرتين وصلى لي فستين وبين من أسلم عدم لفتح خوف السفى؟ أتجعل من قتل رسول الله كمن قاتل معه؟ ولقد ظل كلاهما على رأيه حتى قام عمر بالخلافة، فأنحد بمذهب النصيين وتوهمة العطاء حسب الحقوق أم بهالة فمن منقر من الولاة إلى لظهر فيها لم يصعه عمر ولم يوجب عليه أن يقتدى به في خصاصيته^(٤) وشظفقه، فيه من ذلك ما تعصى به مصححة لدوبة حيث كان

(٢) السمت الهبة
(٤) الخصاصة الفقر.

(١) الخاصة موضع الماء بصورة اناس مشاة وركابا
(٣) كفاء عمله أى ما يكافى عمله ويحاربه.

وبهذا يكون الحاكم عمر بن لخصب قد أدى «الوحي الحكومي» على الوجه
الاقوم، فلا سبيل لأحد في أن يزاخده فيه بقياس حديث أو بقياس قديم.

فإن بقي أن يستدل بتشديده في المعيشة على تفكيره أو خلقه، فما هي
الدلالة التي تدل عليها؟ هل يدل هذا التشديد في محاسبة النفس على شيء
يعاب؟ هل هو أدنى إلى التقص أو أدنى إلى الرجحان؟

إن أستاذ يشددون على أنفسهم عن كررة^(١) في لطبع وصيق في الخطيرة^(٢)
وعجز عن ملائمة الدنيا، وهذه نقائص تعاب في مقياس لفكر والأخلاق

ولكن من كانت خليفة عمر بن الخطاب خليفة المرعب المتوجس عاجز انذى
يرجع اسطف عنده إلى العجز عن ملائمة النبي؟

عجز الدس بالانهايم لا ينهم عمر بهذا ولا بما يشبهه وبه نه..

وإنما تدل جملة أخلاقه على أن الخلق الذي أكرمه حياة لشطف إنما هو
خلق قوى بروض صاحبه على ما يريد وليس بخلق ضعيف يحفل من النصرف
والتكلف إحمال العجز والرهمة والوساوس.

وهي «طبيعة جندی» التي قدمنا الكلام فيها التفسير لطهرته في حساب
نفسه، وفي الموقف، الذي اختار أن يقفه بين يدي الله، فهو يعلم أن الله شديد
الحساب وأن الله رحيم، ولكن الجندی لقوى إذ وقف بين يدي مولاه جعل
بعونه على الرقاء بالأمر ومضى الوحي في أدق تفاصيله، ولم يجسده بهوه
الوحيد على طلب لرحمة والصفح عن الخطيئة حين جاء المصفح من مولاه
فليس هد بمعفيه ثم نفسه من ستقصاء الحساب وبوحار عليها.. فكرم
صبيغته الحادة لقوية أن يجور على نفسه من أن يترخص في إعطائها ثم
بتعرض لصفح والفران.

وكان وفاءه لحق لصدق كوفائه لحق الله سبحانه من أسباب هد لشطف
بذي عاش عليه بعد النبي وضيغته الأول، فقد آتى له وناؤه أن يعيش خيراً من
عاشا وأن يستنبح وقد صار الأمر إليه حظاً لم يستنبحه، وكثيراً ما

(١) الكرامة الانفاص والمراد التزم والحمود.

(٢) صيق الخطيرة الخطيرة ماوى خشية، والمراد «صيق الافق»

يُوسل إليه حاصصه أن يشفق على نفسه، وأفعوه بما علموا أنه أدنى إلى إقناعه، وهو أن يوسع في العيش ليكون قلب أقوى له على الحق فكان يقول لهم «قد علمت بصححكم ولكني تركت صاحبي على جادة»^(١) فإن تركت حادتها لم أدركهم في حبل^(٢) وكلم صحيح له دواء ومنهم من حصة أن يستكثر من الطعام الطيب والسعة السبعة سألها كم كان يصبب لبي من هذا أو من ذلك، وأنت تحرفين بصفته^٣

فبكون السؤال هو الخواب.

ثم كتب رعيته في إقامة لحيته على ولاته وعمه سبب آخر من أسباب شغلهم وقد عته بالقليل فقد يستحي أحدهم أن يحزن يعني وخليفه قاع لا بطمع في أكثر من لكف.

وما كان عمر ناسي بحسن ما عرفه الناس من مروءة «لأنه والوحاهة» وهو الذي نعم ما جعلوه، وكما كان غيب عنها إشاراً لعبه من هو أرفع منها وأدنى على المروءة في حقيقتها، فكان يقول «المروءة مروءتان مروءة ظاهرة ومروءة باطنة، فالمرءة الظاهرة لرياش، والمرءة الباطنة لعفاف».

فهو في جملة أحواله يفرض التخلف على نفسه لأن قوته الضعيفة تستطيع أن تريد فنعمل، ونستشير أحد لدى يصعب على غيرها فيها رحا يكره العقل والنحو، وبسببها نقص معات بمقياس التفكير أو مقياس الأخلاق

إنما كان الرجز بحسب غيره فيعطي حقه في عمر بحس ولا حرج، وبحسب نفسه فيؤثر لشدة ليقطع الشئ ويدوا^(٤) الشبهة^(٥) ويقضي بصاحبيه، ويترك لقوة الخلق لمن يلبه فلا سبب عليه لماحت في نعم بحكم ولا لماحت في معاني الأخلاق على أن عصورها الحديثة تستعرب الشطط من عمر وهي تلك الملوكة ويكر لهم حين يستول لأنفسهم سببه في بعض أوقات لصيق والمحنة، وهي الأوقات التي سببه فيها شعور برعية لنفرو سبها وبين راعها في المعيشة والتكليف وأكثر ما يكون ذلك في أوقات المحامات والحروب وشح المثونة على الإحمال.

(١) ابتداء وسط الصوب وللصوب طريق الرضوى في وصاحبه في بكر (٤) المرءة لمرءة والمكانة

(٢) نورا لشبهة مدعها رعيته

ففي الحروب لأحيره نحوت اصحف بأشاء على الملوك دين و صوا
انفسهم و ر صوا أسرههم و حبسهم معهم على حراية الحرب بنى نوحبيها
صرورات المويين، وعدوا من مفاخر الملوك أنهم لا يأكلون إلا ما بلكه شعوبهم،
وأنهم لا يرون لهم عرة في شرف الذي يعر عى رعبهم^(١)، فاقدر بعمر فيما
اوحى على نفسه عام القحط^(٢) و علمهم الشده كيف يقدون إلى ابو ح
الإنسائي من وزراء زحارف الحضارة الحديثة

وشىء اخر يستعربه العصريون في تضم حكومة عمر وإن كانوا ليعنون
مثله أو اسبغوه، ونعنى به طريقته في محاسبه الولاة و بعض سوء لتحقيق
لعدل أو تحقيق الأمانة.

فكان يجرى الولي حرء المثل عن كل مصمة وفع على أحد رعباه و أخذ
أولي بسنات نذيه ويويه إن أسدوا و هم مسطيين^(٣) بما للولاة من حور و جاء
وكان بحصى أمون الولاة ثم يستصفي ما راد عليها كلما قشت^(٤) لهم
فاشمة من العمة لا بخروته بمصنرها.

وفي هذا وبال ضمن لعدل والأمانة يستعربه العصريون، لأنهم لا يألوه
في طرائق الحكومات العصرية

ولكن أراهم يستغربونه لأنه غير حسن و لأنه غير مستطاع؟ بل لأنه غير مستطاع
ولا ريب، و لأن الحكومات العصرية لا يملك أن تنحره وينصف في سفيده^(٥).

ما انه حسن فلاشك في حسنه ولا هي به أحسن من نظائره بين انظم
عصرية، لأن حكومات العصر الحديث قد تحمى أولي وإن ظلم و عدى فلا
تسمح بمقاضاته إلا بإذن منها وقد نحمه مرة حري بالإحالة إلى الثقة بالور ره
ومنع المباشرة في عمله، لأنها هي المختصة بمناقشه فيه، وتعتبر في الحالتين
بعدم المحافظة على نصم الدولة ن تهدده ما تهدد مراكز الحكام، وسم يكن عمر
بخشى هذا الخطر لأنه أقوى منه فله هو الحق وعلى اسطم العصرية اللام

(١) يعر على عبيد مصر، منهم بحقه (٢) عام القحط و عام مجاعة وقد سقت لاشارة اليه

(٣) مسطيين أو معسرين مستصفيهم و حاشهم

(٤) قشت لهد فاشية من العمة د عر و سبر و الفاسية كل شيء، منتشر من المال كالعم و لاين وغيرهما

(٥) يحاول الحكام على عهدنا سحرههم مستطعم من وسائل وقتور، اكسد غير المستوع
ضرب من هذا الصنيع

أما الطريقة العصرية في ضمان أمانه بحكم فهي أن نحرم عليهم التدبير
مباشرة لأعمال في لشركات وما إليها ثم هي لا تأخذ منهم درهماً ولو دخروا
لخدمة صفر الدين وخرجوا منها بالصياح والعصور والأموال. فمن استغرب
الطرائق العصرية في هذا، لرب عيستعربها ما شاء وهو يعلم أن الغرب به ليست
بعيد، وأن المؤلف هو لمعيب إن قصر عن تعرض لمطوب

وما عدا هذا من اختلاف بين العهدين فبقما يعدو اختلاف لأسماء وتفسير
لعباوين وقد أن يتقد إلى ما وراء لقشور وهذه بعض اشواهد التي تقرب
أسباب النظر إلى حقيقة هذا الاختلاف.

مر عمر في سوق المدينة فرأى إياس بن سلمة معترضاً في طريق صيق
فحلقه بالدرة وقال له «أعط عن الطريق يا بن سمة»^(١).

ثم دار الحول^(٢) ولقنه في السوق فسأله «رب حج هذا لعام؟ قال نعم»
أعبر المؤمنين، فلحد يده حتى دخل لبيت وأعطاه ستمائة درهم وقال له، يا بن
سلمة ستعن بهذه، وعم أنها الخفة التي حققتك بها، عم أولاً قال إياس
يا أمير المؤمنين ما تكرتها حتى ذكرتها فأنجابه عمر أن والله ما سيتها

فانظم العصرية تحصر في وضع هذه الحادثة في باب من أبواب المروية
حسب الوظائف والأوامر والمراجعات.

ولكن ماذا يصنع جدي البرور في عصرياً إذا شاء أن يميظ عن طريق
ويفص الرحام؟ وما تصنع المحاكم في تعريض من أصابه الصرب بغير
ضرورة؟

إن جدي البرور لتصرب بالدرة وبما هو أقسى منها، وإن المحاكم لتعوص
المصروب شيء من مال الدولة عن خطأ الحد والموظفين وعمر قد عوص
لرحل من ماله كما يؤخذ من قول ابن سلمة أنه ذهب به إلى بيته، فإن لم
يكن هذا المبلغ من مال عمر وكان من حراثة الدولة فقد عوم عمر كل دين
عنيه قتل موته، ولم يفرق أدبياً إلا على صغار وثيق أن يعاد كل درهم من
دينه إلى ذويه، وقد يكون الخطأ يومئذ في الحساب لا في تصرف عمر من
الخطاب

(١) أحمد عن طريق فتح وفتح

(٢) دار العيون، انقضى عمر

ورأى عمر امرأة في رى استغربه فسأل عنها فقيل له إنها الأمة فلانة فصربها بالدرة ضربات وهو يقول لها يا لكاء أنتسهن بالحرائر^(١)

وهذا مجال وسع للحدالة العصرية في الكلام على «الحرية الشخصية» وعلى حق من يشاء أن يلبس ما يشاء ويسير حيث يشاء.

ولكن ماذا تصنع الحضرة العصرية بالنساء مريدات اللاتي يتكررن سرباء حرائر ويأوين إلى الببوت هي أحيثهن بحرجن معهن بي مصريق^(٢) ويمادا يحصلن شئ النساء لمريجات من شأن الإماء هي رمي كز فيه متهمت الأعرص^(٣) ورأى عمر رجلا يتبختر ويمشى مشية فسحة لا يتيق بالرجال، فأمره أن يتركها فأبى ودعم أنه لا يطيق تركها فحده وعد بعد حده إلى التبحر فحده مره أخرى، ثم مضت أبى وجاءه الرجل وقد نزل تلك المشية القسحة ودعا له حذاك الله حيراً يا أمير المؤمنين، إن كان لا شيطاناً^(٤) أدهبه الله بك.

الحرية الشخصية مرة أخرى

عبر أن عمر في عقوبته هذه إنما كان يعاقب على أمر نهى عنه القرآن وليس له أن يبيحه بحال، فهو قانون يعرفه من أوقع العقاب ومن وقع عليه ومن شهدوه وأقروه، وكلهم يأبى أن يمشى في لأرض مريحاً ويعدها من قنائح لأداب

ولكننا في العصر الحديث نقسم لوهي ولأوامر إلى قسم بحاسب عليه القانون وقسم بحاسب عليه العرف المأثور وعقاب اعرف حق الأمة وليس بحق لحكومة والقضاء.

وحجة لعصر الحديث أن العقاب القسوي هو غير منصوص عليه وليس النص عليه بمستطاع، وربما متع الذب للأغراض ولأهواء واستعداد لحاكمين إداة استطيع

وعند أن حجة العصر الحديث في هذا بقصة لاشك في صدقها، ولكنها إن نهضت فأبى تنهض على العصر الحديث ولا تنهض على عمر ولا على من وثقوا بعده وأسبوه زمام لعرف والقضاء على السواء.. مماذا لو استنصع العرف في عصرنا أن يحاسب الناس بالحسن والجلد والكرامة على رد ثل

(١) الحرائر: الأمة ضد البعير إماء، والحرائر جمع حريرة، والكاء: بكاء.

(٢) مصريق: أي: بكاء، لا شيطاناً.

سواء وقد منح الآداب دون ر يحصى، و«مصور» نأبى الإصلاح وهو آمن عقده
 إن آباءه فليس صوته هي إبانة نأكر من صواب عمر هي تقريره وليس على عمر
 ولا على رعيته جناح ر يطشوا إلى عمر عصب ان يطمئن إلى مثله،

وقد تقدم ر عمر عصب على لخطبة بهجاءه لباس ونهاده ر يهجو حد
 فصرع إليه انزحل وهال، بن اموت وبموت عباي من الجوع، قدسره ليقصع لسانه
 ثم عطف عليه فساومه على ترك بهجاء بثلاثه آلاف درهم، فسلم الدس من
 لسانه واستعنى عن هذه لصداقه ما عاشر عمر ثم عاد إليها بعد موته

إن أمين الحساب في حراس الدول يحدثه يحار هي أي باب من أبواب
 لمصروفات يصنع هذه الدراهم التي تشتري بها هذه الحطبة ولكنه لا يحار
 طويلاً حتى يكر باب الدعوة وب صفقه الدول من الملايين ثمناً للثأ والهب
 فبصعها هذك وهو أهدأ صميراً معاً وضع هي ليدب كله لأنه مال تنفع به
 أربعه وتنفع به الأحلاق، ولا يقع فيه لدوات يحكمين

ولنضرب أمثلة من طرز حر على الطريقه لعمريه التي يستعربها
 لفصويون وهم محطون في استعرايها أو فبرون على سطر إلهاب كم
 يضرون إلى مالوفت لو اطلعوا عقولهم من عقاب بصيع و لآنكول وبفدوا من
 ورائها إلى الجواهر و لاصول

كان عمر بن الخطاب في أمية فسمع صوت رحر و مرأه في بيت، ففسر لحدث
 فاد رحر وامرأة عدهما رقي حصر^(١)، فقال يا عدو الله آكت نرى أن الله
 يسترك وأنت على معصية؟ فقال ان رحر يا امير المؤمنين، أنت عصيب الله هي
 واحدة واب في ثلاث، فله يقول «ولا تحسبوا» وأب تحسبت عينا والله
 يقول ﴿وَأَتُوا نَبِيَّوتَ مِنْ أَوَّاهٍ﴾.

وأب صعدت من احدر وبرت منه، والله يقول ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ غَيْرِ
 بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْأَلُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾

وأنت لم تفعل ذلك، فقال عمر هل عدل من حير ر عروب عنت؟ قال نعم
 والله لا أعود فقال اذهب فقد صفوت عندك

(١) اريق المسند... إلخ.

ما أسرع ما تقول أصدقه لعصربه وهي مستريحة لئلا هذه بدوت^١ أساسه في حكمها بحسن ثم محاكمه جديده، ثم يروي عن عقبة وهي «صريفه» يعرضها لأجرات رسمية^٢ سي نحن عيها خريصون وبها حد فخورين^٣ لكن ما القور في مصدقة هذه الطريقة كل اصدقه لما يجري عيه النظام الحديث في إجراءاته الرسمية بغير امتناء^٤

هالديناير الحرة تمنع الرقابة وفصل لرسائره وسببها لاسرور والحكومات مع هذا لمع بدسبوري تصطر إلى استطلاع لأحوال وثقاء الجرائم بمراقبه لهم من وبوى الشبهات فإذا تفق هي حادث من الحوادث انهم استباحث سر^٥ بدل على حريضة محظورة فعلموا يكون من سير الإجراءات الرسمية يكون ما كان من عمر في احداث لدى رويته معمر احتلاف فالقصاء لا ياحد دليل يمنع الدسبور، ولا شئت عنده اجريمة لا بدليل مشروع والحكومة تصطر هنا إلى اسكرت ومبذعة لحاة حتى يسفر عن يسه يجوز لها ان يعتمد عيه أمام القضاة وهي فيم يصنع من هذا القبل عحر من عمر عبت صنع لانه جعل الاستطلاع سبلا إلى بطة ولتوبة وسنعي عن لاجراءات الرسمية سي نحن عيها خريصون وبها حد فخورين^٦

ويعتبر من حادث بطول فيه لالسة لعصربه أبعد مما طبت في شئى احوالت إلى قمدما ويعنى به كذبه سي خاطبه ليس يوم قبل له به مسك عن القيصر فقد رعم انورخون ان اهل مصر ذهبو إلى عمرو بن سعد في شهر يؤونه فأخبروه أن الليل عندهم منه قديمة لا يحرق إلا نهب، وهي «أنهم» دا كانت ليلة ثلاث عشره من هذا الشهر، عمدو إلى حارية سكر بين أنويهم فحملوا عيها من الحلى والثياب أفصل ما يكون، ثم تقو بها في سبيهم فلم يحسم عمرو إلى ما سألوه وقال لهم هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان فيه، فاقاموا يؤونه وسبب ومصري لا يحرق فيها الليل قليلاً ولا كثيراً، ثم رفع عمرو الحو إلى عمر فاستصوب منه صنع وكتب له إلى بعث إليك بورعه مع كسبي هذا مألقيها في الليل وهي الورقة كتب بخطبه به الليل بقول فيه «عن عبد الله عمر إلى نرس مصر أما بعد فإن كنت تحرق من قبلك فلا تحرقون كتب تحرق من قبل الله فسأل الله ان يحرق»

(١) البوابة جمع يدعة وهي ترى الذي سمع

وقال رواية هذه القصة بن عمر النقي بالورقة في ليل قبل يوم اصابته بشهر
وقد نهى اهل مصر للحلاء واخراج مناصحو يوم الصيب وقد احرأه اظه سعة
عشر دراعاً^(١) واسراحوا من صحابه في رب العام وهم بعد من الأعموم
والروية على علاتها قائمه للثب في غير موضع عند مصافه على العريخ
وقد يكون الوهم منها - إن وقعت - دور ما روه ابرواه بكثير ولكن على هذا
صحيحة بحافيرها، فما هي العضاضة فيها على العلم الحديث، ولا نقول على
لعقل «السوي» قبل نيغ ولف سعة؟

بن عمر لم يحد أهي مصر معلولين من قبض بهم على لفظاظر واسرود وهيون
لهندسة فبني عليهم أن يعوبوا عليها، لكنه وجدهم معلولين على خرفة يعافها البعض
والشعور بتكره وحق له أن ينكره ولم يقر لهم بن ورفته للقاء في سين هي إلى
تحرره، من قبل لهم بن ليل ليحرق بغير تلك سعة لى استوف له ويغير القربان
لدى بتقربونه إليه وليس في هذه بقصة كلها عما يستغرب من حاكم عصرى مومن
ياسه مكر للخرافات عورقة عمر أقرب إلى بعمر في مات هذا من الكنوس والقوارير
الى تكسر في الأنهار عند فتح قناطره وحسورها، وقرب بن لعقل من البحور
لدى يحترق في السع^(٢) وابهاكل حلقاً له مصر و ستعة بالسعاء

وبن لا يعرض لهذه، الأشبات من طرفه عمر في حكومته لأنها هدت تلحي
المعجب به بن دفع وتسويغ وليس في كل هذه الأشبات وأشافها ما سجي
عمر ولا المعجيز به إلى دفاع أو تسويغ.

ونما عرضا لها توسعة لأفق النظر إلى العظمة الإنسانية في مختلف
أزمانها، واستحفاف بالعرف التي تحقها لعادة العرضة لعبادها، ثم هي لا
ستحق من هوانها أن نحسر من اجل شعور بعظمة الإنسان وأنها لأنفس
ف نصونه ونعتز به في جميع الأزمان.

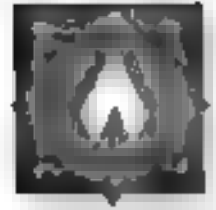
عدل عمر بخسره لأنه كان يقضى فيه بغير «ستمرة» مدموعة ينحس عليها
قانون المرافعات أو لأنه كان يقضى فيه على غير «الإحار»ات العصرية، هي
موجهة الحقوق لشخصه أو لأنه كان يقضى فيه قصاء يختلف الفقهاء في
عونه وهي ارف لدى بضعونه عليه من رهف لأصديرا

يا لها من حماقة تحلل العصر الحديث بحبه وهو واقع من لعصور
بتصول عليها بتسحيق لجمادات وخص الحرف.

(٢) السبع الكندي.

(١) بر ع القياس ثوبت كثيراً وتذكر قبله.

عمر والنبي



يندرُ أن يصفر لبحثٍ في طائِع الإمامين معنم بنفسى هو أوفر ثمرة
ونفس محصوِلاً من دراسة عمر بن الخطاب، لأن لظواهر المختلفة التى
تجلى فى هذه النفس العظيمة ليست من طوهر كل يوم ولا ظواهر كل دراسة،
ولأن اتفاقها البسيط مع تركيبها العجيب مما يتعذر حدّاً فى التمهوس لتى
بعدها، وما يبعد حدّاً حتى فى تهوُّس الأقداد من العظماء.

بيد أن المعنم الأكبر فى هذه الدراسة إيم هو معنم علم 'الأخلاق' لأن علم
الأخلاق أخرج إلى الاستقلال بالظواهر لطبيعية، وأفر إلى الأسناء والدعائم
التى نفيمها أمثل هذه الدراسات.

فكل نفس - عظمت أو صغرت - دراستها معنم لعلم النفس لاشت فيه،
كأنه ما كانت النتيجة التى يتأدى إليها من بحث خفياف وتنظيم شواهدا.
لكن الوصول إلى نتائج علم الأخلاق هو اصعب الحديد الذى لى برال لنوم
وبعد اليوم صعباً وجديداً إلى آمد يعيد.

فالقروض أن نتائج علم الأخلاق «فكرية تكليفية» يستبيلها الفكر الذى
يختلف فى صوابه كما يختلف فى خطئه، ويميلها التكليف الذى بطاع ولا يطاع،
ويراص عنه الإنسان وباصته على الأمر العريب «الأجنى» عن نوزع المطاع
فإذا اهتديت إلى نفس نعر تلك النتائج الفكرية التكليفية التى هى أقرب إلى
لأمل المشوذة منها إلى الوقائع لموجوده، فقد طقرا بمعنم كبير
وإذا ظفرت بحقيقة نفسية هى فى الوقت نفسه حقيقة فكرية وحقيقة خلقية،
فذلك هو المعنم المصاعف الذى قلما يتال.

ونفس عمر بن الخطاب هى تلك النفس التى ندعم علم الأخلاق من الأسس،
وهى تلك الصرح الشامخ لى ينظر إلى أسسه فكثب يسلف النظر إلى سوته
لعيب، لأنه قرب بين الآمال والقواعد وجر تقريب، إذ هو التقريب الملموس.

مال كثيرة من امر محيٍ احير واعدة لإصلاح هي في نفس عمر بن الخطاب وقدنح مفروغ منها كنيه وقدنح لمراثا وسموعات.

فمنها هيف أسلفه ان لقوة لا تدفع العدل في طبيعه لاسان بل يكون العدل هو القوة التي تخيف عيخافها الظالمون.

ومنها هيفما نحن بصدده لأن أن لقوة لا تنافض الإعجاب على خلاف ما يتبادر إلى الأكثرين.

فان لاكثيرين يحسبون أن الرحمن الذي يعبد به ناس لا يعجب هو بأحد وأن البطل الذي يقدسه عشاق البطولة لا يعشق البطولة في عمره وأن التطلع إلى الأعلى صفة يصنع عنها الصغير لم تفعلوا بعض، لا ارتفاع وبحسنو خضمة ولغون للكدر ولكنها صفة تنم منها الكبير وبحسن فيها العضاضة أن يصغر إلى جانب المتفوقين عليه، ممن هم أكبر هراً وأحق بالاعجاب

لكن سطر سبي ندرسه هذه الدراسة سفس ذلك الحسبان أقوى بقص مستمع، لأنه بطل يروع، ويعرف روعه بصوره ويستحق إعجاب عايه اسحقافه ثم يخيّل إلت من هرط ولأنه لمن يفوقه أنه حق للإعجاب بغيره، ولم يحق ليكون هو موضع إعجاب.

فعمر كان يحب محمدا حب إعجاب، ويومن به بيمان إعجاب، ويستصغر نفسه إذ ينظر إلى عصمه محمد، وما هو فيما خلا من بصغير في نظر نفسه ولا في نظر الناس.

كان محمد عليه السلام كف معلم هذوة في أدعه وحسن لمعامله لجمع صحبه وبانعه وكان لمعاملهم حصعاً معاملة الإخوان والرملاء فلا بعمرهم برهبة التقاوت لشاسع واستفوق لسعيد هو حار أن سسي أحد هذرف بيده وبين عضيم لسي أصحاب النى هذا الفرق لما يفوقه من مساواته وحسن معاملته ولو نسب إلى حين.

الا أن عمر «العظيم» سمع مرة من صديقه محمد عليه السلام كلمة «يا حي» فصل يذكرها مدى الحياة.

اسئلته في العمره هس به وقال «يا حي لا تنسا من دعائك» فمزال عمر يقول بعدد كلما ركف «ما أحب أن يي بها ما طعت عليه لشعس، لقوة يا حي»

شهادة لعظمة محمد أن يؤخى الناس كباراً وصغاراً وأن الناس كباراً وصغاراً لا يتسبون ما فى مؤاحشة من عجز وعبطه وما بينهم وبينه من فارق بعد وشهادة لعظمة عمر أنه أهر لذك الإخاء، لأنه بدرت ما فيه من عظمة ويشعر بما فيه من رضوان.

وما يدريك ما عمر الذى يشيع فى قلبه الفرح بهذا الإخاء؟

ليس بالرجل الذى يحب تواضع امرأتين وليس بالرحس الذى بجهل مقدره وبهاب مخلوق معين لحق، ويعير الإعجاب

عمر هذا هو الذى تولى الخلافة وحثه لأولى فى ولايتها أنه أكهأ المسعين بها عمر مدافع، وأنه كما قل، «لو علمت أن أحد أهوى منى على هذا الأمر لكن أن أقدم فتصرب عفى^(١) أحب إلى من أن أليه^(٢)»

نعم، هو عمر اقدر لمسمين كما يعلم وهو عمر لادى يستصغر نفسه إذا نظر إلى مثل الأعلى والقذوة الفصلى، وهو من أكثر ما يكنى بهذا الاستصغار.

بعد كن يسمع وهو خابقة بقول كساحروم هو ساحر «بخ بخ^(٣)» يهين لخصه، أصبحت أمير المؤمنين^(٤)

أكرن بقولها لأنه كن يحول أنه أكهأ العرب الخلافة بعد صحبيه كلاء، من كان يهونها لأنه يعرف النظر إلى مثل الأعلى يعرف الإعجاب بما فوقه يعرف محمداً ويعرف أن الحاق به أمل لا يصل، يعرف الإعجاب بطلاً معجياً بطل، ويشاء فضله أن تحصي له هذه بين أصدق شواهد النبوة فيه

ومن اخضا أن يتوهم المنوهم أن عمر كن يتصغر لأنه يشعر بصعوره، وينصع لأنه يشعر بصعده فيه

من يصغر لا حاجة به إلى صاعر لأنه صغير وربما كانت حاجته لكبرى إلى مداره شعوره لدحيل بنعيم الروى، ويرويق الصلاء، وسحاب يسكن ويكسء،

ربما كان عمر يتصاغرواً لأنه يشعر بعظمته ويكبح ما بخامره من اعتداد بنفسه ومحر أن تمتلئ نفس بمثل هذه القوة ثم تحو من شعور بهوتها واعتداد بقيمتها فليس ذلك من معهود الصاع فى حى من لأحياء ولا تقصر لهوى عى لإسار

(١) عفى، يدكر ويوشء (٢) أليه، تضارع من ولى لأمر فهو سبه وأهأ انه

(٣) بخ، كلمة تقال عند البرضة بالشيء (٤) أمير المؤمنين

ولهذا كن عمر يتصاعر على قدر ما يبره من بواعث الكبرياء لا على قدر ما يراه من بواعث الصغرة، فأنى ش يركب، لرموز^(١) وهو يغالب عزة الافتخار داخلًا إلى الشام دخول المنتصر، وقير به فى ذلك قصصهم نحو سبيل حمى، ثم الأمر من ها هنا، وأشار إلى السعد:

وكما عثر من حوله من حاصلة أهله وحلصاء رعاياه بما يرويه فيه من بسطة سلطان وعلو الكلمة عمن من اعترهم وأحضر فى أدهمهم ما يسيهم السلطان المنسوط والكعة لعالة، فقال لأصحابه يوماً وقد مر ببعض الشعب^(٢) على مقربة من مكة «لقد رأيتنى فى هذه لشعاب أرعى إبل لخطاب، وكان غيظاً ينعبى، ثم أصبح وليس فوقى أحد».

وضيفت هذه الكلمة أنه فقل له «ما حمى على ما كنت يا أمير المؤمنين» قال: «إن أياك أعجبت نفسه فأحب أن يصعبها»^(٣).

وانظر هنا إلى كلمة «أمير المؤمنين» بقولها الآن، ثم نظر إلى كلمة «أذاك» بقولها أمير المؤمنين.

ومن قبيل هذا ركوعه له ذليلاً حاشع يوم أمر أب سفيان أن ينقل الحجر من مكان فقه، فخشم لله الذى جعله بأمرنا سفيان فى شعاب مكة فيستمع لما أمر

وليس هذا وأشباهه مصعراً يكشف الصغر، إنما هو تصغر يكشف القوة والاعتداد بها ويكبحها بعد متين هو نفسه دليل القوة والاعتداد.

بل يشاء بأس هذا المص أن تتمدى فيه الصفات إلى غيبتها وهى متناقضة فى نظرة الأولى، فهذا بهذا التمدى يردف إلى الوفاق والتكافؤ ولا يوسع ما بينها من ظواهر الاختلاف

فهم رأيه أنه عدل يعوق العيول، وقوى يفرق الأقوياء، فإن العدل والقوة منه وفقد متساوئان لا يختصمان ولا يتناقضان

ومم رأياه أنه يهل تعجب بطولته الأصحاء والحصوم، ثم هو فى إعجابه بالبطولة كنهه حق من لى على إعجاب،

(١) الرموز صوب من النوب يحالف الحبل الحراب عظيم البصيرة غلب الأعضاء.

(٢) الشعب جمع شعب «كسر الشين» وهو نفر ح بين الحينين أو هو لطريق

(٣) أن يضربها أن يقلل من شأنها

وبقى من موافقاته السدرة أن الإعجاب عبده لا ينقض الاستقلال، ولا يهدد «الشخصية» بانهاء والروال، فيعجب بمن يقووه عادة الإعجاب ويحتفظ معه باستقلال رأيه غاية الاحتياط، ولا ينقص الأمر.

فلم يكن أحد يعجب بمحمد أكثر من إعجاب عمر.

ولم يكن أحد مستقلاً برأيه في مشورة محمد أكثر من استقلال عمر، فهو أنة أثبات على أن فضيلة الإعجاب لا تعص من صراحة إلى أي عهد رأى الصريح، فما أحجم عمر قط عن مصارحة النبي عليه السلام برأى يره، ولو كان ذلك الرأي من أخص الخصائص التي تقف عندها الاستقلال.

فمحمد في بيته وهو صاحبه، ومحمد في شريعته وهو صاحبها كان يسمع إلى عمر حين يفرح وحين يسهر. لأحكام وحين يستدعى الوحي في أمر من الأمور.

فكان يشير على النبي عليه السلام أن يحجب مسدءه ويبيع ذلك إحدى أمهات المسلمين زينب فقوى له بك علياً بين الخطاب والوحي يدل عليه في بيوتنا وتخرج إحدى = سورة = وهي نصيب واحد لا يعرفها لاستقرارها بصلاص فنعرفها بطول قاصها وبنائها «عرمتك سورة» ليؤكد ضرورة الحجاب، فيؤمر المسلمون بعد ذلك ألا يسألوهن إلا من وراء حجاب.

ولما هم النبي عليه السلام بالصلاة على عبد الله بن أبي كبير استدفين يوم وفاته تحول عمر حتى قام في صدره، وأخذ يذكره مسدوى عبد الله وأفاويله في نكامة بالإسلام، وحكم القرن فيه وفي أمثله أن «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم»

وألح في استدكيو حتى أكثر على لى عبد السلام وهو يستسم ويقوى له «حر عنى يا عمر، لو أعلم سى ب روت على السبعين عفر له رب» ثم صدى عليه ومثنى معه حتى فرغ من دفنه، ثم ما كان إلا يسيراً كذا قال عمر حتى مرلت هاتان لابتان «ولا تفضل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره».

وروى أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه أئعه إلى رهط المسلمين فقال له ادعهم إليهم «فمن لقيب من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً

بها قلبه فبشره بالحبه» فكر ول من بقي عمره قصده وعاد به إلى النبي
سأله «يا رسول الله نبي أنت ومي أنعب انا هريره من لقي بشهد أن لا إله
إلا لله مستبقاً بها قلبه بشره بالحبه» قال لبي، «نعم» فلم يترث عمر ر
قد «فلا تعري رسول الله فربي حشي أن تنكل لباس عنها، فحبهم
بعمول» فوافقه عليه السلام وقى «فحلهم».

وفي لتشريع أو تحصيل و لتحريم كس عمر لا يقتنع حتى يصل إلى الفور
الفصل في استفسار عنه ويرد في حكمه، فمرو سأل عن الحمر حتى
حرم وبصر فيها لحلاف وهو هو لبي كانت لحمر شهوة له هي بجاهية
يحبها ويكثر منها، ولو شاء لالتصم الرحصه هي، ولم يكثر من السؤال عن
حريمها، ففي سؤاله عنها وحده من فصل كبر من فصل الاستقلال بالرأي
والإخلاص في المرحعة، وهو فصل لعنة على النفس و انحصار من العونة
بالأمر الذي لا هوادة فيه.

وحرى صلاح الحديث الذي كس طاهر لعين منه على لسمصر، وظهر لفور
منه للمشركين، فيستطيع هاري التاريخ قدر أن يحصى أسماء المعارضين
للصبح والصابرين عليه أن يعلم أين كان عمر بن الفريفي، فقد عمه هـ
الصلاح عما شديد وذهب إلى أبي بكر يرحعه ويسحبه علام بعض الدنيا هي
ديننا فأحبه أبو بكر ب عمر، لوم عررك أي رحنا أهري أشهد أنه رسول
الله وردد عمر أنه لبشهد أنه رسول الله ثم ذهب في بعض الروايات إليه عليه
لسلام فسأله: «لسنا يا رسول الله عى بحق وهم عى لياطل؟ أليس قتلان هي
لحبة وقلاهم في النار؟» ورسول الله بحبه إلى لبي فيعود فسأل علام
يعطى لدية هي دست ويرجع ولما يحكم له يسا ويبيهم؟

فلما ناداه «اس الخطاب» إني رسول الله» ولن مصصى الله أداً»، ثم علم
به العتج المختصر، ثاب إلى الرصد وكف عن السؤال.

و لحبة على ما هي عليه أعظم مما يصيقه صبر عمر وسكن إليه سورة^(١)
صنعه فمن شروط الصبح أن يرجع اسلمون عامهم داب فيردوا من جاءهم من

(١) الزحراء كل شيء يعد للرحيل من متاع وهو كيب... ربح
(٢) سورة النعص، وثوبه وسورة السطون بمطوذة وعندوه

قريش ولا تود إليهم قريش أحداً من بحيثون إيهـ وأن يكتب النبي اسمه في عقد الصلح فلا يكتب فيه أنه رسول الله، وهذه محنة وردت على حمية^(١) عمر بن الخطاب الجليل الذي ليس أقسى منه ولا أمر على هذه بحمية العروف، ولكن الصبح لم ينته حتى تعاقمت لمحنة وادلهمت الغاشية كأن ما بسلاطتها لا يكفيه، فحينئذ هم يكتبون إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في الحديب قد انصب إلى رسول الله فقام إليه سهيل^(٢) وكان وكيل المشركين في عقد الصلح فصرى وجهه وأحد بتلاتسه ليدهم به إلى قريش، وأبو جندل يصيح يا معشر المسلمين، أريد إلى المشركين بعثتوني في ديني، هو سده النبي ودعه إلى الصبر والاحتساب^(٣)، وثب عمر إليه يعشى إلى جنبه ويدى منه قائم لسيف ويقول له اصبر يا أبا جندل فإنما هم لمشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب. ورجح - كما قل بعد ذلك - أن يأخذ أبو جندل سيفه فيضرب به يده، قال: ولكن الرجل ضمن بأبيه وبعدت الغضبية.

فالمحنة أعظم مما تطيقه الحمية لعمرية بغير وارع من هداية مبرية ولأياً ما^(٤) سكنت نفسه واطمأنت إلى حكمة سيده ومعلمه وهاديه ولا سبم حين ناداه بن الخطاب: إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً.

هذه المراجعة كانت من حلائق عمر التي لا يجيد عنها ولا يأتها نبي عليه السلام، وكثيراً ما جاراها واستحب ما أشار به وعرض فيه فلا حرم تراجع لنبي في كل عمر أو رأى لم يفهم ما أمه ومرماه ما أمكنه امراجعة، وما قلقت خواطره حتى تنوب إلى قرار.

الهم ألا أن تستعصى المراجعة ويعظم الخطر، فهناك تأتي الضيفة لعمرية بية الآيات من الاستقلال والحب والحزم الذي يضطلع بجلال المهام فلم يخز النبي عليه السلام في غمرة الموت وبعد بطرس^(٥) يمى على المسلمين كتاب يستوشدون به بعده أشفق عمر من مرجعته فيما سيكتب وهو جد خطير، وقال إن النبي ﷺ عليه الوجع، وعنديا كتاب الله جسيب^(٦) ومن لنبي إلى

(١) حمية الأنفة والمراد أنها مزلة على أنفه عمر وكبريائه ثرولاً عظيماً، {٢} سهيل هو أبوه

(٣) الاحتساب، الصبر واحسن الأجر عند الله على هذا، الصبر

(٤) لأياً ما اللأى لضفة واشفقته يقال فعل ذلك بعد لآى، ولأى عرفت الشيء، أو لأياً ما،

(٥) بطرس الضيفة (٦) جسيب مكعب

رأيه فلم يعد إلى طلب لطرس وإملاء الكتاب، ولو قد علم لبني أن الكتاب ضرورة لا محيص عنها لكان عمر يومئذ أول أمجيبين.

وكانت هذه سنتا في حياة النبي وبعد موته، في كل عمر لا يستريح إليه، فم يحكم عن مراجعة مره حيا وميت في مسألة ليست من مسائل الوحي الذي فيه فصل الخطاب، وبك كانت المسألة مسألة رأي فهو باهض لها برأيه حتى يؤمن بخطئه أو يورده عن لمعاصرة أمر مطاع.

كذلك صنع في قيادة أسامة بن زيد قائد الجيش إلى اللقاء، وفيه حلة بصحابة من كبر أسس والمقام، فقد ولاه النبي القيادة ومات عليه لسلام وهو في الطريق، فقال أسامة لعمر «ارجع إني خليفة رسول الله ﷺ فأسأله مأذن إلى أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس^(١)، ولا آمن على خليفه رسول الله وثقل^(٢) رسول الله وثقل المسلمين أن يحفظهم لمشركوهم»، وقالت الأنصار «فمن نبي إلا أن يمضي فأنلعه غنا واطب إليه أن يولي أمرا رجلاً أقدم سنًا من أسامة^(٣)».

وعضب أبو بكر وكان حسب قوثب وأحد سحابة عمر وهو يهتف به ثكلك أمك وعمدتك باین احصب يستعنه رسول الله وبأمرى أن نزع^(٤)

فوجب لطاعة لأنه أبرأ دمه بالمراجعة، وسمع أمر الرئيس الذي لا رجعة فيه، وعمر حنّدي متى صرح^(٥) له الأمر من صاحب الأمر لم يبق له إلا أن يطع

وخضعت سنة النبي بوفاته فلم يكن بين الصحابة أحد أحرص على هذه سنة ولزم لها وأكثر رجوعاً إليهم من عمر ولم تكن له وصية مقدمة على لأخذ بكتاب الله وسنة رسوله، إلا أنه مع هذا لم يكن يفعل عن لعل إحد وجب البحث عن العلة التي وراء سنة التولية، فبخلاف أبا بكر رضي الله عنه في قطاعه الأرض لعيشة من حصره ولاقرغ بن حابس وقال لهم «إن رسول الله كان يتألفكم^(٦) على الإسلام وهو يومئذ دليله وإن الله قد أمر بإسلام هذاه فاجهد جهديكم»

هقد علم سنة النبي مع «المزلة قلوبهم» ولم يغفر عن سببها وموقفها، فهي سنة تصاع لحكمتها ولا موضع في غير موضعها، وأبس على المسلمين حرج أن

(١) وجوه الناس تكاثرهم.

(٢) «ثقل» الحشم والمنازع.

(٣) صرح الأمر وضح.

(٤) «نزعكم» يجمعكم يستميل قلوبكم.

يحذروا العواطف قويهم سامية غير التي ،يقول من صاحب الرسالة، إذا تعبرت
 لحكمه واحتفت العفة، واسمعي لإسلام عن باصريين تتالفهم العطاء ولا يقل^{١١}
 وبثل هذا السبب ولاشك بهي عن رواج لمبعة، وبهي عن لبحار من بعض
 ماسك الحج ولم يكن مهياً عنهم كل النهي في حياة النبي عليه السلام، فكان
 الرجس بتزوج المرأة لأجل معلوم ثم سرّ ، وكن منهم من ينوي الحج ثم
 يتحلل من بعض ماسكه، فمنهي عمر بن أبيم خلاصه وقيل، «منعان كنتا على
 عهد رسول الله ﷺ أنا أنهي عنهم وأصرب عليهما».

وموفقات عمر لقرآن ولسنة كثرة لا مدعون المقام هنا إلى حصائها
 واستيفائها، وكذلك مرجعات ومناقشتها فيف يرد عنه من أحكام لا تنطلي
 مستيها ومرميها، فحسبنا منها دلائل استقلاله وصراحة عقله فيف سرورناه
 وحسب الإسلام فخراً أن يؤمن به الإنسان إيمان عمر ثم يستقل برأيه وطبعه
 استقلال عمر، فالإيمان هي أمصه لا يعطل الرأي المستقل في قصاه، وكل
 صفة في عمر فهي صفة مستقصية لا وسط فيها إذا من قدك عاية لإيمان
 وبدا استقلاله ذلك عاية الاستقلال، وبدا أعجب قلب عاية لإعجاب، وإن الصغر
 لذي يظهره عم الأخلاق من درسته لمعته هذا الشاهد من الصفات التي
 يتقص هي ظاهرها وهي على عهدنا بهي هي عمر منصفات مستندت لا
 نستعني واحدة منها عن سائرنا.

من لم يكن في دراسة عمر لا ان يرى وحلاً عادلاً بلغاً هي عدله، قوياً بالغا
 هي هوته، معجباً بالبطولة بالغا في إعجابه، مستقلاً بالرأي بالغاً في استقلاله
 كفي بذلك ضميراً يعلم لأخلاق وكفي سيرة واحدة أن تقرر لنا هذه الحقائق
 التي نستكثر على عشرات السير، وهي أن يقوه لا نقص العدل، وأن البطولة
 لا نقص الإعجاب، وإن الإعجاب لا يقص الاستقلال، ونلك الحقائق أثبت هي
 عمر من معروف مدته وملاحح سنده.

وكانت مودة النبي لعمر كمودة عمر بنى شريف له من حاتميه، وشهادته
 لعضمه وعظمة معلمه ومؤدبه وهديه.

كانت بصره محمد إليه بطرد عالته لا تعيوف بصره أحد من اصحابه، عم يكن

(١) الانتقال: جميع من وفق السمع

أحد يكبر عمر كما كان يكبر عرقه، ولم يكن رضاه عن مخالفاته ومراجعانه بأقل من رضاه عن موافقاته وتبسيماته^(١) لأنه كان يطر إلى بواعث هذه وتلك فيحمد ما ويرجو للإسلام خير منها، بل يدحر للإسلام سورته^(٢) كما يدحر له تسليمه وصاعته، ويسوي في رفق وكرمه سيئته لمعم لتبجده الذي يهينه ويستعين بغيره، ويروصه ويأصه لإسم لمريده الذي يهينه للإصامة بعد حين، ويشجعه بقبول احسن من رأيه تشجيع من يثب فيه حسن الرأي ويستريده منه، ولا يتدنى ان ينظر لبس المهم إلى عمر بون أن يرى فيه أولى مشبهاته لنطائع لنوية^(٣) وهي الإلهام الدسي والبصيرة الروحانية، فكأن عليه السلام يقول فيه «قد كان قبلكم من بني إسرائيل رجل يكلمون من غير أن يكونوا نبيا» فإن يكن في أمي أحد فعمر».

ومثله قوله في بعض ما نقر عنه عليه السلام «لو كان بعدى نبي لكن عمر ابن الخطاب» وقوله «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»... وقوله «عمر ابن الخطاب معي حيث أحب، وأنا معه حيث يحب، والحق بعدى مع عمر بن الخطاب حيث كان».

وتلك لمحات نبي ملهم إلى بصيرة ملهمة تقارب بصيرة الأنبياء. وإن في هذه اللمحات لمعرفة بالنفس ونفاداً إلى الضمير، من أجلها كان محمد مصلح نفوس وهدى ضمائر، وفتح عهد روي في تاريخ لإنسان.

ومن تحصيل الحاصل أن يقول إن محمداً قد أحاط بكل فضيلة من فضائل عمر، وكل خليفة من حلائق طباعه، وراقبه قبل إسلامه وبعد إسلامه فلم يغه كبيرة ولا صغيرة من مواطن العظمة فيه، إلا أنه لم يحمده منه شيئاً كما حمد حبه للحق وكراهته للباطل، فهي لخصلة التي تلاقنا فيها وتقاربا من قسبه، وإن كان محمد لأرحب صدراً وأعلم بالناس من أن يكلف صاحبه أن يشبهه كل الشبه في علاج الحق والباطل، فإلا من فارق بين لوططين هو لفارق الذي لا بد منه بين المعلم والمرشد وبين الإمام والمأموم.

ولا نخالنا نلمس هذا الفارق كما نلمسه من قصة الأسود بن شريح، ذلك لشاعر الذي كان يشهد النبي بعض الأيام ما سئمت منه^(٤) مرتين إذ دخل

(١) سورته، سورة العنكبوت وثوبه، وسورة السلطان سطوته (٢) سئمته طلب منه أسكرو ولاصان.

عليهم عمر والشاعر لا يعرفه فصاح و تكلاه^(١) من هذا لذي تسكت له عند
لننى؟ فقل سبى «هذ عمر. هذ رجل لا يحب الباطل».

ولت قصة تكبر عمر مرة وتكر السى مرات، فلا يسمعها السامع فيخطر به
أن محمداً كان يفعل لباطل الذى يثاء عمر أو كان يهوى بلغو الذى يعرض
عمر عن سماعه.. وربما يسمعها فيعلم أى الرجلين يهذى صاحبه فى مفاهج
لحق، ويدريه على كراهة الباطل، ويعلم أن الإمام يصيق ما لا يطيقه المرید،
ويتسع صدره لم تصبى به صبور تابعيه، وأن محمداً أراد أن يعود الناس
مهابة عمر، وأن يستبقى لعمر سورته فى محاربة لصلال، والأبام كهفية
مرويض تلك السورة فيما ينبغي أن تراض عليه.

وهنا ينجى مذهبان فى كراهة الباطل، ويتحى فارق واضح بين مذهب
المعلم ومذهب المرید.

فعمر كان ينكر الباطل ينكر المحارب، ويرفع له سلاحه حيثما رآه، ومحمد
كن ينكره ولا يرفع له سلاحه حيثما رآه. لأنه يعلم ضرورتاً من الباطل وضرواً
من الإنكار.

ومن الإنكار أحياناً أن يتجاوز عنه، وأن يشفق عليه إشفاق الرجز على
سحف الطفر الصغير، وأن يتريص به الأنام حيث يرول، وأن يعالجه سلاح
لمحارب ويغير سلاح لمحارب، وهو بذلك قد أعد له ضروراً من الإنكار، وكان
أكمل عدة له من الراصدين له فى ميدان واحد.

أقول إن الفارق بين محمد وعمر فى هذا هو الفارق بين نبى وخليفة^(٢)

إن قلد ذلك فقد قلدا حقاً جاسعاً لا شبهة فيه، ولكننا لا نعو به تحصل
لحاصر وتكرير الأسماء.. فمحمد نبى وعمر خليفة، ما فى ذلك خلاف ولابد
بيهما من فارق، ما فى ذلك خير جديد، فما هو، يفارق لدى بعو تكرير الأسماء
أو تكرير الصفات؟ لفارق فيما ترى هو لفارق بين سائر عظيم ورجز عظيم

فأسى لا يكون رجلاً عظيمًا وكفى، بل لابد أن يكون إنساناً عظيماً فيه كل
حصائص الإنسانية شاملة لتي نعم الرحولة والأنوثة ولأقوياء والضعف،
وتهينه لبعضهم عن كل جانب من جوانب بنى آدم، فيكون عارف بها وإن لم يكن

(١) لتكل. فقد الحب، وكلمة وتكلاه صيغة من صيغ لئيه يزار بها الناصر وأبد «لدهشة هذا

مصف بها قادراً على علاجه، وإن لم يكن معرضاً لأدوائها شاملاً لها بعصقه وإن كان يكره بفكره وروحه لأنه كبير من أن يلفه لاء الأبد^(١)، وأعرض من أن يلفه لقاء، بقضاة وخبر^(٢) بسعة افاق لبيد، سي تنسع لكل شيء بين الأرض والسفء، لأنه يملأ مثلها، افاقها كفافها هي افاق الروح.

ومن الصعائر الادمية التي كثيراً ما يصقها، الإنسان العظيم ويوم بها الرجب العظيم كل غرور صبيبي يحبك بفومس الدس، وهو ضرور ليست لها بهالة غرور الشاعر بأمديحه، وعرور الفذن بصنعتة، وعرور المرأة بحمالها، وعرور الشبح بثرته، وعرور الأحق بخيلته وعرور لحاهن بعلمه.. وفي كل ضرب من هذه لضرور كان بين محمد وعمر فرق واضح وتفاوت محسوس، وكانت بينهما دروس نحري بها الحوادث تعظيماً وهدى كم تجري عرصاً عمر ظهر فيه قصد التعليم والتلقين.

وعمر رضى أنه قد استغفر من دروس معلمه وهاديه هي هذه بضرور شئى الفوائد كما ظهر من سياسته في أيام خلافته ومن مرجعة نفسه واسبي عليه السلام بقيد الحاة.

فقد أشد على السبي بقتل عبد الله بن أبي، بن سلول حين مشى بافئنة بين المسلمين، فأبى النسي وبرل عبد الله بمضى في شططه حتى أنكره هومه وعصوه، وتصدى له من صلبه من يريد له الموت^(٣) فقال لنسي لعمر حين سعه رث من شأنهم كيف نرى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قنت لى اقلته لأرعدت له أنف ولو أمرتها اليوم بقلته لقلته، فقال عمر قد والله عمت، لآخر رسول لله ﷺ أعظم بركة من أمرى.

وكان عمر يستكثر صلاة سبي على عبد الله بن أبي بعد موته ويستعظم أن يهب به قميصه، وأن يكفه اهله في ذلك القمص وكان السبي يرمى في ذلك حق انه الذي أحصى في إسلامه وبلغ من خلاصه أنه اعرج على السبي بقتل أبيه، وبسئل انشئ كما جاء في بعض الروايات لم وجهت إليه بقميصك وهو كفر؟ فقال إن قميصي لن يعنى عنه مو الله شيئاً، وإسبي أوهل من به أن

(١) أخير أكثر خبره

(٢) لأنه قد جمع فدهو العظيو، لكهه.

(٣) كان من بدهن وهو سبي قال في عروا سبي، المصطفى من رعد السبي بسنة لاجرجى الأعرجي

الأول، قفضم الرسول والصحابه لقولته

يدخل في الإسلام كثير بهذا السب! فعيل إن ألقا من الخرج أسمعوا لما رأوا
رعبهم بطلب الاستشفاء بثوب الرسول، وخرحب لصحابه وعمر في طابعها
بصورة بامية من هذا الدرس النبوي الحكيم.

وشيبه بدرس عبد الله بن أبي درس الخطيب امقوه سهيل بن عمرو الذي
أسر في بدن فأشاور عمر على النبي بكسر ثننته اسفلين ليعجر عن الكلام إن
كان مشفوق الشفة السقي. هأبى النبي «عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه»،
فمار ل ومارال عمر حتى راه في حروب الردة بقطع ببسبه كما بقطع السيف،
فحمد له ذلك المقام.

وجاء الفتح بعد صلح الحديبية، فرأى عمر كما رأى ابعرضون معه أن
قريشاً حسرت ولم يربح بالصبح الذي عرصوه وأن المسلمين رحوا ولم
يحسرو بقبوله، وأنهم رادوا عددً وزدوا حلفاء من غير المسلمين، وإن الذين
رفضهم النبي من تابعيه عملاً بالصلح لم ينفعوا قريشاً بل كانوا بلاء عليها
أشد من بلاء القتل وبذ ذب مرصد لأمر لعمر فاعسر به وقل «مارات
أبصدق وأصوم وأصبي وأعشق من الذي صنعت يومئذ محافه كلامي بذي
تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً».

وتجتمع خلاصة هذه الدروس كلها في خبر واحد من أخبار عمر بعد ولأيه
الخلافة، وذلك حين سعه فتح «تستر» ويكرها له أن رجلاً أئد عن الإسلام
عقتوه، فلامهم على قتله وقل بهم «هلا دخلتموه بيتاً وأعقيم عه» طعنوه
كل يوم رغباً فاستبتموه^(١) اللهم إني لم أشهد ولم امر ولم أر من إذ بلعي»

هذه عمر تلمذ محمد في لإسلام وهذا عمر شهد دروس بن سلول ومن
على شبكته من المنافقين والمشركين وهذا عمر لمستفيد بما وعى من تلك
الدروس ومعنى ذلك جميعه أن محمداً أعظم من عمر، وليس معه أن عمر لم
يكن يعظيم

ومن محصيل الصبر أن نقول إن النبي عليه أسلام كان يعلم ما يجب ج
إليه صاحبه وما يستعنى به من الدروس، فعمر لم يعوره قط بدرس قوى بعلمه
حب الحق وكراهة الباطل لأنها حقيقة ممكنة منه أصيلة فيه موشوحة^(٢)

(١) استبتموه: رحيم بوبه.

(٢) موشوحة بعبه: أي موصولة به مرتبطة

بطبعه، ولكنه قد يعوزه حياً بعد حين أن يتعلم صبر على الناطر ولا سيما في فوّه الشّباب^(١)، وألا يأسى على الحق أن يفوته معركة زائلة في صراعه الدائم مع خصمه القديم، فهي معركة لا تضيق بصدمة ولا تؤخذ بهجمة، ولا تزال سجلاً منظورة لعواقب في ساعة لصبر وساعة بهرمة على السواء.

وربما أعوزه ما يعوز الأقوياء في معظم الأحيان، وهو أن يدكروا أن الناس جميعاً ليسوا بأقوياء، وأن لباساً حميلاً ليسوا به عمر بن الخطاب، فإذا استطاع عمر أن يمنع لخم مرة واحدة فقد يشق ذلك على آخرين وإذا استطاع أن يتصدى للموت في كل لحظة فليس ذلك في وسع كل مسلم، وهم يستحضرون الأقوياء هذه الحقيقة إلا بعد تدكير وروية. ما على إبداهه فهم يعيسون الناس على أنفسهم ويحسبونهم أهلاً لما هم أهل له وكفوؤا لما هم قادرون عليه، ولهم من أشرف في نسيان هذه الحقيقة فوق ما لهم من أشرف في تذكّره ويوم ستحضرون.

وقد كان تفكير عمر كله على البداية في عهد أسى عليه السلام، فكان يفضي إليه بما بوجهه عفر خاطره وتمسه بادرة فكره^(٢)، مصمتاً إلى مرجع الرأي ومقطع القول بين يديه، شاعراً بواجبه لأول أحسن شعور في هذا المقام؛ لأنه شعور لوجل الكريم الذي لا يضمن شيء من عونه، فهو بعرض أقصى ما عنده من البأس ويدع لصاحب الأمر أن يكتفي بالسيف منه إذا شاء، ولكن ليس عليه هو أن يعرض السيف ويترك لصاحب الأمر أن يطلب الكثير.

مثل عمر في هذه المواقف مثل صاحب المال نزل الضائقة الحارة^(٣)، فببسط ما عنده من المال حميفاً ويدع للولي القائم بالتدبير أن يختار من ماله مقدار ما يريد وذلك أقصّل الحسنيين وتكرم الواحيين، وهو الواجب الذي يبق بعمر في صحبة الرسول.

ولا يحسن قارئ أسا بعسف^(٤) التأويل والحريج ينحصر إلى عمر هي أجس الصور وبوجه أعمانه أحسن بوجهه، فما بقوله هذا لا يعدو تفسير عمر نفسه لما انصف به من الشدة في عهد رسول الله، وبعبيره - كما قل غير مره - أنه كان سيقاً للرسول إن شاء صرب به وإن شاء أعمده في فراجه وأنه كان جلواره^(٥)

(١) فوّه الشّباب حديثه. (٢) تحسه بادرة فكره أي بما يتأتى له من الرأي السريع (٣) العاروة لشديدة

(٤) لا عسف لأحد على غير السريع، يعني أسا بحسن التّويز فرق ما يطبق (٥) الطور لشروط

القائم بين يديه، وليس من شأن الحلواز أن يمسك كثيراً أو قليلاً من رأسه حيث يؤمر بإمسأكه، ويرد إلى الهوادة وثلين.

ير هذا الذي نقوله هو لذي قاله أبو بكر رضى الله عنه فى شدة عمر ولينه، فكما تحدثوا إليه بغلظنه قال: إنما شئت لأه يرانى ليد، ولا غلظة على الضعفاء فيه.

فكان جميلاً بعمر أن يسهو عن تلك الحقيقة، وأن يحتاج فيها إلى تذكير وستحضار وكان أفصل واجنبه لا مرأ أن يعرض اليأس حتى يؤسى، ثم يتوب إلى اللين ولا جناح عليه.

وهو اليقين لذي لا حمرت الشك فيه أن عمر كان خلقاً أن يفهم تلك الحقيقة بتفصيلاتها لو جعل ياله إيهب ولم يجع ياله إلى تقديم ما عنده «والحد بأقصى حوده» فى انتظار القون لفصل من رأى لسى عنه لسلام، وبولا ستعدده فهم تلك الحقيقة وما شابهها ما يتفع بالقنوة ولا أغت معه المثل وتجارب.

ومهما يكن من حاجته إلى دروس معلمه وهاديه فالذى تعتقده أن مكانه من الخلافة لم تقرره لحاجة إلى تلك الدروس لأن أصحابه كلهم على حكم واحد فى هذا الاعتبار سوء منهم الحلفاء الرشدون وغير الحلفاء الراشدين فما من رجل كان من أصحاب محمد عليه لسلام إلا كان مقتقراً إلى جانب من جوانب هديه وتهديبه وتقويمه وما كان عمر على التخصص بأشء فتقاراً إلى ذلك من رفاقه وببعيه وإن اختلف ما يعوره وما يعورهم من مواضع الهدى والتهديب والتقويم.

وواضح من هذا أن دعوة النبى عليه السلام أبا بكر للصلاة بالناس فى مرضه وماتته لم تكن بالمصادفة ولا بالاحتير الذى يتسوى فيه أبو بكر وعمر فى ذلك المقام، فقد رعه حتى وصل الأمر إليه رضى الله عنه قلباه. وتفصير ذلك كما جاء فى رواية البخارى أن النبى شئت عليه المرض فقال مروا أب بكر ففعل بالناس. قالت عائشة رضى الله عنها إن أب بكر رحل رفيق القلب إذا قام فى مقامك لا يكاد يسمع الناس من لكاءه لو أمرت عمر؟ فعاد النبى يقول مروا أب بكر فليصل فعودته، فقال مرة أخرى مروا ففعل، إنكر صواح يوسف^(١).

(١) بداره محل معنى يوم وبعث على لسانه والإشارة إلى مرقف لسانه فى قصة يوسف عليه لسلام.

وحدث عبد الله بن أبي ربيعة أن بلالاً دعا النبي إلى الصلاة فقال: مروا من يصلي بالناس «فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر عائناً، فقلت قم يا عمر فصر بالناس قياماً، فلما كثر سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلاً مجهر^(١)، فقال: فأين أبو بكر؟ يأتي الله ذلك والمسمون هبعت إلى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس».

قال عبد الله بن أبي ربيعة إن عمر لعيسى فقال لي ويحك! ماذا صنعت بي يابن أبي ربيعة؟ والله ما ظننت حين أمرتني لا أن رسول الله ﷺ أمرك ولولا ذلك ما صليت بالناس. قلت: والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك ولكن حين لم أر أبا بكر وأيتك أحق من حضر بالصلاة.

والوَضِيع من كل الروايتين أن النبي عليه السلام قصد إلى اختيار أبي بكر للقيام في مقدمته من إمامة المسلمين وضمن ذلك ما ضمنه من معنى الاستخلاف والتقديم.

فعلى أي وجه تفهم هذا الاحتيال الذي صدر عن قصد وروية ولم يصدر عن مصارفة وتفاق؟ وعلى أي وجه تسأل النبي عليه السلام حين سمع صوت عمر ولم يسمع صوت أبي بكر فقال: «يأبي الله ذلك والمسلمون»؟

إسألا يفهم ذلك إلا على وجه واحد يحمل بمحمد ويحمل بأبي بكر ويجمل بعمر كما يجمل بالمسلمين.

فمن البديهي أن ينظر النبي في اختيار خلفه إلى جميع الاعتبارات التي سخر في تحسبان ولا يقنع بالبصر إلى أحد واحد.

فإن نظر النبي إلى جميع الاعتبارات فأى عصابة على عمر أن يقع الاختيار على أبي بكر ولا يقع عليه؟

إن اختيار أبي بكر بجمع للإسلام هوائل الرخس، ولا عصابة فيه على أحدهم ولا على المسلمين ولكن لعصابة أن يتأخر أبو بكر وهو أسوأ أسبق إلى الإسلام وثاني اثنين في العار، وأقمن^(٢) أن تبطل حوله منافسته لأندد وله الرأي الصائب والشجاعة الماثورة والإيمان الثابت وإسلامه المرضية والحق اضهر في الآثار كلما قوليل معبره من الحقوق،

(٢) أقمن: أجزر وأولى

(١) مجهر: مرتفع الصوت.

ومع هذا لرحمن لدى انفراد به أبو بكر موضح آخر لاستحلاله في الموقف الذي كان مطوراً بعد موت النبي عليه السلام، وهو موقف رصب ومسانة بين المسلمين بعيان إبداء حُرِّت الأمور في محرف الصيب المأمور. إبداء نازمت واصطربت ونفدت حصة للين حتى بيده أبو بكر في رفقته وهو دنة عندك من موطن الإجماع وإدراك صب غيرة واحتمعت كلمتهم على الصلاة ولم يبق من يلين في الأمر سواه، فصلاصهم أقصر إذن أن تعطف بسببه إلى الإجماع الذي لا شذوذ فيه فائسبى عليه السلام قد حسب للعوقب كل حساب، وقد نضر في استحلاله إلى كل عتبر وقد وارت بين أمور كثيرة ولم يوزن بين صاحبين ليس بينهما محل لساقس والملاحاه

ومما نظر إليه عليه السلام أن عمر أصغر من أبي بكر بعشر سنوات و نحو ذلك... فنور أبي بكر لا يحجب نور عمر، وإذا شفع الإسلام بمزب أبي بكر في حينها الذي هو أنجوح إليهما، فسيتفع لإسلام بمزب عمر في حينه الذي يتولاه فيه، يوم تغي الصلاة في مدفة الأعداء ما أعياه الرقيق في تأليف الأول^(١) ولا يحسن قريها أيضاً أن يستخلص لتأنيج من التاريخ ويدرك ما كان بعد أن كن، فلواقع المصوص عليه أن الذي رتباه بعد وقوعه قد كان منظوراً إليه قبل أن ينكشف عنه الغيب، وقد نظر إليه النبي عليه السلام فقل «أريت هي المصام أسي أبرع بدلو بكره على قلب^(٢) فحاء أبو بكر هرع ذنوباً^(٣) أو ذنوبين بزم ضعيفاً، رنه يعقر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستباحات غرباً^(٤) هم أر عقرت بهري فويه حتى روى الناس وصرى، يعط^(٥)»

وم يحف معنى الرؤيا على معبريها، لأنها لا تحسن غير تعبير واحد، وهو الذي أشار إليه الشافعي رحمه الله ففسر ضعف اسرع بقصر مدة وعصة موب، والاشتغال بحرب أهل اردة عن الاعتناح والاريد الذي معه عمر هي سول مدته، ويجوز أن النبي عليه السلام قد أدخل في حسنة تقديراب أخرى من هذا القبيل لا يحيط بها أبناء عصره ولا نرها نحن في عصرت، فلهذه المسائل في جميع معصور توحيه لموصوعية وموحيه الخاصة التي لا يدركها كل من

(١) الأولاء جمع وديد وهو صاحب المودق

(٢) انقلاب البئر

(٣) الموب بدلو الملوب (٤) العرب ابدلو لعزيمة (٥) لعين مبرك الإله حول الماء

عاش بينها ولا يأنى بقلها بالكتابة والتدوين. رمتى كبرت هذه هي التغيرات التي فصلت في مسألة الرشيع للخلافة هي عصابة فيها على عمر ٩٠ بها شيء لا يتأوله وحده وليست لكافة بي بكر ولا لكافة هو كل اليد فيه، وإن الذي حدث لا يعدو أن يكون مودة بين أحول ثم تقديمًا للصالح في تلك الأحوال، أو هو تأخير موعد ومناسبه وليس بتأخير حق وكفاءة، فأبو بكر كفاء للخلافة، وعمر كفاء للخلافة، لكن نعدم أي بكر أصح وأولى وأوفق لأحوال الزمن وإكرامة الصحابة والمسلمين أجمعين.

وإنك لتكوين على ثقة من حقيقة واحدة في رهط محمد تجرم بها وأب امن أن يخالف التاريخ قيم بطن وفيه طهر وذلك أنه عليه السلام لم يبرم أحد أمر فيه عضاضة على أحد من أصحابه، ولا سيما في مسألة الاستخلاف أو لتقديم الإمامة والصلاة بالناس فكل الذي حدث فيها فهو لدى يحمر بالنبي من تقدير وتدير ويحمل بصاحبيه من إثارة وتوقير، ويحمر بالإسلام من تمكين وتعمير، وانتفاع بعمل كل عام، واقدر كل قدير.

بقي جانب من جوانب العلاقة بين النبي وعمر لا بسكت عنه كثرة ما قبل فيه، فضاء عن وجوب النظر فيه لأنه يتم بعلم تلك العلاقة وزيدنا مهمًا لها، واستعصاء لها وطلاعًا على طريقة عمر في الموازنة بين الواجبات والشؤون حينما اشتجرت بين بدنه، وبربد به جانب العلاقة بين عمر وال نيت، وبين عمر وشي عم النبي الكبيرين على وابن عدس بعد استقال النبي إلى الرفيق الأعلى.

فالذين أولعوا في لتاريخ بخلق بقضايا والمخاضات يقوون كثيرًا في هذه العلاقة، ويبتلون عمر على صورة لرحل الذي كان يتحدى بني هاشم ويناجرهم متاحرة لعصبية فيه عليهم ولكنهم لا يدكرون من الوقائع ما يعزز شبهة أو يرحح بضم في هذه الوجهة وكل ما حفظته لنا أثناء العصر قايما تخصصت إلى الخلاصة التي تجمل بعمر وتحمده، وهي الوفاء المحض لذكرى النبي عليه السلام في له وخاصة بيده، والأمانة المحض لمصلحة العرب والإسلام مقدمة على كل مصلحة خاصة أو عامة وكل ما عدا ذلك لغو وباطل

فعند تقسيم لأعطية كن لال نبي الصيب الأوفى و لكان المقدم بين

الصحابه، وكان لهم التفضيل في كل حق من حقوق المسلمين حسبما كان بينهم وبينه عليه السلام من رحم وقرنة، وقضاهم عمر على أقرب الناس إليه في اللقاء والحفوة، فذكر في بعض الأيام ينتظر حسين بن علي رضي الله عنه مذهب إليه الحسين فقي عند الله بن عمر في الطريق فسأله من أين جئت؟ قال: استأذنت على عمر فم يأتني لي، فرجع الحسين ولم يذهب إليه.. ثم لقيه عمر معتمد وسأله ما معك يا حسين أن تأتي؟ قال قد أتيتك ولكن حيوني عند الله بن عمر أنه لم يؤذن له عليك فرجع.. فمر ذلك على عمر وقال له وأنت عندي مثله! وأنت عندي مثله؟ وهل أتيت الشعر على الرأس غيركم؟

وكسا عمر أصحاب النبي فم يكن في لأكسيه ما يصلح للحسن والحسين رضي الله عنهم فبعث إلى لبعن هاتى بهما بكسوه تصلح لهما وقال حين رآها: الآن طابت نفسي!

وسافر إلى الشام فاستخلف علياً رضي الله عنه على المدينة، وأخذ نفسه باستفتائه ولرجوع إليه في فضائه متخرجاً من دعوته إليه حين يحتاج في سؤاله، استفتاه بعضهم في مجلسه فقال: نسوئي، وأخذهم إلى على فذكر له المسألة فقال على ألا أرسلت إلى؟ قال عمر أنا أحق بيتيائك.

وكذلك كان يسففى بن عباس في لدين ولأب ولا يفاه باحثاً مسترسلاً في الحديث إلا قال معجياً متسبطاً غص غواص^(١) وقص سئل في أمر واس عباس حاضر إلا قال يشير إليه عليكم بالخير بها.

ولم يحجم عن توليتهم الولايات إلا كم أحجم عن تولية الجمة من لصحابه ودرعوس قرش الدين بقاهم عنده سمشوره وصبرهم عن محاسبته وعنايه وهي ذلك يقول لاس عباس إني رأيت رسول الله ﷺ استعمل الناس وترككم، والله ما أدري أصرفكم عن العمل أو رفعكم عنه وأنتم أهر ذلك؟ أم حشني أن تُعَوَّنوا لكانكم منه فبمع العباب عليكم ولاند من عتاب؟

أما مسألة خلافة فالحدي يزعمه فيها لذين يخوضون في القصاي والمحاصمات أن عمر رضي الله عنه تعمد أن يحول بين على والخلافة بصرفه النبي عن كتابة الكتاب الذي أراد أن يبسط فيه وصايا فلا يصح المسلمون

(١) انغوص المروى بحث ماء، يقال: فلان يغوص على حقائق بعم، يد. كان كثير البحث هذه.

بعده، ويرغمون أنه هو قد حال بين علي والحلقة مرة أخرى يوم تركها شورى ولم يستحفظه بصمته لولايتها،

و مستكثروا من عمر صوامته هي دعوة علي إلى مبايعة أبي بكر كما جاء في بعض الروايات، التي ترجح صحتها، وخلّصتها «أن عمر أتى مرسل علي وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال والله لأحرقن عليكم لدار أو لتخرجن إلي سبعة، فخرج الزبير مصلاً بالسيف^(١) فسقط السيف من يده فوشوا عنه^(٢) فأخذوه». أو قل لهما في رواية أخرى «والله لتبيعان وأنما طئعن أو لسايعن وأنما كارهان».

فمستكثروا المستكثرون هذه الصرامة وعنفوها من إصرار عمر على الإحفاف بعلي وإقصاء بني هاشم عن الخلافة

أما لقول بأن عمر هو الذي حال بين بني علي عليه السلام وتوصيته باحتار علي للخلافة بعده فهو قول من السحف بحيث يسيء إلى كل ذي شأن في هذه المسألة ولا تقتصر مسأته على عمر ومن رأى في المسألة مثل رأيه

فالنبي عليه السلام لم يدع بالكتاب الذي طسه ليوصي بخلافه علي وخلافه غيره، لأن التوصية بالخلافة لا تحتاج إلى أكثر من كلمة نقل، أو إشارة كالإشارة التي فهم المسلمون منها، بنار أبي بكر بالتقديم وهي إشارته إليه أن يصلي بالباس. وقد عاش النبي بعد طس الكتاب هم يكرر طلبه ولم يكن بين علي وبين لقائه حائل وكانت السيدة فاطمة زوج علي عنه إني ر فاصت نفسه لشريفة فلو شاء لدعى به وعهد إليه.

ومصلاً عن هذا السكوت الذي لا إكراه فيه، ترجع إلى كل سابقه من سنن لسي في تولية الولاية هري أنه كان يجنب الـ ابولية ويضع وريثة الأنبياء، وهذه السنن مع هذا السكوت لا يدلان على أن محمد صلوات الله عليه أراد خلافة علي فحبل بينه وبين الخهر بما أراد

ولم يعتمد عمر على لشورى في اختيار الخليفه بعده وبه مسبوحة عهد، فهو رأى من أصحابه كما قال- حرصاً سبباً وخلاف لا بصمته رأى واحد، وكانت

(١) مبعوثاً بالسيف محارباً بالسيف من بعده.

(٢) وشبوا قفروا

حبره عظمه من الاستخلاف وبرك الاستحلاف، فلما قيل له وهو صعيص يودع
 حياة ماذا بقول له عز وجل إذا لقيته ولم تستحلف على عديده؟ أصابته كربة
 ثم تكس رأسه صوباً ثم رمع راسه وقار «إن الله تعالى حافظ، سين وأي ذلك
 أفعل فقد سن بي إن لم أستحلف فإن رسول الله ﷺ لم يستحلف، وإن
 استحلفت فقد استخلف أبو بكر».

واختار للشورى في أمر الخلافة أسسا ليس بين المسلمين أولى منهم
 بالاحتيار، وكأنهم كانوا مسلمين بسمائهم لهذه المهمة لو لم يرشحهم هو
 برشحهم لها كل مختار.

ويم يكن افكك من التبعة هو الذي أوحى إليه أن يفض يديه ويلقى بالعبء
 على عواتق عمره. فعمر لا يحو بنفسه لبوقع أحدا هيب يحاول النجاة منه،
 ولكنه قدر أن الرجل الذي تحتره كثرة المحكمين هو أولى أن يعقد عهده
 الإجماع وينحسم برحيجه انزعاق فمن خرج عيه فهو باعى منه ببيعها لأقلون
 ويردعها الأكثرون.

وكان مع هذا يود لو اجتمع لرأي على اختبار على بعد مشاوره فقد لانه
 لو ولوه الأجنح «أى لنحسر الشعر» لسلك بهم لصريق. فسأله انه فم
 يسمعك أمير المؤمنين أن تقدم علياً قال: أكره أن أحملها حياً وميتاً.

وفيما عدا الاستخلاف بعد النبي والاستخلاف بعد عمر، فالسياسة التي
 جرى عليها عمر كانت كلها سياسة عمدة قائمة على أساس عدم لا تفرقة بين
 بين بني هاشم وغيرهم ولا بين على وغيره.

فكان يكره أن تتأثر بالأمر عصابة دون عريف بالعدة ما بيعت منزلتها ولم
 يكره ذلك من بيت هاشم دون سائر البيوت.

كان يحجر على وجوه قريش أن يخرجوا إلى سدار إلا بدين وإلى أجل
 وبلغه أنهم يضكونه، فأعين في الناس «إن قريشاً يريدون أن يخذلوا ما الله
 عموة على ما في أنفسهم، ألا إن في قريش من ضمير المارقة ويروم خلع
 الرنقة»^(١)، أم ومن لخصاب حتى فلا إن أخوه ما أحصاف على هذه الأمة
 سنشارككم في البلاد»

(١) الرنقة حبل تشد به البهيمة، وفي الحديث: «... خلع رنقه الإسلام من عنقه»

وكان يوجز قومه بنى عدى كلما أحس منهم الطمع في خلافته لأنه و أحد منهم، فيصدهم قائلاً «بيع بى عدى أريدكم لأكل على ظهري، وأن أهب حسدى لكم، ولا والله حتى تأتيكم الدعوة وإن أطبق عليكم لسقتر...» أى بنى كعبهم في الأعصية أحر الدس وهو الذى أبى أن يحذر ابنه لخلافه وقال لمعيرة بن شعبة الذى رين به استخلافه «لا رب»^(١) لما فى أموركم وما فيها لأحد من بنيى إن كان خيراً فقد أصابنا منه وإن كان شراً فبحسب ال عمر أن يجاسب منهم رجس واحد».

وجمع عيا وعثمان في مجلس لشورى لاختيار الطليقة فالتفت إلى عى فقال «تق أنه يا عى إن وليت شيئاً، فلا تحملن بى هشتم على رقاب المسلمين».

والتفت لى عثمان فقال «أتق اله إن وليت شيئاً فلا تحمسن بنى محيط على رقاب المسلمين» أو قال بنى أمية.

وكان أكبر همه أن يعصم الإسلام من الملك الذى يستأثر به ممثاثر لأدس دور أناس، وكثراً ما سأل والده ما أدري أخليفة أت أم مس مستعيداً بالله من كل سلطان لا نعم جميع رعايه بالخبر . وكلمته لابن عدس حيث قال «إن الدس كرهوا أن يجمعوا لكم النوة والخلافة وإن قريش خبأت لأفسيها فأنصابت» هي كلمته حيثما تكلم فى هذا الصدد لا يخص بها بيتاً دور بيت ولا معشراً دور معشر ولا قبيلة دور قبيلة، إلا الأمانة لمصلحة المسلمين جميعاً حيثما انفقوا عليها أو كان لهم رجاء فى الاتفاق.

وما كانت لغمر صراومة مع على لم تكن له مع غيره فى هأرق الخوف من الفتنة والبدع من الوحدة، فقل أن سلم لروح كانت وصيته وهو لا نعم من الخليفة بعده «إن جتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فشذخ»^(٢) رأسه بالسيف، وإن تفق أربعة ورضوا رجلاً وأبى اثنين فاصرب رأسيهما فإن رضى ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً فحكموا عبد الله بن عمر فأتى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم فإن لم يرضوا فحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن هوف واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس».

وما اختار ابنه عبد لله للفصل بين الفتنتين المتسويتين إلا لأنه خارج من

(١) الأربعة: العرش والعدية.

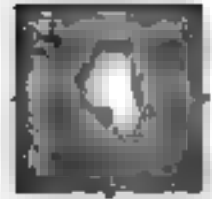
(٢) شذخ كسر لضى: الأجراف.

الاحتير، ثم لم يجعل له القول انفصل حتى يفتح للناس محرّكاً من رأيه في
شأنه ألا يتبعوه.

ولن بعضي بأمثل من هذا القصة في عارق الفتنة حد له قصاء عادل منزه
عن حبايا القلوب.

فما احد عمر من حكم نبي ساس فهو الحكم الذي يجمال به ويحمد منه ولا
ينفك به قبل أن ينفع سائر الناس هو حكم الذي يعم ويعدل ولا يخص
ويخصير وهو الحكم الذي لو سخر منه النبي سيد بني هاشم لأعاد فيه قوله
«عمر بن الخطاب معي حيث أحب، وأب معه حيث يحب، والحق يعدي مع عمر
ابن الخطاب حيث كن».

عمر والصحابة



بيع عمر فطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه.

وبيع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه.

وقد تواترت أقوال، للصحابة هي عمر بما يشيد مفصلة ويشهد بقدره وبكبر في أعين الناس أكثر - من ثقل فيه، لأن الذين قالوها أدس لهم حيل راحلة، وأسمة صالحة، وعقيدة راسخة وقوي لا تهاب أن تقول الحق في سنان. ولكن لشهادتين ستين شهد بهما الواقع أدل على قدر عمر بين صحابة من كل ما قيل. لأن شهادته لواقع هي لشهادة لتي بحولها الصادق باحتيائه وبحول الكذب أن يكذب فيها فلا يستطيع ويرى بحور الصدق والكذب فيما يمكنه اللسان أو يمكنه شعور، أما الشهادة التي يعبر عن نفسه بلغة الواقع فهي قائمة من وراء كلام الألسنة ومن وراء هوى النفوس ينكرها كإنكار المحسوس الذي يقع عليه لأيدي ولا تغمص عنه العيون.

وقد انتهت مسألة الخلافة بعد النبي بسلام.

ولكن انتهائها بسلام لا يعنى أنها كانت سببها وحده بسلام على أية حال، ولا يعنى أنها انتهت لأنها من المسائل التي يؤمن بها بحصر وتمتع بها الفئدة، إذ الحقيقة أن انتهائها على هذا النحو قد كان أعجوبة من أعاجيب التاريخ مع ما يحيط بها من دواعي النزاع ومن كوارث لفتق واحوف على غير سابقة نستفهم بها لعرف ونصيح بها معالم لطريق.

فما هو إلا أن لحق السي بالرفيق لأعنى حتى تحفرت دواعي النزاع من كل فج، وتكشفت كوارث الفسق واحوف من كل مكمن، وجعل أعلم أسس كنف مسجلى العاشية ويستقر القرار

فلأنصار يقولون بهم أحق من المهاجرين لأنهم كثرة ولهم حروب قلة ولأنهم في ديارهم وأما هاجرون طارئون عليهم، ولأنهم جميعاً عرب مسلمون وبهم قصص القنبد والإيواء.

والمهاجرون على قلتهم غير متفقين على اتفاق معتقد به الإجماع، وحتتهم
العالة نهم لمبايقون إلى الإسلام ومنهم حنة الصدقة لأولين

وسايرت لأحاديت نحو ل بيت النوى في الخلافة لبعوبة، وبين اله
رحلن قورين هم على ر لعاس بو أصعبا إلى هذه الدعوة ومصيا فيها
لتحضت عن حطب عظيم.

ولكن هذه العصبية لم تكف سعة الخلاف حتى جاء أبو سقندر يريد
عصبة أخرى بلعاهرة بين كبر القبائل وأصعهره في قريش، فذكر على عي
والعباس يثيرهم ويعرض عيهما البجدة والعبوة، ويهيب بعلي باسمه، ثم
بالعباس باسمه «يا عي وأنت بعباس ما بال هذا الأمر في بل فبله من
قريش وأقلها؟ والله لو شئت لاسلأها عليه - يعني أب بكر - حبلاً ورجلاً
وحذبا عليه من أقطارها»^(١) فبحيه على بما هو أهله، لا والله، لا أريد ن
تملاها عليه حبلاً ورجلاً، ولولا أننا ريت لنا بكر لدلأ أهلاً ما حبذته وإبها». ثم
يسغ من گرم، النحيظة ن يوب أب سقندر من طرف خفي على سعيه في هذه
لعصبة فقور. يا أب سقندر بن المومنين قوم بصحة بعصهم لبعض، وبن
المدفقين قوم عششه بعصهم لبعض، منخاونون وإن هرب ندرهم وأند بهم»

وم تكر هذه لعصبية كل ما هلك من نواعي النزاع وكوامن اتفق
والخوف فقد كن هلك مافقون أسلموا وهم راعمون وكان هالك ضعفاء من
المسلمين يققون على شمير^(٢) من الفتنة لا يلبث أن يصطرب تحت أقدامهم
حتى يبهز، وكان هالك اناس لا يصرون ولا يخذلون هم إن لم يفسدوا في
لأرض لا يصحون.

وبن هذه المحاوف واسوارع بسهي مسألة لخلقة سلام فيكون اسهاؤف
بسلام، عحوية، لأعجب وبحث عن سر هذه الأعحوبة أو عن سرها الأكبر
فيعينك فيها أن تذكر اسماً وحداً، هم سم عمر بن خطاب، إلى أن كانت
تلك الفسة د هذه بو لم يقف هي وجهها عمر وقفه المراهوبة يوم سقنعه

سؤال بديك عي سر تلك، العحوية قبل كل حوب، فما عرف رأى عمر في

(١) «برحل جمع راجل وهزه» «الاحديها عنه من اقطارها» يهدد بانه سيارله من كل ناحية وهمد

(٢) شقيذ كل شيء حرقه

البيعة حتى يصر الخلاف إلا ما لا حصر له. واطمأن من فوق، وعلم من يخاف أن خلافه لا يسمعه، وجمعت كلمة على مبايعة أبي بكر أو شككت أن تكون كلمات.

قال أبو بكر لعمر ابسط يدك ثيابع لك

قال عمر. أنت أفضل مني قال أبو بكر أنت أقوى مني.

قال عمر إن قوتي لك مع فضلك، لا يسغى لأحد بعد رسول الله ﷺ أن يكون فوق يا أبي بكر. أنت صاحب الغر مع رسول الله وثاني اثنين، وأمرت رسول الله حين اشتكى فصليت باندس، فأنت أحق الناس بهذا الأمر

ووثب عمر فأنص بيدي أبي بكر، فتواثب الجميع من عليه الصحابة يندرون البيعة ثم كان لعبد فحلس أبو بكر عني لغير وتكلم عمر بين يديه يقول للناس «إن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إياهما هي العار، وأولى الناس بأموركم، فهو هو قد يهو»

فكانت البيعة العامة، وترك شجرة لحلاف لحفاف، فإن لم تذبل لساعتها فهي وشيكة ذبول.

باع عمر فقطعت جهيرة قول كل خطيب.

وذلك قدر عمر عند الصحابة، وقدره عند أبي بكر، وقدره عند الله، تغنى شهادة السرائر فيه عن شهادة كل كلام.

وفي تلك الكلمات الموجزات التي سادها الصديقان العظيمان خلاصة نقد السقين وبحث لباحثين، وحكم التاريخ في أبي بكر وعمر وفي موقف الخلافة من بديته إلى منتهاه.

قال عمر بك أفضل مني وقال أبو بكر إنك أقوى مني وقال عمر إن قوتي لك مع فضلك

صديقاً غاية الصدق وجاملاً غاية الجاملة وقضياً بالعدل وحكمة وإخاء، وترك التاريخ بقول ما يقول ويسهب ما يسهب، ثم لا يزيد في فحواه كلمة على ما صمته تلك الكلمات الموجزات.

ولقد كان من قوة عمر به كان يرجع أبي بكر في خلافته حتى يرجع عن ربه، وكان من فضل أبي بكر أنهم يسألونه مستشيرين والله ما سرى ألت الحليفة أم عمرأ فبقول هو لو كان شاء

وكان فض أبي بكر وقوة عمر حصاً لا يشد عنه مكبر، ومن شد عنه فما له من فضل ولا من قوة يبعثه.

بل كان الرجلان على اختلافهما في المراح كأنهما رجل واحد يراجع نفسه بين الرأيين المختلفين حتى يستقر على أحدهم هذا هو رأي جميع لا خلاف فيه، لأنهما صدران عن عقيدة واحدة، ويتجهان إلى عرض واحد، فهما غير مفترقين إلى أمد طويل.

وآعجوبة الأعجيب في هذا الأمر موقف الرجلين من مشكلة الكبرى التي واحدهما معاً بعد موت النبي بأيام فلائذ، وهي مشكلة الردة وتكوص العرب عن أحكام الدين وحيرة الصحابة الكبار فيما تعامل به المرتدون.

وليس لعجب أن يختلف أبو بكر وعمر في مشكلة كبيرة أو صغيرة، وإنما العجب هو نوع هذا الخلاف الذي لم يتوقعه أحد فيخالف أبو بكر لأنه يحنح إلى الشدة والصلابة، ويخالف عمر لأنه يحنح إلى لين والهدوء ثم يتفيا ولا يتعرضان

فأبو بكر يأبى إلا أن يحارب الذين يدعوون لركاة ويقوم مصراً على قوته «والله لو منعوني عناقاً^(١) لقاتلتهم على منعها».

وعمر يقول له «كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه، وحسامه على الله!»

ويشارك عمر في رأيه جلة أصحابه كأبي عبيدة الذي قال فيه النبي «إيه أمين الأمة»، وسالم مولى أبي حذيفة الذي قال فيه النبي «إن سالماً شبيب أحب إلي»، وأبى من هذه الطقة في صحابة رسول الله.

ويعود أبو بكر فيقول «إن بركاة حق المال، وفيها نصيب دالحق» ثم يهيب بعمر «رجوت بصرك وجشتي بخدالك» أجد في لجاهلية وخوار في الإسلام»

فإذا بعمر بثوب في شدته بعد أن أفرغ أمانة الرأي كما قال «ما هو إلا أن رأيت أن له شرح صدر أبي بكر للقتل حتى عرف أنه الحق»، وما أسهل أن يعرف الحق لمن يريد أن يراه ولا يعمض عصبه. أرجالان هذان مختلفان أم رجل واحد؟

(١) ساق معرة

قل هذه وذالك هاتقولان مسبوين ما دمت لا تحسى أن الرحلين مختلفين
معهما لعقيدة الراسخة اللى لا تفرقهما، وطالب جمعت العقدة حبوش على
هيب واحد فضلا عن رجلين.

وأما كن يعيب عمر أن يعارض بها كن هي، مسأله وجه واحد لا يحتمل
امعارضة بحال، فأنما ان يكون لها وجه، حر بسبه ويشرح حخته فالدى يعيبه
ويضير الإسلام ن يكتم ذلك الوجه وان يبطوى عليه صامتاً فى موقف البحث
والمشورة وهو الباصح الأمين.

ومسألة الرده قد كن لها وجه حر غير الذى راصه أبو بكر رضى الله عنه،
وكن عمر حيفاً أن يرى ذلك ابوجه، الآخر لأنه موافق بحمل ربه فى الحرب
والسياسة فقد كان بطيئاً إلى لحرب كم عرف من عامة وصاياه، وكان أنصاً
ما يكون عنها إذا تشبعت بين العرب أو المسلمين وكان جيش الإسلام بعيداً عن
المدينة فى غزوه لروم لى حرح بها أسامه بن زيد بعد قبم أسى بكر بالخلافة
فالتريث إلى أن يستكمل الإسلام عدته ويسترجع لغنائس من حنده وجه غير
صعب، أو هو فى أقل الأمر وجه لا يحسن كتماناه عن الأمير مسئول.

وقد كن من عادة عمر ان يصيع صاحب السعة منى وجبت الطاعة واستقر
القرار فلا ضير إى الا يالوه جهده معارضة حتى يتبين ماذا لراى على
احتلاهم، ثم هو مسعد بقوة لمعارضه بأقصى ما استطاع

ومثل هذا، برجن معارضته قوة قوف قوه وخبر لا ضير فيه

وحليق بها ن نفهمها على صوابها فى مسأله الرده فنعلم بعد البطرة الثانية
أنها من دلائل قوته امعهودة وبسبب من فلتت الضعف فيه، لأنه رأى الرأى فعم
يحكم أن يبدية ويشرح حجته، جريئاً فيما راه.

وعى هذا، الداب طر عمر قوة لأبى بكر بمواقفه ومعارضته على السواء،
وأصاب فيم قال له يوم بيعه «ن قوسى ان مع قصص» فكسب لإسلام
خيفتين معاً بتقديم أبى بكر للخلافة لأنهم لم سعد بالخلافة مأزياً غير خدمه
الإسلام.

ثم يبيع عمر بالخلافة قسطل الحلاف إلا مالا خصر فيه.

عرضها عليه أبو بكر فقال « لا حاجة لي فيها » فقال أبو بكر « ولكن لها بك حاجة يا ابن الخطاب ». وسأل حيرة أصحابه فقال له عبد الرحمن بن عوف هو والله أفضل من رأيك فيه. وقال عثمان بن عفان بن سريرته خير من علانيته، وإنه ليس فينا مثله. وسأل أسد بن الحصير فقال « اللهم أعنهم الخيرة بعدك، يرضى للرصا ويسخط للسخط. والذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يسي هد لأمر أحد أقوى عليه منه ».

وأجمع المهاجرون والأنصار على تركبة عمر وتصويبه أبي بكر هي ترشيحه، ولعلمهم به يذكروا من صاقيه إلا ما هو به أعلم وأحضر، فم يرده شاء المشي علماً بصاحبه ولم يكن قدح لقادح ليخف رأييه فيه، لأنه على عرفته بالدين وعرفته بالناس لا يحفل أن رجلاً كعمر بن الخطاب في حزمه وصدقته لن يخون من منقص، ولن يعصيه أحد لما يعييه ويحول بينه وبين ولاية امر المسلمين.

قال له وهو يعرض عليه اخلافة « يا عمر! أبغضك مبعص وأحبك محب وقدماً ببعض الخير ويحب الشر ».

وإن منهم من حذره شدة عمر وقولوا له « إنك كنت تأخذ على يديه ولا تطيق علطته، فكيف وهو خليفة؟ وما أنت قاتل لربك إذا سألك عن استخلافه علينا؟ »

فبلغ الصبر بالرحل الصبور مداه، وأمر من حوله أن يصسوه فجلس، فقال لمن حوفوه له وعمر « أبيله تخوهم بى » خاف من نزود من « مركم بظلم » أقول اللهم قد استخلفت على أهلك خير همة »

ولو شاء أبو بكر لقل إن ما خوفوه من شدة عمر لعصبية من قضائه التي قدمه عليه على غيره، فقد خاف منهم الفتنة، وكان أكبر حذره أن تجيء الفتنة من أولئك الأعلام الذين ينسبهم الصغار^(١) وبس لهؤلاء غير عمر يرهبونه ويسفون لفتنة ياتقائه، فمن هنا وصاه قصيره « هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قد انتهكت أجورهم، وطمحت أنصارهم، وأحب كل امرئ منهم لنفسه » وفي له « إن لهم لحيرة عند رلة واحد منهم عيباك أن تكونه، واعلم أنهم لن يراوا من حثقتهم خفت الله، ولك مستقيم من استقامت طريقته ».

(١) بطنام جمع طفاة وهو الوعد.

فالدین حدروه عمر إنما رغبوه فيه ولم يحدروه منه، لأنه راد لهم من يضافونه ويستقبضون معه، فكانت سنته عندهم حسنة عند أبي بكر، ورحاء في صلاح أمر الأعداء والصغار.

فلما اتفق مدح المادحين ونقد المافدين على إيثار عمر بالخلافة فرغ أبو بكر من مشورته وبرأ إلى الله دمه، ودعا بعثمان فأملى عليه «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر ويؤمن الفاجر، ويصدق الكاذب. إني استخلفت عليكم بعدى...»

ثم أخذته عشية فكتب عثمان «عمر بن الخطاب» ولم يترك الكتب خوراً من الاسم محافة أن يذهب الموت بنى بكر في تلك لغشة فيبع من يلج باخلاف، وله شبهة يحوم عليها.

وإنه ليكتسبها إذ أفق أبو بكر فقرأ عليه ما كتب، فكرر وأدرك ما وقع في روعه فحياه ودعا له «جراك لله عن الإسلام حيراً، والله إن كنت لها لأهلاً^(١)»، ثم أتم الكتاب.

ثم يبيع عمر باخلافة برحما ع لم ينعقد أخبفة قبله ولا بعده، لا أن تكون وراثته في دولة استقرت لها دعائم وثبتت بها أركان فكانت شهادة من الصحابة والمسلمين أجمعين بما هو أنطق من الألسنة وقلوب بايديها سى لا تكذب في صادق ولا كنوب.

وجاء حد أن يحد عمر خلافته وهذا رأى اسمين فيه، وأن يختمها آخر الأمر ورأيهم فيه على اختلاف، إذ لحكم بخلق لعداوت، ويهتق أسباب لتبعه في بطون والآراء، ويفتن صاحبه حتى يتبدل من حيث يريد ولا يريد، شهادة أخرى من شهادات الواقع ولداهة أن عمر قد فرق الدنيا واختلفون فيه يفصون، ولتفقون على حمده يربون، ثم هم يربون في حمدهم إياه وشأنهم عليه.

دخّر زياد على عثمان في خلافته بما بقى عنده لبس المال، فجاء ابن لعثمان فخذ شيئاً من قضية ومضى به فبكى زياد. قال عثمان ما بك بك؟ قال أتيت أمير المؤمنين^(٢) بمثل ما أتيتك به فجاء ابن به فخذ درهماً فأمر به أن يسرع منه

(١) أى إنك كنت أهلاً به

(٢) يعنى عمر بن الخطاب

حتى أبكى العلام. وإن أبى هذا جاء فأحد من أحد، فلم أر أحداً قال له شيئاً، قال عثمان، «إن عمر كان يمنع منه وقراهبه منعاً وجه الله، وبني أعطى أهلي وأقربائي ابتغاء وجه الله ولن تلقى مثل عمر، لن تلقى مثل عمر، لن تلقى مثل عمر».

وبكى على يوم موته فسئل في بكائه فقال «أبكى على موت عمر إن موت عمر تلمة^(١) في الإسلام لا ترتق إلى يوم لقيامة». وقال عبد الله بن مسعود «كان إسلامه فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة».

وقال معاوية بن أبي سفيان للحلفاء «أما أبو بكر فلم يرو الدنيا ولم تروها، وأما عمر فأرادت الدنيا ولم يروها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن». وقال عمرو بن العاص وهو يحدث نفسه «له در ابن حنمة... أي امرئ كان».

ولم يقل فيه قائل راضٍ ولا ساحط إلا ثناء كهذا، لئن بعد خلافة طيبة لو خرج منها بنصف الثاء لأرى على الأمل في إصناف بني الإنسان

ورعى عمر قبر الصحابة والتابعين كما رعى قدره إلا أنه كان مفضلاً في هذه كما كان مفضلاً في جميع محامده وحسناته، فإنه رعى أقدارهم وهو مستطيع ألا يرفعهم وقليل منهم من كان قدراً أن يعمل غير ما عمر ويقو، فيه غير ما قال.

جمع منهم مجلس المشورة لا يرم أمراً ولا ينقصه إلا بعد مداكرتهم والاستئناس بنصيحتهم وسابق علمهم من مائثورات لنبي وأحاديثه

ورفع بهم أن يكونوا أتباعاً له فحببهم ولاية الأعمال قائلاً لمن راجعه في ذلك «أكره أن أديسهم بالعلم^(٢)»، فسبق السبب في العصرية بحسن تقسيمه وصادق حدسه وتدييره، هم مجلس لامة وليس لأحد من مجلس الأمة أن يني عملاً من أعمال الحكومة فهما في الدولة وظيفتان لا تجتمعان.

وقدم صفراًهم على أعظم عظماء من رعى القبائل وقروم^(٣) الجريرة العربية فحضر به سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب في جمع من السادة بنقطع ندمهم بين الكبريين^(٤)، وحصره معهم صهيبي وياثلي

(١) التلمة لجل، وترق التلمة: إصلاحها

(٢) يعني بالعمل هنا بولائه والحكم أما العمر بفتح العين فقد سبق أن عرفنا رعى عمره

(٣) القروم جمع قروم وهو نسيب (٤) أي ليس لهم مثيل بين السادة الكبراء

وهنا موسى فعيرى، ولكنهما شهدا بداراً وصحفاً رسول الله، فأتى لهما قيس عليه
القوم وعصب أبو سفيان فقال لصاحبه بم أر كالأيوم قط، يأتى لهؤلاء العبيد
ويترك على يابه؟ أما صاحبه فكان حكيماً فقال فيها لقوم بني و سه أرى الذى
فى وجوهكم، إن كنتم عصباً فاعصبوا على أنفسكم، دعى لقوم - إلى
الإسلام - ولدعيهم، فأسرعى وأبطأتم فكيف نكم إذا دعى يوم القيامة وبركنكم؟»
ولو غير عمر لما تقدم عنده صهيب ودلائل، ولا آمن أن يعصب عليه أبو
سفيان وسهيل.

لكنه بحق فوق كل قدر عند هذا، بقسطاس لدى يعصى كل قدر قدره
حدث بنعى له من تقديم وتأخير، فيقدم من يقدمه عنه ويؤخر من يؤخره عنه
ولا عليه من عصب المعاضيين ولوم اللائمين.

فبثب الناس إلى عزو العرق فدار إلى أبو عبيد بن مسعود، وتحف من
حصر الدعوة من الصحابة ولاه قسدهم ونهى أن يوليهم رجالاً من السبعين من
المهاجرين والأنصار وأحاب من راحوه قائلًا «لا والله لا أفعل، إن الله إيه
دفعكم سبقكم وسرعنكم، بنى أعدو هاد، حستم وكرهتم لفاء ماؤى ماؤنسة
مكم من سبق إلى الدفع وأحاب لى ادعاء، والله لا أؤمر عنهم إلا أولهم شدا»
ثم دعا معه من عبيد وسبط من قيس وألعهما «إنكما لو سفتما
لولبتكما» والنفت إلى أمير الجيوش لدى احناره فقال له «سمع من أصحاب
لى ﷺ وأشركهم فى الأمر، ولا تحبب مسرعاً حتى تبس عاب الحرب» -
هذا ما استحقوه فلا رجحان لهم إلا دالحق، ولا رجحان عليهم إلا لحق

ومن الحق الذى له الرجحان عنهم حق الأمة جمعاء، وحق لأمن الذى يعم
الدولة ويوطد أركانها، فإذا خيف على الدولة من بعضهم هأمان لدولة مفصل
عليهم، وحقها لأكر مقدم على الكبير من حقوقهم، وربما حسهم فى المديته لا
يسمرون معها إلا باذن وإبى أحر محافة منهم على الناس ومخافة عليهم من
أبدر ويستأنه أحدهم فى عزو الروم والفرس محبباً بسابق بلانه مع رسول
له ﷺ، فبتح من سابق هذا لبلا، ححة عليه يدوده به عن السر ويقوى له
«إن لك فى عزوك مع رسول الله ما يكفك ويطلعك ويحسبك» وهو خير لك من
الفرز اليوم، وإن خيراً لك ألا ترى الدنيا ولا ثراك»

على هذا الوجه وحده يسعى أن نفهم كل علاقة كانت بين عمر وبين أحد من
أكبر الصحابة والسابعين، فهو الفسطاس الذي لا يحرق وكنه لا يعرف لجور
بوقباء

بل على هذا الوجه وحده نفهم كل علاقة بينه وبين أحد من جماعة المسلمين،
فلكل رجل ولكن عمل حقه، ولا ضمير على أحد أن يتأخر قدره ويتقدم عمه ولا
ينفع أحد أن يتقدم قدره ويتأخر عمه فكل عمل وله حساب، وكل قدر وله كرامة
وأكثر الصحابة حليق أن يزل مرة المرعوسين من سبهم إلى العمل النافع
وأصغر الناس حليق أن يدر جراحه الحسن بما أسحقه وكل قسطنس غير هذا
القسطنس فيما يقارقه لحاكم بصلح أو لحوف، وليس هذا ولا ذاك سبيل إلى
عمر لأنه عادل ولأنه لا يخاف، وإذ وقع ما حداه عمره فهو ضليع بأسعفت^١.

على هذا الوجه وحده يسعى أن نفهم شأنه في محاسبات عمر ومعاملاته
إذا وقع منها ما يحتاج إلى تأويل، وهل هي محاسبات عمر ومعاملاته
بحاج إليه، لأنه كان يحاسب نفسه فمن أثر بحاسبات عمره وحسابه لنفسه
اعسر من حسابه للآخرين

ففي جميع محاسباته لنفاة والولاء من كدر الصحابة لم توضع مسألة هي
موضع لتأويل لكثير والمنافسة الحادة^٢ كما وضعت مسألة خالد بن الوليد
رضي الله عنه.

ولا يعقل أن تكون هذه المسألة شهود عن خطئه مع جميع الفاروق والولاء لأن
الذي صعبه فيها عمر هو الذي كان عنصرياً في نفسه سواء كان لقائد خالد
وكان رجلاً غيره وهذا أدى إلى استنود والحنف، أو يبقى لمعاملته الخاصة
التي تكبر لئلا يسكنين ويرى لهم بغيره وسطر إسمهم بصريين مختلفين.

عزل عمر خالد وهو سيف الإسلام وبصر الجزيرة والشمم وإن كان لابد
لخالد من توليد من عرس أو خاص عادل فلن يكون غاربه ومخاصه غير عمر من
بخطبه هو على قدر عزله بلا مرأء، وهو قدر كبير.

١ صبيح بالمدح مدير عليها

(٢) الحاديه بكل خدمته لشمس و لدار أي أشد حرق عليه، جميعت أسرار أي شدد حرقه ومنه
اجتهدت بحاقسه

فقال أدس إنها مدفنة الد لند و لشبهه لشببه، وقال أناس عزله لغير خطأ أنه. وقال أدس إنها مرة^(١) قديمة ويولاها لما كان الحصا الجديد بمستوجب عزله وحرفن لسمين من نأسه وحهاد

والذين ضوا هذه الضوى لهم شبهات من ظواهر الأمور تحيلها لهم وتقربها إلى حدسهم، لأن المشابهة بين عمر وحيد كنت مشبهة خلق وخلق توحى لص بالتنافس والإحالة، وكاب مشبهة خالد لعمر في حقيقته تلتبس على بعض الناس فيكلمون عمر وهم يحسبونه خالد بن ولید

فمن شاء أن يخط بالطن فله أن يحسب ن عمر قد عزله لغير سبب يستوجب عزله، لأن عمر نفسه قد صان على انقائد الكبير كرامته وأمسك عن الخوض في أمر عزله بعد الفراغ من ضحته الأولى، وكتب إلى الأمصار يرثه من الحياة ويعيهم «أنه لم يعزله لسخطه ولا حبيته، ولكن الدس فتنق به». قال «عخشيت أن يوكلوا به ويبتلوا، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ولا يكوموا يعرض فتنه» ولما سأله حاد في ذلك هل له «إن الدس اعتنوا به فحفت أن تفتن بالناس».

فمن شاء أن يخط بأخص هذا فقد يخط ما شاء وله شبهة فيه، ولكنه لا يرجع إلى لوقائع من قسمها وحديثها حتى تسقط شبهته بين يديه، ويوفن أن عمر لم يحاسب حالاً بميزان عمر الذي حاسب به جميع لقاده والولاة، وأن المدهش الحق أن يبقه في الولاية ولقيادة بعد ما أخذ عيه، لأنه حينئذ يكون قد وزن بميزانين وكال بكيسين.

ولدى أخذ عمر على خالد يرجع بعضه إلى أنام أسبي عليه السلام، وبعضه إلى آدم أبي بكر وصى الله عنه وبعضه إلى أيامه، وكله مما يصح أن يؤخذ به في موقف لحساب وإن كان الذي حدث في أيام عمر وحدها كافياً لما قضاه في أمه.

ففي فتح مكة نهى رسول الله حالداً عن القتل واقتال وقال له ولزير «لا تقابل إلا من قتلكم» ولكن خلد، هائل وقتل نيف وعشرين من قريش وأربعة نهر من هذيل، مدخل رسول الله مكة فرأى امرأة مقتولة فسأل جنظلة الكتي

(١) اسرة لشر

من قتلها؟ قال: خالد بن الوليد . فأمره أن يدرك خالدًا فبذره أن يقتل امرأة أو وليدًا أو عسيقًا^(١)، ويبحث إليه من يسأله ما حملك على قتلها؟ فأعذر بخصم الرسول^(٢) في بليعه وشهد الرسول على نفسه بالخطأ فكف عنه.

ثم بعث رسول الله خالدًا إلى بني جذيمة دعاه إلى الإسلام ولم يبعثه للقتال وأمره ألا يقاتل أحدًا من رأي مسجداً أو سمع دُناً، ثم وصع بنو جذيمة السلاح بعد جدل بينهم واستسموا . فأمر بهم خد فكتفوا، ثم عرصهم على السيف فقتل من قتل منهم، وأفلت من لقوم غلام يقال له السמידع حتى اقتحم على رسول الله وأحبره وشك إليه، فسأله رسول الله هل تكر عليه أحد ما صنع؟ قال: نعم . رجب أصفر ربة^(٣) ورجح أحمر طويل، وكان عمر حاضراً فقال أد والله يا رسول الله أعرفهما أم الأول فهو أنسى وأما الثاني فهو سالم مولى بني حذيفة . وظهر بعد ذلك أن حاساً أمر كل من أسر اسيراً أن يضرب عنقه، فأطلق عدد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة أسيرين كان معهما . فرفع رسول الله يديه حين علم ذلك وقال «اللهم بني أبرأ إليهم» صنع خالد . ثم دعا على بن أبي طالب وأمره أن يقصد إلى القوم ومعه ابن وورق^(٤)، فودى^(٥) لهم الدماء وعوضهم من الأموال.

وفي عهد أبي بكر رضى الله عنه وجه خالد إلى بعض أهل الردة يدعوهم إلى أحكام الإسلام أو يقاتلهم حتى يتوبوا إليهم . فعزم على السير إلى مالك بن نويرة ولم يأمره الخليفة بالسير إليه، وأحجم لأبصار ستظرون أن يكتب إليهم الخليفة بما يروه وقال خالد قد عهد لي أن أمضى وأن الأمير ولو لم يأت كتاب بم رأيت فرصة وكنت إن أعلمت فانتنى لم أعمه وكذلك لو ابتلنا بأمر ليس فيه مه عهد إلينا لم ندع أن نرى أفضل ما بحضورنا ثم عمل به فأتنا قاصد إلى مات ومن معي من المهاجرين والتابعين وسست كرههم .

ثم حاته الخيل بمالك بن نويرة في نهر من بني ثعلبة بن يربوع فاختلعت السرية فيهم، يشهد قوم أنهم أدبو واقاموا وصنوا ويشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء، فلما احتلفوا فيهم أمر محبسهم في سبة ناردة، وأرسل قيما قين

(١) لصنف لأجير (٢) معنى لرسول الله حمل رساله على عليه السلام إليه.

(٣) ربة: معتدل الجسم. (٤) وورق: بكسر الراء المعجمة من اسراهم.

(٥) دوى: أعطاهم الفدية وعلى خال يعنى لأهل القليل يد القس.

مُتَادِبًا يَسَارَى أَدْعُو، اسْرِكُمْ فَظَنُّوا هُمُ اسْرُكُوا لَهُ، لَئِنْ دَعَا الْأَسْرَى
كَمَايَةً عَنِ الْقَتْلِ فِي نَفْسِهِمْ.

ويزيد بن مالك قال خالد أبعث إلي أبي بكر فبكون هو الذي يحكم قبته.
فلم يحبه خالد إلى طيبه وقال له لا أقالى الله إن أقبته. وتقدم إلى ضرار بن
أزور بصرب عنقه وتزوج بامرأته في الحرب، وهو أمر يكرهه عرب ونعايريه
وقد أسمع الخبر عمر بن الخطاب فقال لأبي بكر بن سيف خالد فيه رهوة^(١)
فدعته له أبو بكر بآته «نأول فأخطأ» وروى مالك وأسدعي خالداً إليه

قدم خالد فدخل لمسجد وعليه قباء ولفى عمامته أسهم مرره بمباهة فقام
إليه عمر فزعمها وحطمها وقال له قتلت مرأً مسلماً ثم سروب على امرأته؟ والله
لأرجمنك بأحجارك!

وكان أبو بكر رضي الله عنه هم بعمر خالد لاستنثاره بنصرته لئال أسي
في ولايته فسأل عمر من جرى جرء خالد^(٢) هذب عمر نفسه ليخفقه إن لم
يكن بد من ذلك، وبهر عمر حتى أصبح لظهر في الدار، ولا أن مشى أصحاب
رسول لله إلى أبي بكر يوصونه أن يحفظ بعمر لحاجته إليه، وأن يبقى حاسداً
في ولايته لحاجته إليه، ففعل بها أشاروا.

ذلك ما كان في عهد أبي بكر، فمما سويح عمر كتب إلى خالد أن
يراجعه في حساب المار ولا يعصى شأه ولا يغيراً إلا بأمره، فحالاه إلى ما
حرى به العنق قبله، وكان قد احاب أبا بكر بكلام مقبض قل فيه «إف ان
بدعنى وعملى وإلا فثبأك بعصب» فلم يصفها عمر وقال «ما صدقت لله إن
كنت أشموت على أبي بكر بأمر فم، بهتة».

وقد برمه به نه وهب لشاعر الأشعث بن قيس عشرة آلاف درهم، وبني
الأمر إليه كما كانت سمي إليه أحبار لولاة وبقواد من عبوته وأرصده فكتب
إلى أبي عبيدة أن يحاسبه على هذه النهة «قال رعم أنها من إصبهة أصابها
فقد أقر بالحبابة، وإن رعم أنها من ماله فقد اسرف».

وقد أسي خالد بن حبش في هذا الأمر فاعتقه أبو عبيدة بمعصيته كما أمر

(٢) يعني من يقدم معامه ويكون في مثل مكانه.

(١) الرهون: نسيم والسمة والطعن.

عمر، وبرع منه فلسفته في موقف الحاسبة حتى قال إنها من ماله ففومته عروصه وضم ما ردد منها إلى بيت المال، وقال له عمر يومئذ «يا خالد والله إنك على الكريم، وبت إلى الحبيب، وإن تعبتني بعد اليوم على شيء».

ولم يعزله عمر دفعة واحدة على إثر قيامه بالخلافه كمن جاءه في بعض الأخبار، لأن اسم خالد كان بين أسماء لشهود على عهد بيت المقدس بعد فتحه، والأرجح أن في تاريخ الفصحى وقع فيه بعض المؤرخين ومنهم ابن الأثير، فكتب عن عزل خالد في أخبار أسنة اثني عشر لهجره ثم ذكره في أخبار السنة لسابعة عشرة، وأورد في الموضوعين آخر لا منشأهات.

لكن حصة المالحد ابنه أخذه عن خالد من عهد النبي عليه السلام إلى عهد خلافته، وما من أحد يعرف عمر ثم يروح له أنه أنكر من خالد شيئاً كان يقبله من غيره، وأنه نصب له ميزاناً غير الموازين التي يحسب بها القواد ولولة وكل صاحب عمل مسئول، فرائى عمر في إنكار هذه المالحد معروف من بداية أيامه، والدين لزموه وتآذوا بشبهه بكروبيها مثله ولو كانوا على البعد منه، كما حدث من ابنه في بعثة جنيمة حيث آسى على خالد بعثته بمن أوثقهم وعرضهم على السيف، ثم أنكر النبي عليه السلام ما أنكره واستصوب ما استصوبه.

فعمر كان يكره الإسراع إلى القتال ويوصي قواده جميعاً بالترث فيه وربما حتى القائد المعور عن القعدة وهو كفؤ لها لأنه بعجز يقتل كما قال لسلطان قيس «لولا أنك رجل عجل في الحرب لوليتك هذا الجيش، وبحرب لا يصلح بها إلا الرجل المكث».

وكان يتحرج عنه الحرج أن يستنبح ثم يرى أو مسكك فيه، وتقدم في هذا الكتاب أنه لام أناس من أصحابه لأنهم قتلوا رجلاً ارتد عن دينه، وقال لهم «هلا سقتهموه وحسبهموه»^١ وتبين من رآه في أهل بركة أنه كان يؤثر اليهودية لا استنابة على الفحل، فإن كان قتل فبدي لا حصة فيه ولا محيص عنه، فإيكاره بفحل ماله بن بؤيرة وأصحابه هور به لدى لا شهود فيه، ويضاف إليه إنكار الباء بمرته^٢، ووقع الباء بها في أثناء المعركة، وهو أمر لا يفرد عمر بكرامته وتقاده، بل يكرهه العرب عامة مسلمين وغير مسلمين.

١) الباء بمرته الزوج منها

وكان عمر يحاسب جميع لولاة ثوى حساب يكتب عروضهم^(١) قبل ولايتهم، ويسألهم فيما فتوا من صرى أموالهم، ويأمرهم إذا عادوا إلى هيم أن يدخلوا المدينة بهار ليكشف ما عادوا به إليهم، ويقاسمهم كل درهم يربى^(٢) على المحسوب من أراقهم ويجرى على السنة مع كل واحد وكل عمل دى أمه قسم يستثنى منها أحداً قط، ولم يعرف ولا قط سلم من مصادرة أو حساب عسير.

فدى صنعه خالد حين أنكر «سرعة هجمته وشدة صدماته» سنة عمره لا شدة فيها، والذى صنعه حين حاسبه على هياته وبوريعاته سنة عمره كذلك لا شدة فيها، ولو أنه صنع غير هذا الصنيع لقد كان ذلك هو الشدة المستعرب الذى لا يقع من عمر بن الخطاب خاصة، لأنه لا يحب ولا يفرو في المعاماة ولا يبالى عصب قائد كبير ولا وال قدير وليس يحب أن يقلل رجلاً من الرجال لا على عهد لدولة الإسلام فرب كان شيوع هذه العقيدة أخطر على الإسلام من عزل وال مظلوم أو لولة مظلومين.

ولا ننسى الأمانة الكبرى التى هى أكثر من أمانة الرفق بالولة والعدل فى محاسبة العمال، ونعى بها أمانة الدين والدولة أو ما نسميه بحرفى يمانا «بالسياسة العليا».

عمر لا يتركذ بفسر أعماله هنا باجتهاد فى فهمها وتأويلها على ما يراه، بل يصرح للناس فيها بما نغيبهم عن التفسير ولتأويل.

فكان يرعى فى شئون الولة الكار وبقواد المشهورين أمريين يحيزان له عزلهم، ولو لم يقع منهم ما يوجب المؤاحدة.

أحد هذين الأمرين أن يفتن بهم الناس فيفتنوا هم بانس، كما قل لحالد بعد عمله والخوف فى هذا الأمر من لحد الكفء أعظم من الخوف من قائد صغير لم يمل أحسن البلاء ولم تتساير بذكره الأثناء، قلنس لهذا، خطر فى بقاءه كخطر القائد الكبير.

وحطته هـ عامة لا يخص بها والاً دون ولا قائد دون قائد

قلما عزل زياد بن أسى سفسان عن ولاية العراق سأل زيب بم عزلتنى يا أمير المؤمنين؟ ألجى أم خيانة؟ فقال له لم أعزلك لواحدة منهما، ولكنى كرهت

(٢) يربى يربى

(١) العروض، الامتعة.

أن أحمل فضرك على الناس. وقديماً قال منه عمر لو كان قرشياً لساق لعرب بعصاه. فاحيطة منه وفق رأيه فيه.

وقد كان من خلق عمر أن يقدم الحذر ويأخذ الحطة ويصل لروية ثم يجزم بأمر أي السلب في غير إبطاء، ولهذا كان يكره ولاية برجن الفخور وينهى عنها في خلافته وقبل خلافته، فأشار على أبي بكر ألا يولي خاد بن سعيد وكلمه في عزله لأنه رجل فخور يحمل أمره على المعاملة وانتعصب، فعزله أبو بكر كما أشار

فيذا اجتمع لعمر هذا السبب من أسسب السياسة العليا إلى اتخاذ التي أبكرها على خالد فلا جناح عليه، ولا محل للشك والصلة في أسباب عزله.

لقد رأى زهو خالد بالنصر والعلب قبل أن يفتح الشام ويسبق بالشهرة أتاده من لقود رأى ذلك يوم عاد من حرب أهل الردة فحلل المسجد وفي عمامته السهام وراه يوم سئل يست المال في ولاته على عهد أبي بكر وعمر عهده، وراه في أمور كان يفتدئها ولا يستأذن فيها، وراه مما يحس ولا يلمس ومما يقدر ولا ينتظر، «إبداً شفق أن يفتن الناس كما اعتدوا به فلا حياح عليه».

وثاني الأمرين الدين بدخلان في تقدير أسبسة العلب ويجيران العزل في غير جريره ضهره أن يصبح القنا ضرورة لا على عنها لتسير الجيوش وفتح الفتوح، وأن يعزى إليه النجاح فتتخاد العرائم وتصغر أقدار إلقاده بونه، وأن تعظم العقيدة فيه فتضعف العقيدة بالله، ويخسر الجيش بذلك أضعاف ما يحسره بإقصاء قائده ولو لم يكن له نظير

فإن كان له نظير كما تبين من اختيار عمر لقواده في كل ميدان فلا حسارة هذا، بل هو كسب العقيدة وكسب قائد جديد وبدا حال اليوم الذي ينتفع منه بالقائد المروء فهو قمين برفع ما نقت به بعية من صلاح وخير

وبعويل عمر على لعقده أمر بعزوه إلى كل شيء ففراه فيه على صواب، وعزوه إلى إيمانه بالله فهو فيه مصيب، وعزوه إلى حسن سياسته فهو فيه مصيب، وعزوه إلى تقديره لمواقع فهو فيه مصيب فكل أولئك كان خليقاً أن يرجح كفة بعقيدة عنده على كل كفة، وأن يوجب عليه استبقاها قبل كل استنفاء وألا يراى بالناس يذكرهم ما ذكرهم به حين كتب إلى الأمصار بعد عزله خالداً «إن الله هو الصانع، ولا يكونوا بعرض فتنة».

وبو ان رئيسا لحاله غير عمر بن الخطاب في إيمانه الكبير، لما هات أن نعم
 بن كانت قوة لمسلمين وهم كانوا استصبرهم في جميع الميادين ولا فاته أن
 يستقي هذه القوة بكل وسيلة وأن يهديها بجميع ما في يديه تلك قوة لعقيدة
 لا مراء، بن ضاعت فلا عوض عنها، وإن بقيت فسفاده عوض كثير

فكيف بعمر بن الخطاب الذي يؤمن بهذا إيمان تسليم كما يفكر فيه تفكير
 سياسي ومدير؟ لئن سئى ذلك فهو الحقيق باللوم على سياسه، وإن ذكره
 فاقصده ذكره أن يعزى حاله غير جريرة لما كان عليه من لوم وهو كما رأينا
 لم يعزله لغير جريرة، ولم يكن حسابه له مختلف عن حسابه للقادة والولاة .
 وقد كان أبو بكر نفسه - وهو من بقي حالداً - يسمح بعض الخطر من افساد
 الناس به حين قال: أعجرت النساء، بن سئى مثل خالد

ويؤكد بعويل عمر على العقيدة في كل محاج وإساده كل فشل إلى ضعفها
 والترخص فيها أن الحش الذي عزا مصر أياً في فتحها فالس عمر علة
 ذلك في ضعف سائهم ويكتب اليهم بقول «عجبت لابطائكم عن فتح مصر
 تقابلوهم بمد سبيين، وما زال إلا ما أحدثتم، وأحسب من الدين ما أحب
 عدوكم، وإن لله تارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق بئهم»

عطرته في عزل خالد في النظرة العامة التي لا تخصيص فيها برحل ولا
 لعركة ولا لمكان، وتقدمه لعقيدة على كل عدة من عدد البصر هو الخطة التي
 جرى عليها في مراقبة القادة ومراقبة لحوش ومدير عدد لمصر وتحسب
 لمسلمين مارق الحالان وهل أخصاً هل كانت منه حماسة إيمان ولم تكن روية
 بفكره هل يرى عمر هذا الرأي نافذ عسكري من أعداء الإسلام لو بحث في
 الآخر وفي إلى حقائق الاسباب، كلا، بل هو صدق الرأي وصدق الإيمان معا
 مقتربين، لا يشير هذا يعير ما يشير به ذلك.

وبو ان هذا من سبب «السياسة لعنا» بحجر لعمر ما استجازه من عزل
 خالد من القيادة والولاة ولا سيما بعد ما أحد عليه ما أحد، ويعمد علم
 الناس أنه لا يسامح أحداً في مثل هذه المجدف بله يسامح خالد فيها
 إنه بن لصانع البصر الذي لا على عنه، وإن الخطر الأكبر الذي يحشبه لقد
 حق على أحد وعلى الدولة، وقد حق معه خطر حر لا يقن عنه أن يسكن

النس إلى انفرهه في احساب، و ن بالقو ما يعب إذا عيب من الوعس
والأقطاب، نون الالباع والانتاب.

ومسألة أخرى يجب ألا يفعل عنها الرجل العصري وهو ينظر في عزل حال
للأسباب التي قدمت أو لآي سبب غيرها. وبذلك أن حقوق الولاية في عصرنا
غير حقوق الولاية في عصر عمر عني التحصيص وهو العصر الذي بدأت فيه
تجربة الولاية والعمالة في دول الإسلام

فالولاية في عصرنا مركز مسحقه موظف الحكومة معد مرابه طوية ودراسه
خاصة واستعداد مقصور على صاعقة من المرشحين لها لم تشركهم فيه طائفة
أخرى وكأنها صاعقة العمر لتي لا يحتمل عمر لإنسان تحديد صاعتين
مثلاً فهذا هل إن والنا عزل في عصرنا فكأننا نقول إن تحرا صوير ماله
أور رعا حيل منه وبين ررع رصه ومصادره من هذا انفس حري ان تلمس
لها أسباب من قبيلها في الرجاحة والإقناع

غير أن ولاية في عهد عمر لم تكن كذلك نوجه من الوحوه ولم يكن
لصاحبها مثل هذا الحق الذي صطلح عليه وير لم ينص عليه القانون، وإنما
كانت حرية ارتحالية بتساوي فيها جميع الصالحين من مسلمين، لا ينقطع
بها صاعقة العمر ولا بسدفة الاستعداد و لمائة فيصح أن يعزب الوسي لأسباب
هوى من تلك الأسباب التي قدمت في الرجاحة والإقناع، ويصح أن يكون
للعزل معنى الدونه في مدة متساوية بين جميع المسلمين

«نه بر «ابن حنتمة» أي رجل كان!»

كلمه قالها رجل يعرف الرجال. فلها عمرو بن لعمص وكأنه لم يكن يود أن
يقولها لولا أسطقه بها لإعجاب ندي لا يجدي فيه كتمان

وهي كلمة بقولها النضر هي سيرة عمر كلف وقف في احصاءه موقع النادر
الذي يبحث عن خطأ هلقبه حيث بحث عنه عسير، حد عسير أي رجل كان
هذا لرجل؟ أي عدل كان عدله؟ أي قسطاس كان قسطاسه؟ أي حساب كان
حسابه لنفسه؟ وأي سبيل للنادر إلى رجل كان بحاسب نفسه هذا بحساب؟

وربما حلتفت لأمرحة أو حلتف تركيب العفول والأنس هل في ذلك ما
نساء، وهل في حلائق عمر ما يشاء من هي الشده والصرمة، وقل هي

لحشونه و لصلابه، أو هل هو سيدن الصعف وفرط العيرة على الحق هي علم
بسكر فيه مصابغة بحقوق ويسعظم فيه تكلف الصواب. فمن ما بدأ لك من
ذلك وادهب ما شئت ان تذهب فيه فبذك لا يعطى لمراج حقه ولا نعصر له
فرضه حتى يحذر بعد ذلك هي سبب انفس أو علة اختلاف، لأنه لا يرول أمراً
إلا وهو صواب لا محذور فيه لسوء الطوية من وجهة ذلك المراج.

كنا نقرأ عن عزل حاله ما سفق قرعته من هب وهداك، وكذا نستمع إلى
الدين يربوه، إلى المناهضة والتناظر فنجيز هذا ولا يمتعه أو يرى فيه مثلاً من
قدر عمر ومنقصه تغض من إعجاب بمرايه، لأنه قد يعر من حاله ويعرله بغير
حريرة ويبقى له بعد ذلك قدره، لجلي وأثره، بضحك في تاريخ لإنسان.

وفي عصرنا هذا رأيت أنصلاً حدموا أقومهم، ثم بلغ من صعبهم على
مفسمهم أنهم قتلوه، ولم يقنعوا برفضهم عن الحكم ولا بعصبيتهم بين
بدى القضاء، ثم نصب لناقذون لهم موارد النقد فأسقوا السيئات من
لحسنت، وهربوا فخر أفراد يرحب، أمة، عبقى لأولئك الأبطال حقهم الحال في
لثاء والتعظيم وإد بلغ من صواب عمر أنت لا تحصي عليه خطأ غير عزله لحال
وما جرى محراه، فما أكثر هذا صوت على الأدمى وإن كان من أعظم اعظماء

بدأت نقرأ عن هذه القصة وفي حلينا هذا العرض الذي حملنا على
سببنا، وعلمنا أنه خطأ يذكر إلى جانب حسنات، فلا ضير أن يكون له
موضعه في جانب تلك الحسنات.

ثم نقرأ كل ما تسمى له أن يقرأه هي هذه القصة فلا نزال سببنا الخطأ
ونستبعده، ولا نزال كلمة ابن لعاص تعود إلى سببنا وتعود، حتى نصفنا بها
كم هي، وعقر الله لابن العاص.

ومكنا كنا نصنع في كل خطأ سبب إلى عمر ونواتر على السمع دون
تمحيص واستقصاء فلا نزال ما الوقائع حتى تثبت بطلانه من أساسه، أو
بضعف سنده ضعفاً لا يبيح الاعتدال عليه، إلا لمن يتجنى ويسجل ذرائع استفد
ودعوى التحصنة والعيب.

كلا، هذا، رجب لا بسبب مقده ولا ينفى لإسناد أن يحاسبه كم حاسب هو
نفسه، وإن يقع الخلاف بين اصنف وبينه إلا على أنه خلاف في المرحلة

ونركب العقول والأبدان وهذا وضع هذا موضعه من التقدير فأعسر عسير بعد ذلك ن تلومه على خطأ وأن نحصى عليه خطأ فنه من سوء البية بصيب.

فلذى حصل ولذى كان متوقع حصوله بتعيين الصنة عن مروعة عمر وبصافه في قضية خالد بن الوليد، وقد حكم فيها بموجب عنده، وانتهى كل شيء بعد ذلك هي هذه القضية بانهاء العرص منها في حصله استوله ومصلحه استياسة العبد، لا موضع فيها لحزرات اسفوس وصغار المناهسة وما تجر إليه من لغو المشاكسة وفصول الكلام،

قال حالك لن تعتب على شيء بعد اليوم، ثم أمسك عن لحوض في قضية إلا أن نذر في معرض عدم، فيشير إليها حيث تثار على سبيل الاعتذار ويقين ما شاء له كرم الحليقة أن يسمع من حلام الأقربين والمشايخين وإن عطوا في المقال، على ما كان له من هبة تزد الجامع ويخفف من لا يحاف،

قال من خطبته بإجابة إني عتر إليكم من عمر خالد بن الوليد، فإني مرته أن يحسن هذا الحال على ضعة المهاجرين فتعطى ذلك الناس ودا الشرف ودا اللسان فبصدي له بو عمرو بن حفص بن المغيرة وحانية بكلام عليط يقول منه «والله ما أعذرت يا عمر ولقد برزت غلاماً استعمه رسول الله ﷺ وأعمت سيفاً سله رسول الله ﷺ، ووضعت قرأ بصبه رسول الله ﷺ وقطعت رحم وحديث بني العم...».

فما رآه عمر على أن قال وهو بعده «بك قريب لقريبة، حديث السن، تغضب في أمين عن»،

ولم يسر أن يصون للرجل اسمه ومروله في أمصار المسلمين، فكتب ما لمعا إليه أنف يمحض عنه سمعة بعجز واحسانة، ويجعل العزل لفضيلة فيه لا بقصور منه ولا لتربيب عليه،

وعلم بموته فاشهد حزنه عليه واسترجع الأمر را وبكس رأسه وهو يكثر من الترحم عليه، ثم قل كى والله سداد ليجوز اعدو ممنون لبقية

وام بهمه أن تذكر صوابه أو خطئه في عزله بمقدار ما أهمه أن يعين فصله ويذكر حسباته فقال «قد ظلم في لإسلام ثمة لا يربق» وقبل به لم يكن هذا

(١) سرجع قال ، والله وأنا إليه واجفون

رأيت فيه^١ هم يحجم أن يعلن قسلاً «دمت على ما كن منى إليه». وقال في
غير المعرض وبغى أنه لم يعقب من حطام الدب غير قرسه وعلامه وسلاحه
«رحم الله أنا سليمان كان على غير ما ظننه به».

وقد كن عمر يهوى عن الدب والعويل، فلما مات خالد واجتمع بنات عمه
بيكنه وسئ عمر أن يهاهن قال: «دعهن ييكنن على أبى سليمان، ما لم يكن
نعم أو لقنقة، على مثله تبكى الواكى».

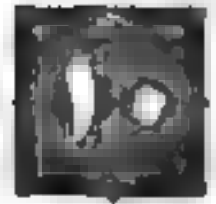
ودخر هشام بن الحدرى فى نرس من منى محروم على عمر فاستثبده
شعره فى خالد، وقال له وقد أطل الإصفاء إليه: «قصرت فى الثناء على أبى
سليمان رحمه الله، إن كان ليحب أن يذل الشرك وأهله، وإن كن الثامت به
لمتعرضاً لقت الله، رحم الله أبا سليمان ما عمد الله خير له مما كان فيه».

ومن الحق أن يقال إن عصبة خالد قد أرتنا مروعة خالد كم أرتنا مروعة
عمر، وقد عرضت لنا هذا اسطل فى صفحته فإذا هو مطل الفؤاد فى ولايته
وبعد عرله، وفى شدته على عدوه وطاعته لأمره. وما على مثله من ضير أن
يحق عليه العزل فى ميزان عمر بن الخطاب فذاك ميزان تعلو فيه الكفة ولا يزال
صاحبها راجحاً أى رجحان.

وقد ستحق المحد ييقين واستحق العزل بظن، وأولا مصلحه على من
مصحة الإبقاء على رضاه لقد كن ذلك الظن حقيقاً بالغص عنه والتجوز فيه.

وكفى بالرحلين قسلاً أن يختلفا ومن وراء اختلافهما فضل يعترف به
كلامهم ويعترف به كل محب وشائى وكل مصنف وجاحد، وما نحن أن
تقديرنا خالداً وتقديرنا عمر بدعوتنا أن ننصب الميزان فى هذه لقصة من
حديث، فقصارى ما نغنم من ذلك أن خالداً كان جديراً بالإبقاء فى منصبه ولم
يكن مستحقاً لعرله، وليس ذلك بشئ إلى جانب ما رأياه حين ننصب الميزان
فى القضية كما نصبه خليفة لإسلام، فقد أرات عدلاً أعظم من بطولة
الأبطال، فإن أخطأ النطل - على تقدير خصنه - فالعدل أعظم منه وأحرى أن
يعقبه كأنه من أضعف الضعفاء، وذلك ميزان شرف لعمر وبخالد وللإسلام من
كل ميزان

ثقافة عمر



إذ تكلمنا عن ثقافته عمر بلغة العصر الحاضر جار لنا أن نقول إنه كان رجلاً وافر الحظ من ثقافته ومبادئه، إنه كان أديباً مؤرخاً فقيهاً، مشركاً في سائر الفنون، مدرباً على الرياضة البدنية، حصيلاً مصبوحاً على الكلام، فليس أرجح من نصيبه هي ثقافة زمانه بصيب.

طل في إسلامه كما كان في جاهليته عظيم الشغف بالشعر والأمثال والطرف الأدبية، بل ظهر كذلك بعد قيامه بالخلافة وشغاله بجلالته ودقائقه التي لا تدع له من وقته فراغاً لغيرها، فكان يروي الشعر ويتمثل به ويحث على روايته ويعتد به من تمام المروءة والمعرفة كما قال لابنه عبد الرحمن «يا بني، اتسب نفسك بصر رحمتك واحفظ محاسن الشعر بحسن أدبك، فإن من لم يعرف نسبه لم يعرف رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً وبم يقترب أدباً». وقال للمسلمين عامه «ارووا الأشعار فإبها تدل على لأحلاق».

ونظر إلى فادته العملية كما نظر إلى متعته الأدبية، فقال فيه إنه حذل^(١) من كلام العرب يسكن به، ليعيظ ويصفى به النثرة^(٢) ويبلغ به القوم في ناديتهم، ويعطى به السائل.

وكانت متعته بطرف لآدب من ممتع الحياة التي لا يبالى الموت لو حرم نصيبه منها، فكان يقول: لولا أن أسير في سبيل الله، وأضع حبهني لله، وأجلس أقواماً يتقون أطيب الحديث كما يتقون أطيب الثمر لم أبل أن أكون قد مات.

ورداً أفترت العبدية باستطراف الحديث المذهب عند عمر فذنت عاية ما يبعه فضل الآدب عنده من ثناء وتفریط.

وقد كان إعظام الرجل في عينيه بمقدار حذقه لحديث وقدرته على الإبانة والمتطق الحصيف، فنظر يوماً إلى هرم بن قصبة ملتقاً في بيت^(٣) بناحية المسجد

(١) لجنس، لأصل.

(٢) أسيرة الهياج.

(٣) بيت الطيفلس من حر وجوه.

وقد عرف تقديم العرب له في الحكم وعلم وهو ما هو من دماحه وضالته ومنظره
 ردى، فأحسب أن بكشفه ويسير حكمته، فسأله في عهده بن علاثة وعامر بن
 الطغرث أن، بن بندهرا إليك، ليوم أيهما كتب بنفر^(١)؟ فتجاهه الرجل يا أمير
 المؤمنين، لو قلت كلمة لأعدها جدعة أي لأعد الحرب معه كما كانت هائلي
 عنده وقل: لهذا العن محكمت إليه العرب!

وجاءه وهو فيه الأحف فتركهم جميعاً، وسفح ما عنده من الحديث،
 فاعجبه وأعظم قدره، وعقد له الرئاسة إلى أن مات.

وسره أن عد العرب إلى روبة اشعر بعد أن شعلهم عنه الجهد في سبيل
 الدين فكان يقول إن الشعر «كان عم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء
 الإسلام فتشاعت عنه العرب بالجهاد وعزو فارس والروم ولهيت عن الشعر
 وروايته، فلم كثر الإسلام وجاءت لغنوح واصمات العرب بالامصار راجعوا
 روبة الشعر فلم يثلوا^(٢) إلى ديوان مدون، ولا كتب مكتوب، فالفوا ذلك وقد
 هب من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقله وذهب منهم كثره»

ومن ناحية الأدب فيه وناحية لدير معاحته على تعم لعربة «لأنها تشئت
 العقر وتريد في لرودة» وقد أوصى بوصع قواعد النحو لأنه قوام لعربة.

ولم يزل عمر الخنفة هو عمر الأدب طوال حياته، ولم ينكر من الشعر إلا ما
 ينكره المسئول عن دين، ولم ينس قط أنه لأديب الحافظ الراوية إلا حيث ينبغي
 أن ينسى ذلك ليذكر أنه القاضي المتحرز الأمين.

فنهى عن التشبيب بالخصيات كما نهى عن الهجاء، وحى له بالحليئة
 منهما بهجاء البرقن بن بدر حيث يقول فيه:

دع امكارم لا يرجل ليعيه واقع قبك أنب بصاعم الكسي^(٣)

فقصى انه الأدب الراوية، ولم يذكر إلا أنه لفاضي الذي بدرأ الصدور
 بالشيء ولا يحكم بما يعم دون ما بعينه أهل لصاعه، وهل ليرقن ما
 أسمع هجاء ولكنها معدة ثم يسأل حسن بن ثابت قصصى انه هجاء وأفحش
 في هجائه، فقصيه وأندره وبهاه أن يعود إلى مثلهاء، فينتهى طول حياته عمر،

(١) بنو علاثة بنوه، غلب في أئمه، ويعر ملاب «استخدم الف» «يعر» عالة وعليه وحكم له، وهو
 بصود هاء (٢) لم يثلوا لم يرجعوا (٣) انطاعم الكسي أي انطاعم مكسور

ثم عاد إلى الهجاء بعد وفاته. واستعده تميم بن مقبل على الحاشي لأنه قال
في قومه بني العجلان

إذ أله عدي أهر لؤم ودة فعادي بني العجلان رهط ابن مقبل
فذكر عمر قضءه ولم يذكر روايته لشعره، وقال علي بن سنان القصصاء يدفع
الحيود بالشبهات إنه دعاء والله لا يعادي مسلماً
قال تميم فرته يقول عن

قبيباته لا يقدرون مدممة
ولا يظلمون أناس حبة خردل
فمن عمر: ليتني من هؤلاء. قال تميم، وإنه يقول
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل
فقل عمر كفى ضاعاً من تأكل لكال لحمه
قال تميم وإنه يقول
ولا يردون الماء إلا عشيبة إذا صدر ثور من كل منهل
فقل عمر ذلك اصفي للماء وقر للسكاك في لوحام*
قال تميم، وإنه يقول

ومما سمي العجلان إلا لقولهم
خذ القصب^(١) واحلب أيها العبد واعجل

فقل عمر. كلب عبيد، وخير القوم أنفعهم لأمله
قل تميم، فسله عن قوله.
أوفك أولاد الهجين وأسرة (م) اللثيم ورهط بعدد بتدل
فمن عمر أما هذا فلا أعذرك عليه. وحبس الشاعر وضربه وندره لئن عاد
لبضاعفن له العقاب.

(١) القصب قدح صلب غليظ، جمعه قعاب، وأقعب

وقد تجرّب قللاً إن عمر نسي علمه بالشعر ليذكر إبراء الدمة في القصاء،
وقد حاول ذلك جهده فافلح لو يفتح أديب في سبيان أدبه، ولكنه مطلب ما
استطاع قط وإن يُسْتَطاع، فكان عمر في تحريجه للكلام وعلمه بما تنصرف
إليه معانيه أحبر بالشعر من قاضي لا يفقه منه إلا ظاهر لفظه ومعناه.

ومن المشهور عن عمر أنه كان عظيمًا بتاريخ العرب وأيامها ومفاخر أسبائها
كعلمه بالمتخير من شعرها والناس من أمثالها

حنح إلى ذلك بطبعه وبقه عن أبيه، وكثيراً ما كان يقول كما جاء في البيان
والتيبين سمعت ذلك عن الخطاب، ولم أسمع ذلك عن الحصص

ومن وصاياهم «اعلموا النسب ولا تكونوا كبيط لسوار^(١) إذا سئل أحدهم
عن أهله قال: من قرية كذا» ومنهم «عليكم بطرائف الأخبار، فإنها من علم
الملوك والسادة، وبها تدل، لمزلة والحصوة عندهم».

وقفه عمر بالشرعية لتي كان مستهلاً عن بقاها مشهور بين الفقهاء
كاشتهار أدبه واطلاعه على تاريخ قومه فكان عبد الله بن مسعود يقول: «كان
عمر أعلمنا بكتب الله، وأفقهنا في دين الله» وكان إذا خُلف أحد في قراءة
الآيات قال له اقرأها كما قرأها عمرو، وأطنب فقال: «لو أن عم عمر من
الخطب هي كفة ميزان ووضع علم الأرض في كفة لرح علم عمر بعلمهم»
ولقد كانوا يروون أنه ذهب بنفسه أعشار العلم، وقال ابن سيرين: «إذا رأيت
الرجل يزعم أنه أعلم من عمر فشك في دينه» وكل ما فسر به أي القرآن في
معروض الحكم والعظة فهو بتفسير الرايح في وزن العقل والدين، وكل ما
استخرجه من أحكام الشريعة فهو الحكم لواصح الصحيح.

وبصانحه للعلماء والمتعلمين بصنح عالم يعرف ما هو العلم وماذا، يجمل
بالعلماء في صبه، فكان يقول: «اعلموا، العلم وتعلموا لنعم السكينة والحلم،
وتواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمون، ولا تكونوا جبيرة العلماء
فلا يقوم علمكم بجهلكم»، وكان يوصي طلابه «أن يكونوا أوعية للكتاب وناسع
للعلم، ويسألوا الله رزق يوم بينهم، ولا يضربهم إلا بكثرة لهم»، ولا يزال يذكرهم
أن الله مقدم على السادة: «تفقهوا قبل أن تسودوا».

(١) السط جيل من النعم يزلون بالعلم بين العلمين

ولم يقصر بصائحه على عم الدين، ولا علم لأطب واللغة وحده، بل تناول كل ما عرف من معرف زمانه فقال: «تعموا من النجوم ما يدلكم على سبيلكم فى البر والبحر ولا تزيدوا عليه». ولاشك أن بصائحه العممية فى طب لعم كانت أغلب من نصائحه، نظرية فيه، شأنه فى ذلك شأن رجب الدولة الذى يعلم الناس ما يفعلهم ويصلح معاشهم ويذهب أحقادهم . ولكننا محطون إن فهمنا من هذا القول لدى رويده فى عم النجوم أنه كان يكره الريادة الحديثة فيه كما عرفناها نحن فى أيامنا، فهنا الريادة التى كرمها فى تلك التى كانت على عهده تحوض فى التجيم وتربط أقدار الناس بالكواكب، وتحمل معها أرباباً تعدد وأرصداً ترتعن على أسرار الغيب، وذلك ما أنهى عنه الآن، وبعد المسهى عنه من تحقيق العلم الصحيح.

ولم يفتنه الحرص على المعرفة التى نحنزع منها منافع أساس فى أمر المعاش، فطلب إلى أبى لؤى غلام لمغيره أن يبحر ما اسعاه من احترار طاحون مدار بالهواء، وهو عم الصناعات كما انتهى إليه فى عصره، لا يصيره أنه قسط ضئيل بل حرصه عليه مع ضالته دليل على ما بلفه منه تشجيع للصناعة يوم يراها جليلة كبيرة الآثار.

على أن زبدة التفاهة كلها فى أقطاب الحكم وعظماء لأعمال إنما تتلخص فى شىء واحد هو الدراية بالناس، وبعد البصر فى شئون الدين، وصدق لخبرة يحدثل لنفس البشرية أو هو ما سمى فى أيام هذه بالرى السليم والحكمة لعممة، وهو مجال كان عمر بن لخطاب قير النظراء فيه، وحفظت له كلمات فى معانيه بذر مثيلاً بين كلمات الحكام، ولا يكثر مثيلاً بين كلمات احكاماء.

فأى كلمة أدل على لنفس البشرية من قوله «س العاقل الذى يعرف الحير من الشر، ولكنه الذى يعرف خير الشرين»

وأى بقاد فى تركيب الطبائع أمضى من بقاءه إذ يقول: «ما وجد أحد فى نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها فى نفسه». أليس هذا بعينه هو مركب القص الذى يلهج به علم النفس الحديث؟

وأى رى فى مجرمة الناس صدق من رأيه حين يقول

«لا تعتمد على حق رجل حتى تجر به عند الغصب» أو حين أثنى بعضهم

على رجل أمامه فسأله « صحبه في السفر » أعاصه ؟ « هما أجاهه بقيا قال
« فأنته » لقاتل بما لم نعلم ».

وأي فهم لعنى الاستعداد للعمل اقرب من فهمه حين يصبح «عاملين» «إد
توجه أحدكم في لوجه ثلاث مرات قم بر خيرا فليدعه»

كذلك سدد جوابه حين سئل فحين يشتبهى المعصية ولا يقارها ، وفيمن
ينهى عبء وهو لا يشتبهى أبهم «فصل وجزل متوبة عند الله» فكف في هذ
قصص لخطاب رد قال «إن الذين يشتبهون المعصية ولا يعملون بها ﴿وَأُولَئِكَ
الَّذِينَ أَحْصَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ لَتَقْوِي لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ» . وكذلك وصيته بكنمان
السر وتبنيه بحسن عبءه حين قال «من كنتم سره كان اخبر بيده»

وكذلك وصيته في الحب و لبعض حين قال «لا يكن حبك كلفا ولا يفضك تلفا» .
وكذلك مضافته محبه الفرع على الناس أسد من مخافته محنة الحمر حين
قال «أحذركم عاقبة افراع فبه أجمع لأواب امكروه من السكر»

وكذلك وصاياها لتي كانت تحفل بها كتبه إلى بولاة ، وخطبه في الصلوات
والأعياد كلها أتت من هذه الحكمة العملية لتي هي خلاصة الثقافة المحمودة
في أقطاب الحكم خاصة ، وفي كل رجل يراول شؤون الحياة على التعميم

أما مشاركتها في سائر المسوول والمعروف اتى كاب ميسورة على عهده فمنها
استغرب عند من يتخس صورة عمر من حمة أبحاره ، ولا يتقصى فيها إلى لتفصيص .
فقليل من يتخبر أن عمر كن يعرف «جغرافية» الشرق كأحسن ما يعرفها
رجل في وطنه ، ولكنه كن يعرفها حقاً عن سماع وعن رؤية وعن ركابة بعين
لسماع والرؤية بل كان يعرض على بولاة أن يحيطوا بعلم ما يتولونه من
بلاد ويعزل من يرى فيه نقصيرا عن ذاك ، فمستقدم عمار بن ياسر أمير
لكوفة لما شكوه إليه وقالوا في شكهم هم إياه «إياه لا بدري علام استعصم» .
وحمل بسأله عن الموقع والبدان من بلاد العرب وأفارس حول كوفة سؤال
مطعم خبير ، ثم عزله لتقصيره بعد احتباره .

ومن أواحب أن يشك في كن خير بوهم أن عمر كن يجهل معرفه من
المعروف العملية التي يحاج إليها في تسيير لدونه فلا يعبر مثلاً أنه كن يجهل

المعرفة العامة بالحساب، وقد كان تأخراً منذ نشأته في الجاهلية، وكان يحضر الحيوث ويعرف ما هي الألوף وما هي عشرات الألوף، فإذا استفسر عن رقم فمن يكون، لا استفسر نجاهل واستعظم، وليس يحبل وغراره كما جاء في أخضر الخراج من حجر وبخزين.

قال أبو هريرة ما فحواه قدمت من حجر والبحرين خمسمائة ألف درهم، فأنيت عمر بن الخطاب ممسياً، أسلمه إليه فسأل كم هو؟ قلب خمسمائة ألف درهم قال. وتدرى كم خمسمائة ألف درهم؟ قلت نعم، مائة ألف ومائة ألف حمص مراب. قال. أنت باعس، اذهب هت الليلة حتى تصبح.

فكل شيء، يجوز أن يفهم من هذه القصة إلا أن عمر كان يحبل ذلك الرقم ولم يسمع بعثته قبل ذلك، وهو الذي شهد الدولة وحسابها من عهد أبي بكر وأحصى الحد والمال في عهده. إيف هو غبطة واستعظام، وليس هو جهلاً بدلالة هذا الرقم هي جملة الحساب.

وإذا قل من يتخيل علم عمر بالجغرافية والحساب، فنقل من أولئك من يتخل له خطأ من السماع والثناء، ولكنه كان سميع ويعنى هي بعض الأحسن، ولا ينهي عن غناء إلا أن تكون فيه عوابة تشير لشهوت، جيء له برجل يعنى في الحج وقيل له إن هذا يعنى وهو محرم، فقال. دعوه فإن العناء زه الراكب.

فدوى بن مولى عثمان بن عفان أنه خرج في ركب مع عمر وعثمان وابن عباس، وكان مع بائل رهط من أشجار فيهم رياح بن المعتز الفهري الذي كان يحدو ويحب، لحداء^(١) والغناء. فسأله ذات ليلة أن يحدو بهم فأبى وقال مسنكر. مع عمر؟ قالوا. احذفن نهك فسته فحداء، حتى إذا كان سحر قال له عمر كف فإن هذه ساعة ذكر. ثم كانت الليلة الثانية فسأله أن ينصب لهم نصب^(٢) العرب فأبى وأعد استنكروهم بالأمس قديلاً مع عمر؟ هاوا له كما قالوا بالأمس انصب فإن نهك فاسه فنصب لهم نصب العرب حتى إذا كان السحر قال له عمر كف فإن هذه ساعة ذكر. ثم كانت ليلة الثالثة فسأله أن يغنيهم غناء القيان^(٣) فب هو إلا أن رفع عقيرته^(٤) بعابهن حتى نهى وقال له كف فإن هذا يعفر القوي.

(١) الحداء الغناء الإبل كي تحد في السير (٢) النصب غناء رقص من الحداء وهو غناء الرقص.

(٣) القيان جمع قينة وهي نادرة ليضاء وقيل. حتمت بالعدة (٤) عقيرته صوته

وكان يخرج للحج ومعه من يحسن الغناء، فيقترح عليه أن يغنى شعرا ويؤثر أن يكون ذلك من شعره.

خرج مرة للحج ومعه حرات بين جندر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن ابن عوف، فاقترحوا على حرات أن يغنيهم من شعر ضرر، وهل عمر بل دعوا أنا عبد الله فليغى من نبات هؤده، فصارال يغنيهم حتى كان أسحر، فهبط به عمر أرفع لسانك يا حرات فقد أسحرنا.

وجاء قوم فدكروا أن إمامهم يصلى بهم العصر ثم يغنى دُئيات من الشعر، فقام معهم إليه و استخرجه من منزله وسأله فيما بلغه عنه، واستشده الأبيات التي يغنيها فأشده.

وفسوانى كلما نهته	عاد فى الذات يغنى عسى
لا أراه الدهر إلا لاهياً	فى تماديه فقد مرحى
يا قرين السوء فهد الصب	فى العمر كذا باسعى ^(١)
وشباب بار ^(٢) ملى مصى	قل أن أقضى منه أربى
نفس لا كنت ولا كن الهوى	اتقى المولى وحافى وارهى

فأعد لبنت الأخير، وقال لمن شكوا إليه من كان منكم مغنياً فليغى هكذا وكان مرة فى سفر فرجع عهده بلغاء وأشده

وما حملت من ناقة فوق راحلها

أبر وأوفى ذممة من حمس

فاجتمع لركب إليه فقراء، فتفرقوا فعز ذلك وفعلوه مرات، فصاح بهم «يا بى منك»^(٣) إذ أخذت فى مر مير الشيطان احتمعتم، وإذا أخذت فى كتاب الله تفرقتم^(٤)، لا يومهم عى العناء وسماعه، وبما يلومهم أن يؤثروه على سماع القرآن مرات

ولاشك أن لشعف ناشع الحزل والحديث الرائق والصوت الحسن لا يجمع فى نفس، لا اجمع معه دوى للحمال وسرور بكل حسن جميل، ولكن أين يقع

(١) البها عن الشوق، يقل منه تعابى، والصيا أصعب مع الصبيان.

(٢) بار: ذهب وودع.

(٣) المنكا: المرأة لم تنس.

هذا من صرامة عمر وبأسه وشدة حمره على زينة احسان؟ فقد دخل في روع
أسس أنها حميف من نقائص حب الجمال، وقد سمعت هذا فعلاً من أدياء يجلس
عمر ولا يحسبون نوق الجمال من مآثور حسباته، لأنه كان شديداً في الحجاب،
وكان يتقي لفتين احسان، كما صنع بنصر بن حجاج ومقر بن سدر، وكان
يقول «اسبعظوا بلبه من شرار النساء وكوثوا من خبرهن على حدو»

وعندت نحن أن هذا حمسه يتم على الإحساس بخطر الحمال وطعنان فسه،
ولا يتم على غفلة عنه وقلة مبالاة بآثره، وما نخال أحداً من المترحصين في
الحجاب كان يؤمن بسلطان الجمار أبلغ من يمان عمر بسلطانه، أو كان يعرف
حق المرأة في الشوق لب كما عرفه وأمر برعانه، فإنه كان ينكر على الآباء أن
بكرهوا فسياتهم على قباح الوجوه ويوصيهم «أن لا تكرهوا فتياتكم على الرجل
الطيب فإِنَّهن يحبين ما تحبون».. وحاص له امرأة مروج أشعث أغبر تساله
الحلاص منه فأمربه أن يحم وير تقلم أطعاره، ويأخذ من شعره، ثم قال له
ولم في مجبسه «هكذا فاصنعوا لهن، فوالله يهرن ليحبن أن تزينوا لهن كما
تحبون أن يزين لكم».

هكذا روى عن عمر من الشدة والرفق في معرض الحمال فهو دليل على
الإحساس به وإكبر خطره، وليس دليل على الغفلة عنه واستصغار ثره،
وربما كانت الشدة والحجر أدل على ذلك من الرفق والحاسه

ومن لأدب العامة التي لها حظ من نوق الجمال في معارض السياسة أدب
الذكريات الذي لا يستغنى عنه ولاه الأمر ابوكلون بإحباب، معالم الدول
والاحتفال بمراسمها وأعيادها.

ففي هذا الأدب كان لعمر لتصيب الذي يغيبه، فهو الذي خذر أو وفق على
اختيار يوم الهجرة بداية للتاريخ الإسلامي، وأنه لأصلح يوم يؤرخ به الإسلام
لأن العقائد كما قلب في «عقريه محمد» «تنفس بالشدايد ولا تنفس بالهور
والعلب، وكل إنسان يؤمن حبس بتعب الدين وتغير الدعوة، أما تنفس التي
معتقد حقاً وبطل فيها. لنصر العقيدة حقاً فهي النفس التي تؤمن في شدة
ويعتقد ومن حولها صنوف اللاء»

وكلما اقترح علي عمر اقتراح فبه نفحة من بوق الذكرى كان محيياً به سريع الإصغاء إليه فكان يحترم وقاء بذل وقلاعه عن الأدب بعد وفاة النبي عليه السلام، ولكنه دعاه إلى الأدب طلبية لاقتراح الجلة من أصحابه في يوم ودع دمشق بعد انقح سحر، فسيم المسموع يشهدون الصلاة الجامعة إذ بالصوت الذي انقطع بعد لسي يرتفع رويداً رويداً في الفصاء ويسرى رويداً رويداً من الأسماع إلى الصدور، ويتفتوا وكأنهم يسألون: ماذا؟ هل عاد محمد إلى الأرض؟ إن لم يكن قد عاد فقد عاد الحنين إليه أقوى ما يبعث من صوت يسر إلى صدر يسر غداً بقلوب لا يذيقها الهول، ويكي أشيد أولئك الأبدال وأصبرهم على حر لقتال

وإذا كان عمر المعجب بالجمال مستكناً رءس ستر يحوجد إلى النصر من ورائه قعر الرياض المشغول بالرياضة اسديّة ظاهر لنا عمله وقوله، وبسيرته في الحاشية وسيرته بعد الإسلام، وسيرته بعد خلافة إلى أن عارق الحياة.

فكان مصارع في الموسم ويسابق على الخير، وكان بنوط محمد العرب بالريضة والفروسة ويكتب إلى أمصار أن «علموا أولادكم لسبحة وقروسة ورووهم ما سر من المثل وحسن من الشعر» ولا يفتأ يذكرهم أنه «إن بحور قوي ما دام صاحبها ينزع وينزو» أي يرمى بأفوس ويركب ظهور الحيل بغير ركاب

أما الحصبة فقد كانت فيه من صفات لسبة ولم تكن من صفات الذهن وكفى، فكان له قم يعتلي بالكلام حين يحطب كأنه خلق ليقول، ولوحظ عليه أنه كان ينطق ببعض الحروف - كاضاد - من كلا شذقيه وهي تنطق في الآلب من شذق واحد.

وكان جهوري الصوت وضح النطق سيم الشفتين في إحراج الحروف، وكتاتيه كلها كأنه خصب مراحلات، تقروء عكس تصفى إلى حطبيب لا تفقد منه إلا الصوت المسموع.

ولانطباعه على الكلام الذي لا نصنع فيه كان يستهر كل كلام يوافق طبعه ولا يستصعب من الحطب إلا لدى معبر من نصرت إلى الدس ويلجئه إلى المداراة والبصر فكان يقول: «ما بتصعدني كلام»^(١) كما تصعدني خصب النكاح، ولتمس من المقفع عنة ذلك فغال، ما أعز به إلا أن يكون أرب قرب

(١) ما تصعدني كلام ما يشق على

ابو حرة من الوجوه وبطر الحدق من قرب في أخوف الحداق^(١)، ولأنه إذا كان جالساً معهم كانوا كثيهم نظراء واكف، وإذا علا السر صرخوا سوقة ورعية. والتمس الحاحظ علة ذلك فروى عن أناس أنهم رجعو باستصعبت عمر لخطب الكاح إلى «ن الحطيب لا يجد بدا من تركبة احاطط، ففعله كره أن يمدحه بم يس فيه فيكون قد قال زوراً، وغر القوم من صاحبه».

وكلا القولين جائز في بيان وجه المحالفة بين طبع عمر والتكلم في محاص لكح، فهو مطبوع على أن يتكلم إلى الناس كلام رجل يقود الرحال، ومطبوع على الصدق الذي تفعل على صاحبه المذهبة، وهي مما لا عى عنه في هذا المقام، ولو كان الحاطط من الأكفاء

وقد اختلفوا في نظمه الشعر، فرعم الشعبي أنه كان شاعراً، ورويت أشعر لا تشبيهه ولا برصيه ونفى هو نضمه الشعر حين قال «لو كنت أقول لشعر لرتبت أحى زبداً».

ولا طائل في هذا الخلاف لأنه لم ينتهي إلى رأى قاطع يسكت عليه، ولكنهم في هذا الصدد أنه كان مصبوعاً على شعير وله عبقرية فيه، أو أن عبيره كان حاصلاً به لا تشبهه شعير سواء، فهو تعبير عمري بمفرداته وتركيبه لا يسبب بعبير أحد من أهل عصره حتى يسهل تمييز كلامه من كل كلام، ويصعب تزوير القول عليه ولو أحكمت المحاكاة.

فمن خصوصيته في التعبير أنه كان يقول «لولا لخيفي لأدبت» وهو يعنى الحذفة ولا يقصد الإغراب

ومنها وهو يفل خير سلامه إلى خاله «وجئت إلى حالي فاعلمته قدحل إلى البيت وأجاف الباب»، أي أوصده.

ومنها وهو يصف ما وقع في نفسه من الآيه لى تلاها أبو بكر رضى الله عنه حين بكر موت لى فقال: «والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعغرب حتى ما تقسى رحلى»، يعنى أنه عجز عن القيام

ومنها في الكتابة والقراءة يهوى عن العجلة فيها «شرُ الكتابة سئقُ وشرُ القراءة اهترمة، ونجوة الخط بُيئة^(٢)».

(١) الحداق: جمع حذقة وهي مود العير.

(٢) مشق في كتابه من خروجها وسرخ فيها فدرم نفوس. سرع فر منه لا يتدبر بعينه.

ومنها وهو يذكر امرأة كنت تسقى اباس يوم أحد «كانت تزفر للناس القرب» أي تحملها.

ومنها في المشورة «الرأي الفرد كالخط السحيل، ولرأبان كالخيطين المبرمين، والثلاثة موار لا يكاد ينقض»^(١).

ومنها حين كتب إلى أبي عبيدة بعد ولايته لعلاقة «ولا تبعث سرية إلا في كتف من الناس»^(٢).

ومنها حين شك إلى الشاكي هجاء اشاعر الذي قال فيه

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوارد عن كل مهمل

فقال: ذلك أنقى «للسكاك» أي الزحام.

ومنها في سمحه باليك «ما لم يكن تقع أو لقلقه» أي ما لم يثر التراب ويفرط في العريل

ومنها وقد حار بأهل الكوفة «أعصر بي»^(٣) أهل الكوفة، ما يرضون بأمر ولا يرضاهم أمير.

ومنها «إن قريشاً يريد أن تكون مغويات لمال الله» أي مصائد تحبسه لها دون عباد الله

ومنها «تعددوا وخشوشوا واقصعوا الرك وابتوا على الحيل نروا» أي تزيوا بزى العرب من معد بن عدنان.

ومنها «مرقوا بين النايا واجعلوا الرأس رأسين، ولا تلتشوا»^(٤) بدر معجزة، أي تقيموا

ومنها «فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين، فلا يتابع هو ولا الذي بايعه بقرة أو بقتلا» أي أن يتعرضا لقتل

ومنها «... إن لاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في الصلاة، فافهموا ما يوعظون به، فإن الحريم من حرب في دينه». يريد المسلمون

١) اسحبل الثوب اسحبل الذي لا يبرم عزله بزار قوله محكمة (٢) الكشف الجماع

٣) أعصر بي أعياى أمرهم (٤) في الحصار ولا تقهر بيعة معزول فيها عن الاكتساب ونبش.

ومنها وقد سمع بالمرأة ساهرة بمرورها زوجها فقل: «هذه لدرجة وهذا لمرسلها لو هدرت عليهما لشبرت بهما». أي لأعصت القول لهما.

ومنها لما سأله: لم حصنت اسجده؟ فقال: «هو أعفر للنخمة ولئن في الموطى» أي أسير للبصير.

ومنها «ثلاث من الواقر»^(١) جر مفعلة إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أداها، و مرأه إن دخت عنها لستك وإن غبت عنها لم تأمنها. و سلطان بن أخصن: لم يحمدك، ومن أسأت قتلك». ولستك أي تشاولتك بلسانها.

ومنها وهو يخاطب سعد بن عباد يوم السفيفة: «لقد هممت أن أطاك حتى تنثر عضدك» أي تسقط.

ومنها وهو يتكلم عن امرئ القيس: «خسف لهم عين الشعر فاهنقر عن معان عور أصبح بصره». أي استنبط عين لشعر وشق طريق المعاني وأتى بالشو رد الحسن.

ومنها وهو يتكلم عن نصيب المسميين في الغنائم وبیت المال «واله لئن قبت لياتين الراعي بجبل منعاء حظه من هذا المال وهو مكبه قيل أن يحمر وجهه». أي قبل أن يخجل ويحمر وجهه في طلبه.

ومنها قوله لأعرابي استفتاه في صيد طير وهو محرم: «أنقل في لحرم وتغمص انقلب» أي تعيها ولا ترضاها.

وأشبه هذا كثير لا تحلو منه خطبه أو حديث أو كتاب، نعمد أن نكثر شواهد لترى أنه يسر بالمصادفة وليس بالتكرير لمط واحد من العشرات.

ويحق بهذا تسمية موالیه بين أسبق وأسلم، ورفاً وقرقذ وذكوان وفروح وما شابه هذه الأسماء، وهي تسمية مفردة تكاد تقتصر عليه وإسم هي لصيغة العمرية تمثلت في صيغة الكلام وهي احبب لأعلام، فلا نستطيع أن نسميها عربياً أو عسطة أو تعملاً^(٢) بنحو من أبحاثه، إذ ليس وراءها قصد معق في جميع هذه الصيغ، وأبين ما يبين فيها أنها من عفو الندية هـ وهناك، وأنها تترجم عن الطبيعة العمرية أصدق ترجمة وتشبه بصاحبها فهي هوية حشنة مستغلة حادة حالية من الرخرف.. وهكذا كان المتكلم عمر

(١) الواقر، جمع مقرة وهي الداه

(٢) المسئلة الكلام بلا نظام، وكلام معسوط أي معصود، واستعمل التكلف

وهكذا كان كلامه الذي ينطبع عليه حين يكون منصعاً على النعير، فلو أن كلمات سمث رجلاً لتراعى لب من مثال هذه الكلمات شخص عمر في حلقه وخلفه كما كان.

ومحصل هذه الأخبار جميعاً أن عمر كان من ناحية المثقفين في العربية، وكان واهم السهم في ثقافة قومه وعصره، وكان لجانب العمى من ثقافته أغلب وأظهر من جوانبها النظرية كما هو المعهود في سياسة الأمم وعواهل الدول. وإن كان هذا لا يمنع أنه شتاق إلى نفاس لشعر وأصيب الألب لما يحده فيها من راحة النفس ومتعة المخاطر.

ويستطرد بنا الكلام على ثقافته العربية إلى الكلام على موقفه من الثقافات الأخرى في زمانه، وعلى حقيقة رواية التي شاعت وتواترت عن موقفه من مكتبة الإسكندرية التي قيل إنه أمر بإحراقها، فهل هو الأمر بإحراقها كما جاء في تلك الرواية؟ وإذا كان هو الأمر بذلك فما دلالة عمى تفكيره؟ وما وجه التبعه فيه؟ فحوى تلك الرواية أن عمرو بن العاص رفع إليه حبر المكتبة الكبرى في الإسكندرية فحاده الجواب منه بما نصه «أما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله فليكن كتاب الله عنه عني وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه، فتقدم بإعداده». قل معاصر هذه الرواية فوجعت الكتب على أربعة آلاف حمام بالمدينة ومضت ستة أشهر قبل أن تستنفذ لكثرتها.

وأخرى شيء أن يلاحظ في مسألة الحبر هذه أن الذين أحصوه وأبرأوا عمر من تسعته كان معظمهم من مؤرخي الأوربيين الذين لا يهتمون بالتشيع للمسلمين وكانو جميعاً من الثقاة الذين يؤيد نتائج بحثهم في هذا الموضوع. فالمؤرخ الإنجليزي الكبير إدوارد غيبون Gibbon صاحب كتاب سوله لرومانية في انحدره وسقوطها يسرد حكاية ويعقب عليها قائلًا «أنا أنا من جانبى فبنى شديد الميل إلى إنكار الحادثة وتوابعها على السواء لأن الحادثة لمعجبة في الحق، كما يقول مؤرخها إذ سألنا هو أن نسمع ما جرى ويعجبنا وهذا الكلام لدى يقصه احببى غريب يكتب على تحوم ميديا بعد

سبعة سنة يوربه ويرجح عليه ولا شك سكوب اثنين من المرحلين كلاهما مسيحي وكلاهما مصري، واقدمهما لطريق يوثيحيوس Eutychius الذي توسع في الكنية عن فتح الإسكندرية «ورن القصاء الصارم الذي سب إلى عمر لنقص إلى أصحاب الفهم الصحيح لمستقيم من فهاء المسمين لتين يقود بحريم إحراق الكتب الدينية التي تنعم من اليهود والمسيحيين في الحرب، وما كان من الكتب دينياً ظليلاً سواء ألفه المؤرخون أو لشعراء أو لأطباء أو الفلاسفة فحكمهم فيه أن يستخدم على الوجه المشروع لمنفعة المؤمنين وقد تعرض إلى متعمدي الحلاء بعد صمد عنة نصري من ذلك بالهدم والإبادة ولكن لو صبح هذا سوح أن تنفذ الأوراق سريعاً لقلعة المددة المحترقة فلا ترجع إلى نكه المكتبة في إحريق الذي أصابها على غير قصد بدى قبصر وهو يدفع عن نفسه، ولا إلى تعصب للمسيحيين الأوائل الذين كانوا يدعون لوسائل تدبير، لتعقبة الآثار المتخلعة من أيام عبادة الأصنام. ولكنت نتحدث شيئاً قشياً من عصر أنتوين إلى عصر ثيوديسيوس فنعلم من سلسلة الأبناء المعاصرة أن القصر الملكي وهيكلي سراسيس لم يبق هيبما تلك الأسفر التي جمعها البطالسة وبلغت في إحدى الروايات أربعة آلاف، وهي رواية أخرى سبعة آلاف، ولا يعد أن نحفل الكنيسة ومعهد الطريقة بدخيرة من الأوراق والأضياف، فإن كانت هذه هي الوقود لدى أفتنه الحمامات بما كان هيبما من جدل بين القائلين بتعدد الطبيعة المسيحية والقائلين بتوحيدها فقد يرى لفيلسوف وعلى فمه اتسمة أنها كانت في الحمامات أتفع لنشئ الإنسان»

و لدكتور ألفرد بتلر Butler المذبح لاسميري الذي أسهب في تاريخ فتح لعرب لمصر و لإسكندرية يحسن الحكاية وينقصها بنده لأن حيا فليوتوس الذي قيل أنه خاض عمرو بن العاص في أمر المكتبة لم يكن حياً في أيام فتح لعرب لمصر ثم ينقصها لأسباب شتى منها أن كثيراً من كتب القرن السابع كانت من الرق^(١) وهو لا يصلح لوقود، وأنها لو قضى الحليفة بإحراقها لأحرقت في مكانها ولم يتجشموا نهبها إلى الحمامات مع ما فيه من نعب ومع إمكر شوائها من الحمامات بعد ذلك بأسحر لأشهر، وثنت لو صرنا لطور عن الكتب المخطوطة على لوق ل كهي الباقي من ذخائر مكتبة لوقود أربعة آلاف حمام

(١) الرق صفيح لواء وكسوها، حلد رقيق يكتب به

مائة وثمانين يوماً، وهذا الشك الذي يعنود لقصة من تأخر كتابها رهاء خمسة عرون ونصف قرن بعد فتح الإسكندرية، ثم كتبها بعد ذلك طوا من المصادر والأسناد، بل هذا عما ما قيل من حترق مكتبة هي السنة لثامنة والأربعين لميلاد، وليم نلا ذلك من ائق والقلقل بين طوائف المسيحيين.

والمستشرق كارنوقا يسمى الحكاية أسطورة، ويقول إنها شأت بعد دريح لحدثه ستة عرون، ويتفضها مثل الأسباب التي لخصناف من كتاب بتلر، ثم يقول: «... وهناك عترص أخطر مما تقدم وهو أن ما ذكر عن يحيى لنحوى منقول عن كتاب الفهرست لابن النديم في أواخر القرن العشر، وفيه أن يحيى هذا عرش حتى فتحت مصر وكان مغرباً من عمرو ولم يذكر شيئاً عن مكتبة الإسكندرية، فحادثة المكتبة من أوهام من يعطى أحدها عن خرافه كنت شأنه في عصره»

ثم يصمى في تقييده فيقول «وقد تساءل ابن خلدون عن محببات الفرس والآشوريين ولبابليين والقط لس حرقها عمر عند فتح العرب وقال ابن خلدون في كلام آخر إن العرب لما فتحوا بلاد الفرس سأل سعد بن أبي وقاص عمر عما يأمر به في شأن الكتب التي بها فأمره بإلقائها في اليم فانتفت لقصة من درس إلى الإسكندرية مع الزمن وهو لحيال فعله في تحريفها»

«وقد وقع تحريف في هذه الخرافة في بعض نواثر المعارف حيث نقر عن سبرنجل أن مكتبة الإسكندرية حرقها العرب عند فتح مصر، وأن الخليفة المتوكل أشتأها من حديد، وأن التلر فبحو لإسكندرية ٨٦٨ وأضرموا فيها النار على عهد أحمد بن طولون ولكن أحمد بن طولون لم يفتح مصر ليعا أقامه خليفة بعدار حاكماً عليها فلا علاقة للنرت إذن بهذا الحدث المزعوم»

قل «وهي سنة ١٨٧٧ ذكر الكونت دي لندرج أن حد الضباط الانجسر انهم نابليون الأول بحراق مكتبة لإسكندرية»

قل «وسنم هنا بالسبب الذي من أجله ظهرت هذه الخرافة في القرن الثالث عشر ولم تظهر قبل ذلك».

«ففي أواخر القرن لثاني عشر رجعت مصر إلى حكم حفاء بغداد، وأبلى صلاح الدين بلاءه في بحروب الصليبية وانصر على المسيحيين هفنه لشعب

ففتح مصر، وفرن بين اسمه رسم عمر بن الخطاب. وكان لابن القفطي أن يعجب بصلاح الدين ولاء صلاح الدين قضاء القدس، وعاصر عبد المظفر البعادي وهو من المعجبين مثله بصلاح الدين، فلاقى في القدس وسمع منه هذه الأسطورة التي ترسّع ابن القفطي في نقلها فكان أول من ألف هذه الأسطورة من حاشيه صلاح الدين لتركبة حاكم مصر الجديد. ومما يروى عن صلاح الدين أنه باع كنوز القصور والمكة فبقيت هذه الرواية إلى القرن الثامن عشر يوشيه ما ينسجه الخيال حول الخرافة العمرية.. ثم اتخذ صورتها التاريخة منذ ذلك العهد بعرف حرقاب أخرى لحقت بعمر ووافقت معنى قوله 'لا كتاب إلا كتاب الله..».

ومن المشاركة الدين تناولوا حكاية المكتبة لمؤرخ الكبير جورجى زيدان في الجزء الثالث من كتابه «تاريخ التمدن الإسلامى» حيث قال إنه كان بميل إلى بقاء الحكاية ثم عدل عن منه هـ إلى قبولها وأورد من أسباب ذلك «أن حكاية إحرقي مكتبة الإسكندرية لم يحتلفها أبو الفرج بنعصب لبيى ولا ربه أحد بعده، بل هو نقله عن ابن القفطي وهو قاصر من قصه المسلمين عالم بالغة والحديث وعلوم القرآن واللغة والنحو والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل، وكان صدرًا حشمتًا جمع من الكتب لا يوصف. وكان يحملونها إليه من أفاق، وكانت مكتبة يسوى خمسين ألف دينار، وم يكن يحب من الدنيا سواها، وله حكايات عربية من غرامه بالكتب، ولم يحلف أبدًا مؤصلي بمكتبة لناصر الدولة صاحب حلب، وله مؤلفات عديدة في التاريخ والنحو واللغة، وفي جملتها كتاب أخبر مصر من بدنها إلى أيام صلاح الدين في ستة محلدات، وكتاب تراجم الحكماء الذى نحن فى صده، و ابن القفطي وعبد المظفر البعادي أيضا عن مصر ضائع، وأما حكاية لفتح من ذكر هذه الصدقة فلابد له من سبب، والغالب أنهم ذكروها ثم حدثت بعد أصبح التمدن الإسلامى واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك فى عصر المظفر الراشدين مقدموه، أو لعل لذلك سبباً آخر، وفى كل حال فقد ترجح عندنا صدق رواية أبي الفرج.»

ويرى نحن أن ابن القفطي كان أولى ممن تقدموه بالسكوت عن حريق المكتبة بأمر عمر بن الخطاب لو كان الذين تقدموه قد سكتوا عنه لعرفهم قدر

لكتب وغيرتهم على سمعة الخفاء الراشدين، فإن اس القفطي لا يجهل قدر الكتب ولا يسبقه سبق من المؤرخين هي المحاولة بفساسة المكتبات هلاب من تعيل أصوب من هذا لتعيل لسكوت المؤرخين اسميين و لمسحبر الذين شهدوا فتح مصر عن هذه الحكاية إلى أن تحت بعد بضعة قرون

فمن جملة هذا اعرض لأراء تحة من الثقت في هذه المسألة يحق لنا أن نعتقد أن كتب احكاية أرحع من صدقها، وأنها موصوعة في قرن الذي كتب فيه ولم تنص بالزمنة اسابقة له بسند صحيح، وربما كنت مفسوسة على الرواة المتأخرين للتشهير بالخطبة لمسلم وتسجيل لتعصب الدمع عيه وعلى لإسلام.

وإذا كانت هذه الحكاية من تلفيق لبات السيئة فلمعقول ألا بوضع قبل القرن السادس لآخرى لدى سويت فيه إلى الكتب الملوثة، وهذا يفسر لنا كل عموم يستوقف النظر في الحكاية من جميع أطرافها لأن تلفيق هذه الحكاية يستلزم عاصر شتى لا تحتج كلها في وقت واحد من القرن السادس للهجرة.

فهو يستلزم أن يكون الملق عليمًا بالأقوال والأحوال التي أثرت عن عمر بن الخطاب. وفيها ما يجعل حكاية المكتبة قريبة التصديق مشابهة لما يرواه الخيفة في أوامره وبواميه. ولم تكن هذه الأقوال والأحوال معلومة مستفيضة الخبر بين المسلمين أنفسهم عند فتح الإسكندرية فضلاً عن المسيحيين أو الإسرائيليين، وإنما علمت واستفاضت بعدما بونت السير وجمعت المبرقات

ويستلزم تلفيق الحكاية للتشهير بالخطبة لمسلم أن يكون الملق عارفاً بما في هذه التهمة من المعبة، شاعر بما فيها من الاعتساف والغربة. ولم يكن هذا أيضاً مفهوماً في أيام فتح الإسكندرية بين حصوم الإسلام؛ لأنهم كانوا قد تعودوا إحراق الكتب والتماثير وعتبار بوثنة وبقاياها رحساً من عمل الشيطان بسحق نار الدف قبل نار الجصم، وما من عارف بالكتب بينهم إلا كن يسمع بحماسة القياصرة المسيحيين في تدمير التحف الإغريقية ولا سيما «ثيوديسيوس» الذي أحرق هككل شتى، فيها ولاشك كتب كثيرة من بفايا المكتبة التي عليها اسلاف.

وقد يستلزم تلفيق احكاية أن يكون مصر وأحبارها موضع هتدم ومثر قبل وقل، ولم تكن مصر قبة أنظار لعالم كما كنت في أوقات الحروب

الصلبية، يوم كنت هي مبداء العصر ومذات الضر والهزيمة بين حيوش الدند
المحشودة فيها أو عى أبوابها .

وقد يستلزم كذلك أن يكون العصر حرازه بين الإسلام وخصومه كما كن
عصر الحروب الصليبية وما قبله بقليل.

وقد يستلزم مع جميع أولئك أن يشذرت فى لقل والقال حاقطو الكتب
الإغريقية فى بيرنطية وشواطئ اسبا العربية، وهى البلاد التى كانت موطن
أقدم الجيوش فى الكر ولقر والقنوم والإياب، ومنها تدفق حاقطو الكتب إلى
أوروبا عندما أعار الترك على بيرنطية من تلك الأرجاء.

مطلق الحكاية إن كن عجب فى نام فتح لإسكندرية وما تلاه من
لأزمة إلى رمز القفطى والبعدادى وأنى العرج الملقى، ولهذا لم تظهر حكاية
المكتبة فى تلك الأيام.

وتلحقها فى عصر الحروب لصلبيه غير عجب لاحتماع لأسباب التى
يستلزمها داب التقيق، ولهذا ظهرت فيه وأمدت ظهورها فيه بالسبب الذى يبطل
العجب ويفسر الغوامض، حتى لا يقسرها تحيل معروف غير هذا التعليل.

لا أننا على رغم من كل هذا نقرص أن عمر بن الخطاب أمر بحرق
مكتبة الإسكندرية، فما هى الوصمة التى تلحقه من هذا الأمر؟ ولماذا كن يحرم
عليه أن يحرقها ويجب عليه أن يستقبلها ويفتح أبوابها؟ ولماذا كان يسعى أن
يكون على يقين أنها شىء مفيد للمسلمين ولغيرها من الأمم، وأنها ذخيرة من
ذخائر العالم لا يجوز التفريط فيها؟

من النقص فى تفكير الإنسان أن يشأ بمعزل عن بلاد اليونان وعن عصر
حكماء اليونان فلا يطلع على لفلسفة اليونانية" أكانت فائدة تلك الكتب واضحة
كل الموضوع من أحوال أقوامها الدين حفظوه، إن صح أنهم حفظوها؟

إن أحوال الروم ولقبص فى ذلك العهد لم يكن فيها دليل واحد على أنهم
محفظون بينهم شعرة نفيسه، وأن صبع كتبهم فيه صبع ل ذخيرة من ذخائر
العالم التى لا يجوز التفريط فيها.

بعد كانوا على شر حال من الصعف والفساد والجهل والهزيمة ولشفاق

ولتهلك على سعاسف الأمور، فبذل كان عمر مطالبا بعلم الفلسفة ليؤدبني أو
غير ملوم على فوات الاطلاع عليها، وإذا كانت أحوال الأمم التي هي أهلها لا
تدل على قبيعتها بل تسوغ الاعتقاد بخلوها من كل قيمة، فأتين هو العيب في
تفكيره إن صبح أنه فكر على ذلك لميول؟

إسم يعيب الإنسان أن يكون عمو المعرفة على إطلاقها، ولم يكن عمر عدواً
للمعرفة ولا معرضاً عنها، بل كان مشغوفاً بها حيث راهب دنيئة أو أبيه، ومن
قومه أنت أو من غير قومه.

فكان يستشير العرباء في تدوين البواوين ومنافع الصنعة ولا ينتهي عن
علم شيء إلا أن تكون فيه فنة أو ضلال.

وكان ولا ريب يؤثر للمسلمين أن يقسوا على دراسة لقرآن ويقدموا فهمه
على فهم كل كتب، وهذا وجه الأول الذي لا مرأى فيه وما من أحد هو مصاب
بهذا الواجب قبل أن يطالب به عمر على لتحصيل، لأنه الحبيطة الذي هي
عهده ينتشر المسلمون بين أقاصر المشرق، وحيف عليهم أشد الخوف أن يحل
العقد الذي جمعهم وبث فيهم الهمة والنسر وسودهم على لعالمين.

وهي الأخبار التي نقلت بهذا الصدد أن رجلاً أنبأه أنهم لما فتحوا المدائن
أصاب كتاباً فيه كلام معجب، فسأله أمن كتاب لله؟ قال لا فدعا بالدره
فجعل يصرفه بها وهو يقول ﴿الر * نكأ * كتاب أنبيى * إنا أنزلناه قرآنا
عربياً لعلكم تعقلون﴾.

ثم قال : إنما أهلك من كان قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم
وبركوا القراءة ولا تحلل حتى درسوا وذهب ما فيها من العجم.

رويت هذه الرواية عن عمر بن ميمون عن أبيه، وليس فيها ما ياباه العقل.
ولو حكما على عمر بحكم الدنيا وحكم التجربة الواقعية وبركنا حكم الدين
والإيمان إلى حين،

فدستجربة انو قعبة أنقى عمر أن لسمين بكتسهم خرجوا من الضمات إلى
النور وانتصروا على من حاربوه وعندهم كل كتاب.

وم فرع لمسلمون بعد من فراعهم انقرآن ولا انقصت على مداونه بينهم

سنوات. فكيف يرصى بحبه لدى يهيمه مردعاياه ن يبصرهوه عنه إلى كتب
لا يؤمن ما هيهاء؟ وكيف يكون الحال بما نفرقوا شدر مدر^(١) ولهم في كل بند
قرنة غير هذا الكتب ابدى لم فرعر منه ولم يستوعبو كل ما فيه؟ أمن عداوة
لمعرفة هذا أو من يثار المعرفة التي تتقدم على غيرها؟ وإذا لم تتقدم هذه
لمعرفة على غيرها في السنوات الأولى من تداول القرآن الكريم فمتى تتقدم؟
ومتى تُعطى القرآن حقه من الفقه والوعى والإقبال؟ وأين هي الغنيمة بروحية
لتي تعدل في كتب من الكتب بعض ما عنده المسلمون بوحى بقران في صر
الإسلام؟

على أى فرض من الفروض لم يكن في تصرف عمر ما بأناه العقل الذي
ينظر إلى الحقائق المشهودة ولآثار الواقعة، ويحور نه أمر بإحراق مكتبة
إسكسريه على بعد احمال، ولكن الذي يجوز لمصنف أن يفهم من ذلك أنه
عدو ثقافة وهو الأديب لفقير الحطب، وهو قد وازن بين معرفة صاهرة البيع
ومعرفة محهولة ظواهرها كلها تحرى بتهامها ولا لوم عليه أن يولد حيث
يحبها ولا لوم عليه أن يتهمها وهي لم تنفع أهل يوم رآهم يحسبون هي
الضلالة والهريضة، ولا بقل عن عدل يفكر هذا التفكير إبه لم يفكر على هدى
مستقيم

(١) شدر عنى أى متفرقون.

عمر في بيته



كان الحليفة الأكبر - صاحب الأمر في الحزيرة بعربية، وصاحب الظبة على صن الأكسرة ولقيصرة والفراغة، ومدير الحكم في لرقعة بوسطى بين قاربت العالم معمور - رجلاً فقيراً يعيش عشية الكفاف، ويقع من العناء و لكساء بعض لا تمتد كثير من الرجل، ويرهد فيه كثير من النساء.

فمن غير العجب أن يحطب بعض النساء فيأبين عيشه وقد أبى مثل هذا يعيش نساء النبي عليه السلام، فلم يقبسه إلا وقد حيرن بينه وبين الطلاق.

وما ندري أي الشهادة لحكم الحليفة، الأكبر على وأجمل، فإن الشهادات لحكمه أكثر من أن تحصى وهي جميعاً مفهومة على به السير وتردان بجماله، ولكن لا نعرف بينها ما هو أعنى وأجمل من هاتين شهادتين أن يعيش في بيته عيشاً لا يشتهي، وأن تكون في هذه صولة لست فلا ترى فيها امرأة من النساء خلاصة^(١) تغرها، ولا صولة تحفظها من أن ترقضها وتبها.

إن امرأة واحدة ترقص عمر لأعلى في الشهادة له من ألف امرأة بقليل على بينه ويطمعن في سلطته.

وقد وصفه امرأة حطبه ورفضته وصفاً لم نسمع فيما قبل عن إيمانه بالله أو صدق منه ولا أوجز وأرفى عقبات أم من ست عتبة من ربيعة إنه رجل «أدله أمر خرتة عن أمر دباه، كنهه يطر إلى ربه بعينه».

والذي بعينه من يوصف هو قولها عن مخافته الله أنه كان يحافه كأنه يره بعينه. فهو في نحو أصدق وصف لإيمان هذا الرجل المتفرد بإيمانه كما نفرد كثير من شئونه. إنه تحاور حد الإيمان إلى حد الرؤية والعيان، وحقق مبالغات أبي الطيب المتنبى حين وصف العدة الفصوى من شجاعة وأحكامه فقال

تجاوزت مقدار شجاعة والنهي بي قول قوم است بالعب عالم

(١) خلاصة أي ما يحب ويحذر

ومهما يكن من إيمان بالغيب فهو لا يبلغ هي أيقين واحصور مبلغ الرؤية بالعصر، وهي قولة عبارة من قبلة أصوات ما لم يصبه قابل، ولعلها لا تدرى مدى صوابها .

وخطب عمر أم كلثوم بنت أبي بكر إلى أحمها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقال له الأمر إليك ثم سألت أحمها عائشة وقالت لا حاجة لي فيه. فرجرتها قبلة أترعيب عن أمير المؤمنين؟ قالت نعم إنه خشن العيش شديد على النساء. وكرهت عائشة أن تجبه^(١) بالرفص فوسطت في الأمر عمرو بن العاص يحتال له برفقه وحسن تدبيره فحاء عمر وفاقاه قبلاً^(٢) بلعنى خبر أعيدت بالله منه قال ما هو؟ قال حطت أم كلثوم بنت أبي بكر^(٣) قال نعم، أهرعت بي عنها أم رعت بها عني؟ قال لا واحدة، ولكنها حديث^(٤) بشأت تحت كنف أمير المؤمنين في لين ورفق، وفلك غبطة، وحن بهاب وما نغمر أن يردك على خلق من حلائك فكيف بها إن حالفت في شيء فسوت بها؟ كنت قد حلفت بأ بكر هي راده بغير ما يحق عليك. وفهم عمر أن ابن العاص لا يقدم على هذه الوساطة بغير مواساة، وأن هي الأمر ممانعة عني نحو من الانتداء، فسأله كأنه يسطلع ما وراءه من الممانعة كيف بعاشة وقد كلمتها؟ قال أنا بك بها، وأدب على حر منها أم كلثوم بنت عني بن أبي طالب، نعت منها بسب رسول الله.

وام كلثوم بنت عني حديثاً أيضاً، والمحطور في إعضائها ككر من المحطور في إعضائها بنت أبي بكر، وإن عتمد بن العاص عني أن عمر يمس نفسه فلا بغضها، فقد كن حراً به أن يعتمد على شيء من ذات في خصبه ليست لصديق فلن يفوت عمر وهو يعلم من يخطبه هي الأمر - أن يفهم خبيثة سعيه، وإن يتحاهه لئلا يكشف موقفه، برفض والاعتذار من عائشة وأحمها رضي الله عنهما - ويعمل بما يراه الصواب.

ولطريق في الفصة - وكلها صريف - أن يذهب عمرو بن العاص إلى حليفته بواحيه بما يؤخذ عليه من حلائقه وهو من أن بعضه، بل هو فوق ذلك وثق من موافقته إياه ما دام على صدق في مقده.

والمرأة أن تأتي الخشونة في رجبها ولا تستريح إليها، ولكن دار من الأحلاق

(١) تجبه: تواجبه.

(٢) حديث: صهيوة السن.

لا يسفى ر يعيب هذه الخصلة ، لا بمقدار ما فيها من نقص فى الطمان
 الإسبابة الأصيلة.. إذ المحقق أن الخشونة حرم من أصقل والمروية ولكننا
 نحطى كل الخطأ ر حسناف حرمنا من البر والرحمة لأن المرء قد يكون
 ناعم لممس وهو قاسٍ مقرط نقسوة، ويكون خشن لممس وهو رحيم مقرط
 الرحمة، ويعلب فى هذه الحالة أن يكون خشونة - كم أسفنا فى فصل
 سابق - درعاً يسر بها مواضع للين فى حلقه، وضرباً من الخل أن يطلع
 على ناحيه فيه يتطرق إليها لضعف وتعد منها الرماية

فداحشونة تقبض بصقل والسومة وليست تقبض العصف والرحمة، وعمر من
 الخطب من أفساد الرجال لذين تتجى فيهم هذه الحقيقة أحسن جلاء، حتى
 فى علاقته بالأهل والنساء.

رحمة عمر رحمة فى خلاف، وليست بـرحمة المكشوفة لكل بظر ولامس، ولا
 تطول باندس عشرته حتى ينفشع هذا لخلاف عن قلب ودع مفعم بالعطف
 والمودة، مفتح اجواب لكل عاصفة كريمة ولو لم تكن من ولى حميم

هسؤه ثلاثى عاشربه قد كلفن بحبه ورضين عيشه لرضاهن بمودته وعطفه.
 وكذب أحد من التى سميت اعاصية وسمها المسمى عبه لسلام الجملة لا
 تطبق مراعه، هرا حرح مشيت معاً إلى باب الدار فقلته ولم نزل فى اسطاره

وكذب من سبانه عاتكة بنت زبد. وهى على قسسط وافر من الجفال ومن
 لدين ومن لبلاغة، تولت^(١) فى رثانه حين قتل هم يكن بكؤه عيه ككاء كل
 زوحة على كل روج مقيد، وتعددت قصائدها فى تأنيبه بكلام لا يعيب عنه صدق
 المدح ولا صدق الصبرة وهى التى قتلت فيه

عصبة الناس والمعبر على لـ
 قن لأهر الصراء والنوس مون
 هر وعيث المساب والمحروب
 قد سفته لمنون كاس شعوب^٢
 وقالت فيه

ر عوف على، لأدنى عيظ على اعدا
 متى ما يقن لا يكذب لله قوله
 حتى ثقه فى لائفت مسف
 سريع إلى الحيراء غير مضروب

(١) مودته كان عقلها يذهب من شدة الحزن (٢) شعوب اسم لعممة أو عم، سمعت كذاك لأنها تفرق بخلاش.

وقالت فيه

حسب يصف في أكفـهـ رحمة الله على دال الحسد

وقالت فيه.

يا ليلة حبست على نجومها فسهرت والشامتون هجود

قد كان يسهرى حذار مرة فالسوم حوق لعيني السهد

ولا تُكَي الرجل هذا الكاء على ما في عيشته من الشظف إلا ومن وراء
خشونته مودة قلب تبعث إلى القلوب.

وأكتف ما تكون الدروع رُق ما يكون لموضع الذي بلها وأحوقه من
الإصابة فتنظر أين لموضع الحصين لحمى ههنا لموضع اللس التي
بحاف عليه، ولا تحدث عن ذلك خارج من إظهار أو بظاهر غير مشعور به،
وعبر مقصود. أين أكتف ما تكثفت العلقة فيه من سرع عمر التي عنياها»

المرأة ولا نزاع!

معنى المرأة كتب له عبرة شتهر بها وعذب من دلائل شدته عليها، وفي هذا
يقول رسول الله ﷺ «إن الله غيور يحب الغيور وإن عمر غيور»

وعنى امرأه وعن المرأة أن حدسه أن تتحامل لمعير ويسرج في مضطرب افتون
وكلف أوصى بوصبه فيها فأبما هي الفتنة التي يتقيها، فما قل عليكم
بالأنكار لم يقل عليكم بالأبكار لأنهن امتع وأنصر ولكنه قل عليكم بهن لأنهن
أكثر حبا وأقل حياء^(١١).

وبد توحيس من روح المسلمين بنات، لا عجم، لم ييوحس من لا حرام من
لأن «في ساء الاعاحم حلاه، فإن أقبلتم عيهم غلبكم على سائكم»
فامخلة هي المحذور أشى يبقى.

وهذا كثافة الدرع فابحث هنا عن مفرد، إنك لا تعد كثير حتى تلمس
الموضع الذي لم عليه الرجز حيث قل: «لو البركت عفرأ وعروة جمع
بينهما^(١٢)» أو لم عليه الصبي الذي عناه ابن الخطاب حيث قل: «حب أن
يكون الرجل في هله كالصبي هذا أحبيج إليه كان رجلاً».

(١١) الحب بد ج (٢) عروة بد حرام، شاعر عن الشعراء العشاق المشهورين وصاحبه عفرأ مات شهيداً صنفه

ومضى كان فرط الغيرة على لونه أو لخصر منها دليلاً على أنها ذلك الشيء
أهين، وإن قل التغيير لحدود بسببه إنها شئ مهين

وابحث عن حبيب واحد معشوق أو مقطوع من جواس برحم الذي يسعى أن
يوصل فإيك لن تجده في نفس هذا لرحل بنة ورس جهت في ابحت
فكن ابناً برأ لا ينسى لتحدث عن أبيه، ويعتز بذكراه على ما كان من
قسوته عليه في صباه، ولم يزل يقسم باسمه حتى بهاء النبي، فانتهى وهو
يقرب الكهولة.

وكان ابناً يحب أبناءه ويعرف واحد الاناء بالاناء، ويتزع الثقة من ول لا
يحنو على صفاره. أمر بكتابة عهد لبعض لولة ماقس صسى صغير فحس في
حجره وهو بلاطفه ويقطه، فسأله المرشح للولاية ثقل هذا يا أمير المؤمنين
لي عشرة أولاد ما قبلت أحداً منهم ولا لنا أحدهم منى.. فقال له عمر وما
نسى إن كان لله عز وجل روح الرحمة من قلب. إني برحم الله من عبده
الرحم.. ثم أمر بكتب لولاية أن يحرق وهو يقول إنه إذا لم برحم أولاده
فكيف برحم الرعية؟

وكان كلاب بن أمية الكدنى في عزوة فاشتاق إليه أبوه الهرم وحزن لعبابه،
و تصر بؤوه بعمر فكتب إلى قائد الجيش يسئعيد كلاً إلى المدينة فلما عاد
وبخل عليه سأل ما بلغ من برك شباك؟ قل كنت أكتبه أمره، وكتب أعتمد -
إذا أردت أن أطلب ابناً - أعرد باقة في إبله وأسمتها فأريحها وأتركها حتى
يستقر، ثم أغسل أحلافها حتى تبرد ثم اطلب له وأسقيه.

ثم بحث إلى أبيه ماء يتراوح في مشيته ضعيفاً بصره، مصحياً ظهره، فسأله
كيف أنت يا أبا كلاب؟ قل كما ترى يا أمير المؤمنين.. ثم جاءه بطن حله
اسه حفص الرجز وقال وهو مدسى إني لي معك لعمر الله يا أمير المؤمنين في
لاشم رائحة يدى كلاب من هذا الإناء! فقال عمر هذا كلاب عندك حاصر قد
حنثاك به فوثب إليه ابنه، وصفق الأب ابناً لم يك يراه يضمه ويقبله وبكى
عمر، وأمر كلاً أن يلزم أبويه ما بقيا، وله عصة كانه يجاهد في سبل الله.

ومن حسانه على الأطفال أنه كان يشفق عليهم أن يحربو في لهوهم ولعهم
فلا يترك الضئف منهم حتى يأنس على لهوهم ومحصول لعبه، فحدث سنان بن

سلمة انه كان في صباه يلتقط البلح في أصول ليدخل مع بعض الصبية إذ قبل
عمر فتفرق الغلمان وثب هو في مكانه، فعاد منه أسرع قائلاً يا أمير
المؤمنين، إنما هذا ما ألقى الريح قال عمر: أرى أنظر قبلي لا يخفى على
فنظر في حجره ثم قال: صدقت.. إلا أن صبي لم يقع بهذا حتى يحرسه
أمير المؤمنين إلى بيته فقال: يا أمير المؤمنين، أترى هؤلاء الآن؟ وأشار إلى
الصبية لهاريين، ثم قال: والله لئن انطبقت لأعبروا على فاستزعوا ما معي
فمشى معه عمر حتى بدعه بيته!

وكثير على الصديقين لفرطين في الصديق أن يعرفوا هذا عن عمر ثم
يصدفوا أنه وأد بساً في لجاهلية على تلك الصورة البشعة التي انبثقت إليها
في بعض الرويات، وحلاصتها أنه رضى الله عنه كان حائساً مع بعض
الصحابة إذ صحك قليلاً ثم بكى فسأله من حصر فقال: كنا في الجاهلية
نصنع صنماً من العجوة فنعبده ثم نأكله، وهذا سب صحكى، أما بكائي فلأنه
كانت لي ابنة فأردت وأدها فأخذتها معي وحفرت لها حفرة فصارت تنقص
لربيد عن لحيتي فدفعها حية

فهذه قصة يعنور الشك من ناحية ضحكها ومن ناحية بكائها ومن ناحية
اجتماعهما في لحظة واحدة لتمكين واضع القصة من التفرقة بين عصري عمر
في جاهليته وإسلامه، وأدعى ما فيها من الشك تلك الخاتمة التي ينم بها
اختراع الفجعية والبوغ بها إلى دروبها، وهي نفث الطفلة لصغيرة تراب
حفرتها عن ناحية أبيها.

فالوإذا لم يكن بالعدة لشناعة بين جميع القبائل العربية، ولم يشتهر بنو
عدى حصة بهذه لعدة ولا اشتهرت بها أسرة الخصب التي عدت من قبيل
نعم فاطمة أخت عمر وحفصة أكبر أولاده وهي لى كنى أب حفص بسمها،
وقد ولدت حفصة قبل سعة الإسلامى بخمس سنوات فلم يندها، فعاداً وأد
الصغرى المزعومة وهي في السن التي تفهم فيها كيف ينقص التراب عن ناحية
أبيها؟ ولماذا انقصت أخبار هذه لصغرى المزعومة فلم يذكرها أحد من
بخوانها وأحوالها ولا أحد من عمومته وخيولها؟

ما تحسبها إلا إحدى جنات الإعراب على من خنقوا وهي سرهم مثال

للإعرب والإعجاب، فهي احصاءة بصعقها حلائق عمر التي لا تبذل هذا السدول من النقيض إلى النقيض بين جاهليته وسلامه، وقد كان عمر في جاهليته لم يسلم بعد يوم أشفق على اخته وهي دامية الوجه، وكان في حاضيته يوم أحب أحاه حبه الخمرط وبقي عليه.

فليس وقوع لقصة المرمومة في الحاهلية مابع لعراسها ومفرناً بتصديفها وغير هذا الأب وهذا الأخ يطبق هذه القسوة التي لا تصق.

إن قليلاً من الأناء من أحب أناءه كما أحب عمر بباءه، وإن قليلاً من لإحرة من أحب أخاً كما أحب عمر ربه، فإخاه، فما سمع سمعه بعد بقتله إلا سألت عمرته، وما هبت لصيب، كم قال، لا وحد نسيم رند وتمنى نظم الشعر لينظمه في رثائه.

بإن قليلاً من لأصدقاء من أحلص لأصدقائه وعشرائه كما أخص عمر لكل صديق وعشير.. وهو القتل، «لقاء الإخوان حلاء لأحرر» وهو انقائس حرصاً على المودة وصيد بها «بأ أصاب أحدكم ودّ من أحبه فليتمسك به، فقله يصيب ذلك».

فإد أردنا أن ننقب عن وشائج الرحم وصلات المودة في نفس هذا الرجل لمهت لمحبف فلننقب عنها في سابعها لحفبة لمي تسرى منها وترقرق في بواحبها، ولا نقب عنها في لصحور أني تكتنفها وتطفو عليها وترفع أعلامها أو نحن حريون أن نقب عنها في هذه الصخور والأعلام ولكن على هدى وبصرة فلا نقنع منها برأى العين من بعد أو قرب ولا نغتر بمشبه كآته كل شيء تحتويه.

فما هذه لصحور والأعلام سي كانت تروع البصر من هبة عمر ومن ملامح سيماءه هي مظهر قدرته على نفسه لا أكثر ولا أقل وهي حارس ليقتض الذي بحمي تلك النفس أن يتسرب إليها الدهن وأن تؤخذ على حين عرق، من حيث يخاف عليها

ولاء لا يعتصم بقدرته على نفسه وهو امن ولا يوقظ الحارس على دخله وهو ودع في سريره بما يعتصم بقدرته ويوقظ حارسه حين يحذر، ونف يحذر من المطارق الذي لا يستهين به ولا يرال على رقعة منه

وقد كان عمر بن الخطاب أكثر ما يكون اعتصاماً بقدرته في مس الأمور بقية وسريرة طبعه في حشية الحديعة من ناحية اسرف والمتعة، فهو لا يسميهم لشهوة مأكلا ومسنن ولا فُعيه ديبويه وفي حشيه لخديعة من ناحية ولده وأهله فهو يحفر من أن يرى لهم رزق لا يعرف مآتاه، ويجفل من أن يرى بهم بلا سماء بين، لإبل لعفاف محبة أن يسميها لهم الدس هي مراعيهم. لأنهم ولد أمير المؤمنين وتلك إبل أبناء أمير المؤمنين!

وكان أكثر ما يكون اعتصاماً بقدرته حين يلح الفتنة الكبرى لى يقتدر به شيطان العواية، وتلك هي المرأة لا فرق بين خيارها وشرارها، فمن شرارها استعد بالله... ومن خيارها كن على حذر.

وإذا اعتصم عمر بن الخطاب بنفسه فانتظر شيئاً و جداً إن تجد حولاً عنه، وهو تقديره العدل تقدير الحائف أن يريد فيه شعرة أو يعص منه شعرة.. فمتى اعتصم بنفسه ستيقظ وانصهر، ومنى استيقظ وانتصر فالحق يسطه وهي سبيل الحق انتصاره.

بفرض شأن المرأة فهو الغيور الحذر، وهو لواقف على الميزان فما تعطاه وقيم تعصبه، فلا هي بطلمة ولا مظلومة في كل أمر يرجع إليه

فمن غمه كن لا تطعم لصعقها ولا تعين لحيائها وخفف، ومن حقها عده ألا تتركه على رواج الرجل لقبيح، تحب لنفسها ما يحبه الرجل لنفسه، وأن يعرف لها عدها حيث يعرف للرجل عده في لصله بينها وبينه فسمع مرة أعرابية تنشد:

فمنهن من تسقى بعذب مبرد نفاح^(١) منك عند تلك قرت

ومنهن من تسقى بأحضر اجر^(٢) أحاح^(٣) ولولا حشبه الله قرت

فتوهم في زوجها عيباً وأرسل في طلبه فإب. هو منعبير الفم، فخيره بين خمسمائة درهم وطلاقها فقبل الدراهم وطلقها.

وسمع امرأة من وراء يابها تنشد:

تداول هد اللس تسرى كواكبه وأرقى لا خسر لاعه

مرالله لولا لله لا شيء غيره لزلزل من هذا السرير حوائيه

(١) النفاح ماء عذب يصلى (٢) لاجر ماء البحر ليعظم واللوز (٣) والأحاح مالح بر

فسأل عن زوجها فلم أنه خرج في غزوة صارت غيبته فيها، فأمر بعد ذلك ألا تصل غيبة الأزواج في الغزوات.

وكان يقبل شكوى المرأة من زوجها الذي بهز النطافة ولزبته، لأن النساء «يحببن أن تتزينا لهن كم تحبون أن يتزين لكم».

وقبل شكوى المرأة من زوجها الخاضع^(١) قبل لئاء بها بوهما أنه شاب وهو موخوط الرأس بالشب، فتوحه صرب وقال: غررت القوم.

ولم يكن يحرج مع المرأة مثل هذا التحرج أن تستر من سيرتها ما لا يصير ستره إن عاق زواجها فكاشفه رجس أمر ابنة له أسلمت وأصحبها حد من حدود الله، فهمت أن تذبح نفسها، فأدركها أهلها وقد قطع بعض^(٢) ودأب^(٣) فبرئت وتأت واستقامت على الهداية فعسائه أن خير القوم الذين يخطونها بما يقدم من سيرتها^(٤)، قال وليك: أتعمد إلى ما ستره الله هبيديه؟ والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأحعبت بكالاً، أنكحها نكاح العقفة المسفة». فهي أولى عنده ببعض، بحماه حين لا ضمير في الحياطة، وقد عاهد الناس فيما عاهدهم عنه «ليمنعن النساء إلا من الأكفاء».

ويرى أنه قصي هي لحلاف بين الزوج وروجة بانقول الفصل في بناء الأسر وتعمير البيوت، حين قال رجل هم بطلاق امرأته لأنه لا يحبها «أو كل البيوت يتي على الحب؟ فأين الرعية والتعمير؟».

فبه لمر برسات السيوف لم يدركه متحذقة العصر الذين يغطون بالحب والزوج ويحفلون أن الرعاية والدمم أقص بالوام والعمير من رواج بني على الحب وحده، لأن الحب موط بالأهواء، إلى مغير بين أوبة وأخرى، وما مناط الرعاية والندم فهو الأحلاق التي قل أن يطرأ عليها مغير.

وقد استشار النساء هيم يُحسن كم استشار الرجل فيما يحسن، ولم يتعال قط أن يرجع عن خطبه إذ ردت عنه امرأة بانيبه لصادعه^(٥) ومن ذلك أنه نهى الناس في بعض خطبه أن يزينوا مهور النساء على أربعين أوفيه، فصاحت به امرأة فطساء من صفوف النساء: «ذاك لك؟ فلم يأنف أن يسألها

(١) الخاضع الذي يحصب بالحاء وبعده (٢) الأزواج: جمع ورج وهو عرق في العنق

(٣) السنة لصناعة الخراف، البيئة التي تحمك على الإذعان والتصديق

ولم؟ قالت لأن الله تعالى يقول ﴿وَاتَّيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَطْرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا شَاءَ
أَنَّا جُذُوبُهُ يَهْتَابُوا وَإِنَّمَا مُمِيتًا﴾. فارجع عن خطئه واعرف بصوابها.

فما للمرأة من حق تعصده وما ليس لها بحق لا تعصده وتناد عنه

والذي ليس لها بحق في رأى عمر - ورأى كل رجل رى رحولة - ألا تعرض
لعمله لدى لا تفقهه، ولا يرجع إليها في مثله، ولا سيما إن كان شأن من شئون
لدوله، ومهمة من أخص مهام لرحال، فحشفت له امرأته في ول مقصر
تسأله هيم وحدث^(١) عبه. فالتفت عاصب وقال لها وقم أنت وهذا. إيم
انت لعبة يعجب بث ثم بركين، كلفة لا تلس القفار الناعم، وم يحلق القفار
الناعم تلس في كل حين.

ولذى ليس بحق لمرأة أن تلو كلمتها على كلمة وليها، وهذا الذي كن
سكركه عمر على أهل المدينة حيث قال «.. كنا معشر فريش نغيب النساء، فلما
قدما على الأنصار إذ هم قوم تغلبهم مساوئهم، فطفق نسؤنا يأنصن من أدب
نساء الأنصار.

وصحت على امرأتى فراجعتى فأنكرت أن تراجعنى قالت ولم تنكر ن
راجعت؟ هو به إن أرواح أسى لله لير جعته، وإن إحداهن لسحره اليوم حتى
انليل، فأقرعتى..».

نعم هذا معرع لعمر، وقد كان ولا ريب مفردا لرسول الله أن تغو كلمة على
كلمته في بيته لكن طريقة محمد في تغليب الكلمة طريقة بى يؤم متبعه،
وطريقة عمر طريقة مريد مؤتم سيوة، ولا جداح على عمر ألا يحق شأو محمد
في كل ما سبق إليه

فمحمد إنسان عظيم، وعمر رجل عظيم، وهذا هو الفارق بينهما كما بيده
في منسبة سابقة وأما انقارو بينهما في المناسبة التي نحن بصدد أن
الرجل العظيم يرحم المرأة كم يرحمها الجندي في معرض القوة والنصل،
ولكنه يأنف أن يستكين لسلطانها في معرض الهوى والفتنة، فيكسرف ولا
يكسر لها إذا بحت في العرور ونطقت في عناده، ومن ثم استصعر عمر ولده

(١) وجئت عليه فحسنت من المرحمة.

نفسه - عند الله - لانه عجز عن تطبيق روجه، فها شروا عليه باستحلافه فل
من كلمه في ذلك «ويحك» كيف أستحلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته».

أما لإسنان لعظم فهو يشمل ضعف الإنسانية كله ويعصف عليه ومنه
ضعف المرأة في غرورها واعتزازه بدلال لصعف على يقوه لأنه في حقيقته
اعزاز بمكانها منها وتقدير تلك لقوة في بعض توحياها فهو يرى في تكرر
المرأة إذ كانت كثيرة عنده نوعاً من الاعتراف بكبره، وهو لا يقف معها في
ميدان كما يقف كل ذكر وتنتي لأن مدته هو يشمل ليدتين مجتمعتين إذ هو
ميدان الإنسان كله والإنسانية جمعاء.

على أن شأن الرجل مع امرأة لا يظهر من رأى الرجل فيها كما يظهر من
رأيه فيه فبعد معة عمر للمرأة وقوله فيها يبقى له شأن في عالمها يظهر له
من رأيها هي فيه.

وقد أكرت سيدة نساء بعصر عمر فوصفته بأنه كن نسيج وحده، وهي
عائشة رضى الله عنها، وجمعت لشفاء بنت عبد الله بعض صفاته فقالت إنه
«كان إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجم، وهو الناسن حقاً».
وصاحب أم أيمن مرصعة بني يوم أصيب «اليوم وهي الإسلام».

وعلياً نحن أن نسأل المرأة في عصر عمر عن مثل الرجل في عصونته، ولا
نسأل فيه نساء زمان غير ذلك الزمن وما نحاس نعرف رأى المرأة يومئذ في
الرجل الذي يكرر في عصب كما نعرفه من امرأة هي فتد بنت عتبة زوج أبي
سفن وام معاوية، فليس أقدر منها على الحوب ولا اصريح فيه.

جاءها أبوها يشاورها في رجائين من قومها يخاصاها فاستخبرته عنهما
فقر بصقهما «أما أحدهما ففي ثروة وسعة من لعش من تبعته تابعك، ومن
ملت عنه حظ إيب، تحكمير عليه في أهله وماله، وأما الآخر فموسع عليه،
منظور إليه في أحسب الحسيب والرأى الأريب، مدرة أرومته^(١) وعز عشرته،
شدب بغيره لا بدم على صعة ولا برفع عصاه عن أهله».

فقالت «يا أيت» لأول سيد مصراع للحره فما عشت أن تلبس بعد إبتها
وتضيق تحت جديحه إذ تابعها معها فاشترت^(٢) وأحفاها فأمته؟ ساء

(١) مدرة السيد الشريف المقدم في الحسن ولد ولاومة الأصل. (٢) الأثر لفظ

بعد ذلك حالها وفتح عند ذلك دلالها، فإن حانت بولد حمقت، وإن أنجبت عمر حصاً ما أنجبت^(١) هاتوا ذكر هذا عني ولا تسمعه على بعداً وأما لآخر فبعض لفتاة الحريّة لعقبة^(٢)، وإلى لأحلاق مثل هذا الوامقة فروحيه»

وبعض بحسب هذا رأى المرأة لنجيبه في زمان عمر، وهو شريف بحسبنا رأيها في كل زمان عني أن مصمره مباطن لقلب ولا تنقيه بطرق اللسان فإن ربت خشوبة العيش في بنت عمر عني القدر الذي مرصاه لمرّة فهي خشوبه غير محقورة السبب، لأنها لا تحسب عني عمر «الروح» من ناحية حتى بحسب لعمر «الرجل» من ناحية أخرى، إذ هي بم ذات من قلة القسرة على العيش وإنما جاءت من كثرة القسرة على نفس، وهي خبيقة تعجب بها المرأة في الرجل لذى نكره، لأنها من أقوى حلائق الرحولة فيه

وليس لدينا بيان واضح عن النساء اللاتي تزوج دهر عمر يعنف عني لتعمير بين سمائهن والبحث في الماسم الشخصية التي تتعدن عنهن أو يحتلفن، ويجير لك أن يسهب في الكلام عن موقع كل مهن من نفسه، وأثرها في حياته، ومطلع حظوتها عنده، وسبب هذه الحظوة في رأيه وشعوره، وما دل عنه جميع ذلك من موزع قطرته ودوقه. فقد سكت بتاريخ وسكت عمر عن كل بيان وثب في هذا الباب، فلم يبق لديه منه إلا أسماء وأعوام وبوادر مقتضيات لا تساعد على تكوين سمات واضحة فضلاً عن لتفرقه بين تلك السمات.

عمر أنت تعتقد أن الاريح لم يفقدنا شيئاً كثيراً في هذا الباب، لأننا مستطيعون أن نعوض ما فقدناه بالقدس إلى ما عرفناه، فلا نخشى إذ رجحنا أن سمات هؤلاء النساء جميعاً تدخل في نطاق الوصف الذي كان يستحبه عمر في المرأة ولا يطبق منها أن يخلفه ونخرج عنه.

مافضل ما كان بشرطه هي المرأة أن تكون ولوياً ووداً ولا تعاب بالحقوق فيسرى حمقها في دماء ولدها، إذ «لم يقم حبس في بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائثاً»^(٣) - كما قل.

^١ ما دوق لحمال بعد كان عمر فيه كما كان في جميع خلائقه عرباً بعداً

(١) أحملت وست أحمق وأنجبت ولدت بحسب

(٢) الحريّة بعداً، فيها حياة وحفر، والعقلية الكريمة.

(٣) المائث الأحمق لبي

يستمتع ما يستمتع كل عرس صحيح، ويستحسن الحسن عنده وهو أعم من
 الملاحة ويروي عنه أنه قال «نروجه سمر»^(١) «لها»^(٢) «بين فركتها»^(٣) فطلى
 صدقها» وأنه قال «إذا تم بيض المرأة في حسن شعرها فقد تم حسنها»
 وهذان هم الملاحة والحسن كما وصف في الشعر لعربي من قديم إني حديث

ومن القبل الذي بقي لدينا من أخبار سبائه نعم أنه كان موهوباً أحظ من
 هذا الحال في لزومات، فقد وصف أكثرهم بالحسن البارع، وضرب المثل
 بملاحة أحد من بين سبائه قريش وهي هريفة بنت أبي أمية بن المغيرة فروي في
 مآثور الحديث الشريف أن سعد بن عبادة قال يوماً في حفرة النسي عليه
 السلام ما رأيت من سبائه قريش ما كان يذكر من جماله! فقال له عليه
 السلام «هل رأيت بيات أبي أمية بن المغيرة؟ هل رأيت قريفة؟» وهي إحدى
 زوجات عمرو بن إسلامه

وروي أن جعيلة بنت ثابت سميت بهذا الاسم لجمالها، وكان سمها في
 الحاضرة عاصية، فكرهه بعد إسلامها، وسألت عمر ثم سألت النبي في تغييره
 فتفق على تسميتها بوصفها وتوديع بعد ذلك باسم حميلة، وروي عن عائكة بنت
 زيد بن عمرو بن نفيل أنها أعطيت شطر الحسن مع ما رزقته من لفصاحه
 ولنهي وروي مثل ذلك عن زوجات أخوات ران لم يتفوق هذا، التفوق المشهور.
 ومن أخبار زوجاته أنه طلق اثنين من شهر سبائه بالجمال وهما هريفة
 وحميلة سراج الأولى وطبقها قبل إسلامه، وتزوج بالثنية وطلقها بعد إسلامه،
 ولا بدري على التحقيق ما سبب طلاق الثانية الزوجتين الحميلتين، فهل هو
 دلال الجمال ضاق به صدر عمر وهو عسى شمووس امرأة غير صبور؟ لعله
 ذلك، ولعل إحدى أنفى عائكة بنت زيد في عصمته أنها تجاوزت دلال الصفر
 حين بنى بها أو غضب من دلالها بالقطنة والتقوى.

وكذلك بقيت في عصمته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وهي حميلة
 صغيرة، وولدت له ابناً سماه باسم أخيه زيد الذي كان يحبه ويذكره ويصلي
 النكاء عليه، وأعره عنده النسب والأدب والحفاظة على أصرة النبوة، فلم
 يغتر في الحياء ولم يمش بسهم خلاف إلا حين حاجتها، لهدية من مكة الروم
 فضعها إلى بيت المال.

(٢) فركتها أبغضها وتركها

(٣) عباد، حسنه العين واسمها

(١) لافاء صغيره الأنثى

وه مع إحدى أولئك الزوجات قصة صغيرة لا تهوتت ببرهه فى الكلام على حياته الخاصة لأنها كثيرة لدلالات عليه، نرى على عمر فى نبوته وتدر على عمر فى سورة صعه، ورس على عمر فى نبوته إلى الحق كلما وجب أن يثوب إليه فقد طلق جميله وله منها ولد صغير، فراه يوماً يلعب مع الصبيان فحمه بين يديه، فأدركته جدته اشמוש بنت أبى عامر وحملت سارعه ياه حى اسها إلى بى بكر رضى الله عنه وهو خليفة - فقال له أبو بكر حل بينه وبينه فهى حصنته. فرده إليها ولم يراجعه بكلمة.

ولعمري إن فى هذه القصة الصغيرة من الدلالة عليه لما يعنى عن قصص، وعيها عمر إسان عطوف، وفيها عمر رجل سوار الطسعة وفيه عمر صاحب خلق مكبر، كبح من صيغته كل سورة حاوت حد العدل والإنصاف، وهذا هو عمر فى شتى نواحيه.

وقد تدل هذه القصة على شيء يبرئه من بعض اللوم فى تطبيقه أم هذا الولد فاسمها عاصية وسم أمها شמוש، وكأنهم - كف يبنى عليهم هذا الاسم - من أسرة تهاى بدلال بدنها وشحوسهن وتختار لهن من الأسماء ما يدل على هذه الصلة، وقد يضيف إلى تأكيد هذه الصلة هيهن أن عاصيه غضبت حين اخبر لها عمر اسم جعسة وقالت به سميتنى باسم الإماء ثم حثار لها النبى هذا الاسم فقال بى رسول الله آيت عمر فسميتى حصية فعصيت قل عليه لسلام. أو ما علمت أن الله عز وجل عند لسن عمر وقله

فكانها شأت فى قوم يعتقدون أن النحسين والترعب إنما هو من شأن الإماء، وأن الشמוש والعصيان ألبى بالحرث وإن أحسن رواحهن وأحوسهن، وإن كان فى نطليها مأخذ على عمر فقد يكون فيه مأخذ عليها مفسر له فمرقهما بعدم أحبه وأحنته.

وررق عمر الذرية من سكور وإبادة نجباء وجيبت فقرب عنه بهم لأنه كان كأنهم الداوة كدفة يستكثر من الذرية ويوصى لئس أن يستكثروا منها، وكانوا جمعة عنده بمكان الحب واللودة لا يحشى الانحراف عن العدل من جانب كما يحشاه من جانب هذه السرية أو جانب أهله على التعميم، ولهذا كان يجمعهم إذ بهى ناس عن حوره حق من الحقوق فسلعهم انه قد بهى عنه

ويذكرهم، «إِنَّ لِبَاسَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ بَصَرُ الطَّيْرِ إِلَى اللَّحْمِ»، ويقسم لهم شئ فعينه أحد منهم لضاعف عن عيه لعفوية!

وليس بد أن نحصى فتاواه وفضيلته في محاسبة أهله أو محاسبة أئذنه خاصة قبل سائر أهله. هذا عمن به لم يقطع عنه طوال حياته، ولكن نكتفي بمثل من أمثال عديدة مواترة وهو قصاؤه في تجار ثنائه بحسن من بيت مال المسلمين، وذاك أن ابنه عبد الله وعبيد الله خرجا في جيش إلى العراق، فلما نزلوا بالبصرة وذهب إلى أبي موسى الأشعري وهو أميرهم فقال لهم لو قدر على مر اتفعلكما به، ثم عرض عليهم أن يحصلوا إلى أبيهم مالا من مال الله فيشتريا به متاعاً من العراق يبيعونه بالمدينة، ثم يؤدوا راس المال ويكون لهم لربح فلما علم عمر سألهم أكل الحش أسفه؟ ثم أمرهم أن يؤدوا مال ورجه، فسكت عند ذلك وقال عبيد الله ما ينبغي لك ما مير المؤمنين هذا لو نقص هذا المال أو هلك لضمة^(١) وقال رخص في المجلس ب أمير المؤمنين لو جعله قرصاً^(٢)، فحد راس مال ويصف رجه، وأخذ منه نصف ربح المال

وإنما كان عمر يعني محاسبة الولاة لأبائهم وبنوهم وقرار هذه محاباة بأبيه، ولكنه كان يقترض من بيت مال لينصر ويربح ما يعيش به في أهله، ويلجأ إلى التجارة لقله رزقه الذي فرضه لنفسه من بيت مال المسلمين، وقد فرض رزقه لنفسه بعد مشاورة أصحاب رسول الله، فقال عثمان كل وطعم وقر عني ما يصلحك ويصلح عبدك بالمعروف، ومن يسرب قضيت وكان يقترض فيعسر فيتأخر قضؤه، فيأتيه صاحب بيت المال ويشته في تقاضيه فيحتال له عمر ويؤمله إلى أن يستحق عطاءه مع عطاء المسلمين، فيسد به ربه

مع هذا كان يشفق أن يقترض من بيت المال إلا أن يتعذر عليه الاقتراض من بعض أصحابه، فأرسل مرة إلى عبد الرحمن بن عوف في طلب أربعة آلاف درهم يحضر بها عيرا^(٣) إلى الشام فعاد الرسول يقول له خذها من بيت المال ثم ردّها وشق ذلك عليه فنقى صاحبه وعزم منه صدق ما سعه فقال أفتر مت قبل أن تجيء قلتم أخذها أمير المؤمنين دعوها له وأخذ يوم القيامة؟ لا ولكنني أردت أن أخذها من رجز حويص شحيح مثلك فإن مت أخذها من ميراثي»

(١) انقص ما ربه من صا أي دفع منه لا سخره ويؤخذ لربح يسير على ما سطر

(٢) القرص: لآل التي تحفر الراد

وحدث ما توقعه من مجيء الأهل قبل سداد ديونه جميعاً فلم يشغله الموت ولا شغلته كدور الحطوب التي يضطبع بتصريفها قبل موته أن يسأل عن ديونه ويوصي بسدادها من ماله ومال أهله، وقال لاسه «إني وفي به - أي دالير - مال ل عمر فنده من أموالهم وإلا فسأل عنه بتي عدي، فإن لم تف أموالهم فسأل فيه قريشاً ولا تعدهم»^(١) إلى غيرهم. وكان عبد الرحمن بن عوف حاضراً، فأشار عليه مقترحاً أن يستقرض من بيت المال حتى يؤدي، فلم يقبل عمر، ودعا ناسه عند الله فقال أصمبهم فضمبهم، ورفي بوعده هم بدهن أبوه حتى تشهد بها عني نفسه أهل الشورى وعدة من الأنصار، وبانقضى أسبوع حتى حضر إلى عثمان، وأحضر الشهود على البراءة بدفعه، وقد بيعت لعمر دار في هذا الدين وسميت زمناً باسم دار القضاء، لأنها صنعت في قضاء دينه.

ولأن يموت عمر مديناً موهى الدين لهو أعظم لشرفه. وأيسر من ذلك شرف أن يموت عنياً بغير دين.

(١) أي لا يحاورهم ويتركهم يتسأل غيرهم

صورة مجملّة



صحبنا عمر بن الخطاب في حالات كثيرة تختلف فيها صور الرجال.

صحبته في جاهليته وإسلامه، وفي سره وعلائته، وفي بيته وحكومته وفي دينه وثقافته، وفي اتصاله بالله واتصاله بالناس في الصورة المحمّية من جميع هذه الصور المختلفة صورة رجل عظيم من معدن العبقريّة والامتياز بين الناس على اختلاف العصور، وبدا هو صاحب مدق وأخلاق من تُبيل لصفات الإنسيّة نوفقت فيه على قوة نادرة وتلاف فيه إلى غاية واحدة وهي إحفاق الحق وإدخال الناس إلى طبعهم، وهو هو في طبيعة من يحمي وفي طبيعة من يحتمي على السواء.

ورسخت في صويته خليفة المساواة في العدل حتى أصبحت كالوطيفة العضوية، نسي لا يفسح منه، وحتى أصبح يتجرّد من نفسه أو يجرد منها شخصاً آخر غريباً عنه لا فرق بينه وبين أحد في حدود الله وحرمة الله وتمكنت هذه الخلقة منه حتى حرت على لسانه عامداً وغير عامد، فكأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم عن غريب. بيع بخ يا عمراً ويحك يا ابن الخطاب؟ ما يقول عمراً وهذا فلان بن عمر وليس بفلان وبدي إلى أشباه هذه لتجريدات التي شغلت فيه من خلقة اسسوية بين جميع الناس، وبينهم وبين نفسه نفس جميع الناس.

وكانت فيه خشونة لأقوياء، لصرحاء، ولكنه كما قل عرقوه من الصحابة «باطل خير من ظاهره» أو كما قال فيه الصديق من كلام فحواه أن معصيه هم المعصونون لبحير.

وكان له محبوبون من كرام الناس لا يعدلون بحبه حب أحد من أمثاله، فكان عبد الله بن مسعود يقول «لو أعلم عمر كان يحب كلنا لأحبسه، والله إنني لأحسب العضاه»^(١) قد وجدت لفقير عمر.

(١) جمع عضاهة وهو شجر كبير له شوك يوجع، أي: حزنه عليه.

و لغالب هي أمثال عمر من أصحاب الطنابع بقوة المهيبة ان يحجب عنهم
الهيبة ألفة، العراء الذين لا يحيطون بهم في السر و لعالية، بل يحجب عنهم
آله الأقربين في كثير من الأحيان، لأنهم من يفردهم بالصراحة والحق في عزة
دائمة بين الصق الناس بهم وأقربهم إليهم

أعاندك أسر المجد من كل وحشة فإبت في هذا الأنام غريب

ولكنهم لا يكرهون إلا عن حصة أو حسد لئيم. وكان عمر على شخص
ممن لا يشيرون شعور لكرامية في قلب بسبب لأنه كن على عظم «شخصية»
مبيرة من المعصر الشخصي في معاملة الأصداف، و لحصوم، وإنه بنجم
العداء الشديد من الإحساس بهذا «العنصر الشخصي» ومقاسته بمثله مقاسة
اصطدام وانتقام.

فالذين كانوا يدوقون إتصاف عمر كانوا يستمرئونه ويحسونه، ولذين كانوا
يدوقون عقبه كانوا لا يشعرون بعمر بن الخطاب معاقب لهم صراً لا عليهم،
وهم يشعرون بمرارة السريعة متصوفاً على رؤسهم ويتساقطون فيه وعمر
و بدء عمر، لو وجب لعقاب فلا موضع لها للضعيفة ولا لاصطدام لنفس
بالنفس وحتدام الحزارة بالحزارة.

وبهذه الخصة ذكره بلحب والإعجاب من ابتلوا بعدله شد اسلاء، وانطعت
نفوسهم على الدهاء أو الهجاء.

فعمر من العاص ومعاوية كان يتسان عليه وشدة استبد في حياته بضرب
عدله وهيبته، والخطبة ألقى الشعراء وأدخلهم بالشفاء كان رفاقه يذكرونه اسم
عمر بعد موته فيرتعب ثم يهدأ فيقول: يرحم الله ذلك المرء... ويتثنى عليه.

وقد قال عمرو بن العاص إذا رأى عمر بكى لاستعطاف بحبيبة إياه في سجن
ب ظلت الخصراء ولا أقلت العبراء أعدل من رجب بكى على نركه الخطيئة

وقد شاء لغير أن يموت عمر قتيلاً فلا يكون قتله سبلاً على بغضاء
«شخصية» أو حصة ترتبط بحياته العريضة، فأنما البغضاء «الوصفية» هي عنة
التامر على قتله بين العلويين في ميدان القتال على التحقيق وهكذا كل أعضاء
بقيت بعد موته مقروبة بذكره فبنما هي في أصبها «بعض» وطمة» كمنة وراء
الاصوب الطائفية والمحدلات المذهبية وإن بطاوت الأنام

فسمعوا أن عمر مات بطعنة من حنجر قيرور «ابن لؤلؤة» من سبأ الفرس بالمدينة. وأمر قيرور هذا، جاء عمر قبل مقتله بأيام قشقا إليه مولاة المغيرة بن شعبة لأنه فرص عليه خراج درهمين في كل يوم، فسأله عمر عن صناعته قائبا أنه «يحار بقش حد».. فلم يستكثر عمر هذا الحراج على من يصنع هذه الأعمال، وقال له قد بلغني أنك تقول «لو أودت أن أعمل رحي بطحن بالريح فعلت» وطلب إليه أن يصنع رحي على هذه الصفة فقال له لن سلمت لأعمل لك رحي بسحدث بها من ياشرو وأغرب.. ثم انصرف وهو يقول «وسع ساس عدله غيري». فقتل عمر لسامعيه لقد بوعدني بعد أني ولم يوخده بهذا الوعيد من كان من بيته أن يلقى المغيرة ليحقق عن مولاة

هذا هو السبب لصدور لذي لا يسر ما وراءه، لأن أبا لؤلؤة لم يكن إلا صفحا للكيد الذي تفوق عليه كثيرون، وقد روى عبد الرحمن بن أبي بكر أنه رأى هذا الرجل مع الهرمزان وجفنة قتل مقتل عمر جالسين يتحدثون فلم حاجاهم قاموا وقوف فسقط بينهم حنجر له ر سان يصاه في وسطه، وهو الحنجر الذي حصه قيرور لقتل عمر وقتل نفسه إن أخذ بهفته.

والهرمزان أمير زالت عنه الإمارة بعد هرب لدولة الجوسية، وحفينة من أهل الأنبار وهم على ولاء لفرس، وأبو لؤلؤة فرسي شديد الحقد على المسلمين، لم يسر أسره ولم يرل كلما جيء إلى المدينة بأسرى من وقعت فرس مسج وعرضهم وبوعد المسلمين جمعين.

وقد كان شاركهم في هذه المؤامرة يهودي مغيب تطاهر بالإسلام وهو المسمى بكعب الأحبار.. ولعله أراد أن يكسب سمعة اعلم بالأسرار من علمه بأبو مرة، فذهب إلى عمر قبل ثلاثة أيام من مقتله يذره ر يحار ولي عهده لأنه ميت في ثلاثة أيام فسأله عمر وما يدريك قال أجده في كتب الله «توراة» ثم تحر هذه الدعوى على عمر وعاد يسأله «الله» إن أحد عمر من الخطاب في التوراة «فأشفق برجل أن يكتشف دله وقال بل أحد صفتك وحليتك وأنه قد فسي احلك. ثم كرر له اشير مرين في اليومين التاليين

فعمر إنما ذهب رحمه الله - شهيد مؤامرة من أعداء الدولة الإسلامية لأشب هيه، وب كانت قصة الحراج إلا ستر الذي يتوارى به المتأمرين

بالمدينة والبلاد الأخرى مخافة القصاص الذي يحقق بهم إذا جهروا بما دبروه أو جهروا بالعلة التي من أجلها تربصوا بذلك التدبير.

إن مقتل عمر أحرى أن يعد جزءاً من أكبر أجزاء سيرته ولا يحسب نهاية تختتم تلك السيرة دون أن تضيف إليها.

فقد تمثلت في مقتله مزاياه الكبار التي تمثلت في جلائل أعماله وعظائم مساعيهِ وخصاله، فكان عمر الصريع قدوة في الشجاعة وتقديم الواجب والإيثار على النفس ومحاسبة الضمير وسداد التدبير، كما كان عمر في أصح ساعاته وأسلمها للعمل والتفكير.

وكان - رضى الله عنه - ينظر إلى الحياة كأنها رسالة تؤدي ما استطيع أدائها ثم لا معنى إذا فرغ من رسالتها أو حيل بينه وبين أدائها، فبعد الحجة التي مات على أثرها أناخ بالأبطح ثم كوم كومة من البطحاء ألقي عليها طرف رداءه واستلقى عليها ووقع يديه إلى السماء، ودعا الله: «اللهم كبرت سننى وضعفت قوتى، وانتشرت رعييتى، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مقرط، اللهم ارزقنى الشهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسولك».

ومضت أسابيع فخرج يوماً قبيل الفجر يوقظ الناس ثم يسوى الصفوف للصلاة، فلم يؤم الناس حتى فاجأه القاتل بطعنيتين إحداهما فى كتفه والأخرى فى خاصرته، وقيل ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة وقد خرقت الصفاقين^(١) قضى بها نحيه رحمه الله، وقيل بل ست طعنات منها تلك الطعنة القاتلة.

فلم تشغله هذه الطعنات المفاجئات عن الصلاة، ولم يفكر أن يشغل المسلمين بمقتله عن أداء فريضتهم فى موعدها، وسأل عن عبد الرحمن بن عوف ليصلى بالناس.

ثم جعل يغمى عليه ولا ينتبه إذا دعوه، حتى قال بعض عارفيه: إنكم لن تفزعوه بشيء مثل الصلاة إن كانت به حياة.. فتودى.. الصلاة... الصلاة قلما سمع النداء فتح عينيه وقام بكلمات متقطعات: «الصلاة! ها.. الله.. إذن» ثم قال: لا حظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة.

ولم يهمه من قتله بعد أن حمل إلى منزله إلا أن يعرف المظلمة كان قتله أم ليغى من القاتل؟ قلما علم أنه أبو لؤلؤة قال: ولم قاتله الله وقد أمرت به

(١) صفاق البطن وهو الجلد الخارج عند سراد البطن.

معروفاً؟ ثم حمد الله قائلاً: «الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط. ما كانت العرب لتقتلني».

وهمه بعد ذلك أن يلقي حسابه عند الناس وهو وشيك أن يلقي حسابه عند الله. فتمر ابن عباس أن يخرج إلى المهاجرين والأنصار يسألهم: أعن ملاً منكم ومشورة كان هذا الذي أصابني؟ فصاحوا معلتين: «لا والله. ولوددنا أن الله زاد في عمره من أعمارنا».

واشتد البكاء كأن الناس لم يصابوا بمصيبة قبلها، فنهاهم أن يبكوا عليه، ثم سقوه نقيع التمر فخرج من الجرح أحمر كما هو قلم يعرفوا أدم هو أم النقيع خرج بلونه، فسقوه اللبن فخرج أبيض يشويه صديد، فأشار عليه الطبيب أن يعهد فقال:

«لو قلت غير هذا لكذبتك».

وكان قد أنكر على الناس أن يجيئوه بالطبيب قبل أن يفرغ من وصاياه. ويحكم أيها الناس، أنتظر في أمر نفسي قبل أن أنتظر في أمور المسلمين؟.. فلما قال الطبيب مقالته أخذ في تدبير المهم من شئون الدولة وأولها الخلافة، فجعلها شوري ليستقر بها القرار ما استطاع إقراره، وتجا بأفله منها وهو يقول: «.. أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً^(١) لا وزر ولا أجر إني لسعيد».

وهو في هذا كله لا يخالف دينه من صراحة ولا يكتم طبيعة أهل الفناء من حب الحياة، ولا يخفي «إن للحياة لتصيباً من القلب وإن للموت لكربة» ولكنها لم تمنعه قط أن يعطي الحق حيث وجب للموت أو للحياة.

فلما فرغ من شئون الدولة نظر في أمر دينه فابى أن يدفن قبل أن يضمّن سدادته، وأقبل يطمئن إلى مضجعه في جوار صاحبيه وقد فرغ من حقوق الدنيا.. فدعا بابنه عبد الله يتطلق إلى عائشة أم المؤمنين ويقرنها منه السلام.. ونهاه أن يسميه عندها أمير المؤمنين لأنه ليس اليوم للمؤمنين أميراً.. ثم يستأذنها أن يدفن إلى جوار صاحبيه - يعني النبي عليه السلام وخليفته الصديق.

(١) أي لا لي ولا علي.

ووجدوها عبيد الله تبكي فسلم عليها واستأذنها فأذنت وقالت:

كنت أريده لنفسى، ولأثرته به اليوم على نفسى!

فلم يكفه هذا حتى يستوثق كل الاستيثاق من رضاها، فعاد يخاطب ابنه: «يا عبد الله بن عمر! انظر، فإذا أنا قبضت فأحملوني على سريري ثم قف على الباب، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلنى، وإن ردتنى فرددنى إلى مقابر المسلمين، فإنى أخشى أن يكون إزتها لى لى مكان السلطان».

وقال شهود دفته: «فلما حمل فكأن المسلمين لم تصبهم مصيبة إلا يومئذٍ... وفارق الدنيا أعدل العادلين وهو مظلوم أو متهم بظلم، فما دلها شئ على عظم فضله ولا عظم الحاجة إلى العدل فيها كما دلها هذا الختام».

الفهرس

الصفحة

٣ تقديم
٦ ١ - عبقرى
١٣ ٢ - رجل ممتاز
٢٠ ٣ - صفاته
٥١ ٤ - مفتاح شخصيته
٦٥ ٥ - إسلامه
٨٧ ٦ - عمر والنولة الإسلامية
١١٢ ٧ - عمر والحكومة العصرية
١٢٢ ٨ - عمر والنبي
١٤٦ ٩ - عمر والصحابه
١٦٧ ١٠ - ثقافة عمر
١٨٨ ١١ - عمر فى بيته
٢٠٤ ١٢ - صورة مجمله